

الأمم النبوية طوبى للعمرين

في الكتب والمصنفات



إعداد وتنظيم
السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم
مركز الدراسات التخصصية لإصلاح المهدى

الأمل النبوي وطول العمر
في الكتب والمصنفات

الجزء الثاني

إعداد وتنظيم
السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقدير



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية



مركز الدراسات والبحوث التخصصية في الإمام المهدي

| |
|---|
| اسم الكتاب:.....الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات |
| الجزء الثاني..... |
| إعداد وتقديم:..... السيد محمد السيد حسين الحكيم |
| إشراف وتقديم:..... مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ﷺ |
| رقم الإصدار:..... ٢٨٢ |
| الطبعة:..... الأولى ١٤٤٤هـ |
| عدد النسخ:..... طبعة محدودة |

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

مِنْ مَنَاسِكِ

المِصْطَفَى وَالْعِتْرَةَ

١٧

المصطفى والمنظر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القِسْمُ الثَّانِي

كِتَابُ عَلِيِّ، آدَبِي، تَارِيحِي
يَبْحَثُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ وَالْعِتْرَةِ الظَّاهِرَةِ

تأليف
حُسَيْنِ الشَّاكِرِيِّ

حقوق الطبع محفوظة
الترجمة مجازة - بعد إذن المؤلف



- الكتاب : المهدي المنتظر عليه السلام / القسم الثاني
المؤلف : حسين الشاكري
الناشر : نشر الهادي
الطبعة : الأولى - ١٤٢١ هـ . ق.
المطبعة : ستارة
العدد : ٣٠٠٠ نسخة
صفّ الحروف : محمد الخازن
الألواح الحساسة : ليتوغرافي تيزهوش
التجليد : صحافي بيروت

عنوان المؤلف

الجمهورية الإسلامية في إيران / قم المقدّسة
زنيل آباد - ٣٠ متري آستانة - بلاك ٧٦ - كد ٣٧١٦٦
هاتف : ٩٢٦٩٩٠ - تلفاكس ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

الفصل الخامس عشر

الشبهات المثارة حول عقيدة المهدي عليه السلام

لا يخفى أنه لا يكاد يوجد حقّ يخلو من شبهة تعارضه، ولقد تعرّضت عقائد الإسلام الحقّة لبعض إثارات المعاندين والمتطّقلين على التراث الإسلامي العريق على طول مسيرة التاريخ، وقد تذرّعوا بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت كما سيّضح لك من خلال الجواب عنها.

ولقد كانت تلك الإثارات وبحمد الله مجالاً رحباً لدراسات واسعة وخصبة حول إثبات هذه العقيدة الراسخة، والدفاع عنها والاحتجاج عليها بما يزيل الشكّ والريب، ويشدّد من دواعي الاطمئنان إلى عقيدة المهدي عليه السلام الذي بشر به من لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيّ يوحى، وفيما يلي نعرض تلك الإثارات والتساؤلات ونبيّن الجواب عنها :

أولاً

قالوا : إنّ طول العمر بهذه المدّة مستبعد بل غير واقع عادة، كيف وقد مضى عليه الآن ما يزيد عن ألف سنة ؟

الجواب : إن الاستبعاد ليس دليلاً، ولا يعارض الدليل، وقد عرفت قيام الأدلة العقلية والنقلية على ولادته وغيبته، فهل يجوز أن ندفعها بالاستبعاد، مع أنه لا استبعاد في ذلك بعد نصّ القرآن العظيم على مثله في نوح، وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً^(١)، ونقل أنه عاش ألفاً وثلاثمائة سنة. وفي رواية عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عاش ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة، وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة كما هو مذكور في التوراة، وعاش شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة، وجاءت الروايات ببقاء الخضر إلى الآن، وكذلك إلياس وإدريس.

ونصّ القرآن الكريم على بقاء عيسى ورفعته إلى السماء^(٢)، وجاءت الروايات المتفق عليها بين الفريقين على أنه ينزل عند خروج المهدي عليه السلام ويصلي خلفه، فكيف جاز بقاء المأموم طول هذه المدّة وحياته، وامتنع بقاء الإمام؟ هذا مع ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: كلّ ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.

وجاءت روايات الفريقين بحياة الدجال، وهو كافر معاند مضلّ، وبقائه إلى خروج المهدي عليه السلام، فيقتله المهدي عليه السلام، فكيف امتنع في وليّ الله ما وقع مع عدوّ الله؟ ونسب معتقده إلى الجهل وسخافة العقل.

ونصّ الكتاب العزيز على بقاء إبليس إلى يوم القيامة^(٣) وهو غاوٍ مضلّ، وقد

(١) العنكبوت : ١٤ .

(٢) النساء / ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) سورة الحجر : ٣٧ - ٣٨، وسورة ص : ٨٠ - ٨١ .

صنّف أبو حاتم السجستاني كتاباً خاصاً بالمعمرين^(١).

وقد نصّ القرآن الكريم على بقاء أهل الكهف أحياءً وهم نيام، وكلّهم باسط ذراعيه بالوصيد^(٢)، فلبثوا في رقدتهم الأولى ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، كما نطق به القرآن العظيم، فأَيُّها أعجب وأغرب وأبعد، بقاء رجل يأكل ويشرب ويمشي وينام ويستيقظ ويتنظّف مدّة طويلة، أم بقاء أشخاص نيام في مكان واحد لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنظّفون؟

وقد نصّ القرآن الكريم على إمامة عزيز مائة عام ثمّ إحيائه وطعامه لم يتسنّه ولم يتغيّر وجماره معه^(٣)، فأَيُّها أعجب وأدعى للاستغراب والاستبعاد، هذا أم بقاء المهدي عليه السلام؟

وقد نصّ الكتاب العزيز على بقاء أهل الجنة والنار^(٤)، وجاءت الأخبار بلا خلاف بأنّ أهل الجنة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواسّ.

قال السيّد محسن الأمين (عليه الرحمة): وقد شاهدنا في زماننا بقاء الأجسام بعد الموت محفوظة بالأدوية ألوفاً من السنين في الملك الذي أخرج من صيدا وهو في تابوت مغموراً بالماء لم يُفقّد من جسمه شيء، ونقل بتابوته إلى القسطنطينية في عهد السلطان عبد الحميد العثماني، وتاريخه قبل المسيح عليه السلام.

(١) كتاب (المعمرّون) طبع أوّل مرّة في مصر سنة ١٣٢٣ هـ.

(٢) الكهف: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

(٤) الأمثلة القرآنية حول خلود أهل الجنة والنار كثيرة.

وشاهدنا في مصر أجسام الفراعنة مَحْطَّة باقية من عهد موسى عليه السلام أو قبله بأكفانها والتماسيح المَحْطَّة والمعزى والحنطة والخبز وغير ذلك، وبهذه السنين استخرج في مصر أحد الفراعنة المسمّى (توت عنخ آمون) وجسمه لم يبل ومائدته أمامه عليها الفواكه، فإذا جاز على الله تعالى أن يلهم عباده معرفة الأدوية المحافظة لأجسام الموتي والحيوانات وغيرها أوفاً من السنين، أما يجوز عليه أن يطول عمر شخص ويبقيه حياً زماناً طويلاً؟

وقد ضرب السيّد ابن طاووس عليه السلام في كتاب (كشف المحجّة) مثلاً لرفع استبعاد بقاء المهدي حياً بين الناس مدّة طويلة وهم لا يعرفونه، حين حصلت بينه وبين بعض علماء بغداد من أهل السنة مناظرة في ذلك، فقال: لو أنّ رجلاً حضر إلى بغداد وادّعى أنّه يستطيع المشي على الماء، وضرب لذلك موعداً، أترى أنّ أحداً من أهل بغداد كان يتخلف عن ذلك الموعد؟ لا شكّ أنّه لا يتخلف أحد أو يتخلف النادر، ثمّ إذا حضر في اليوم المعين ومشى على الماء، وقال: إنّهُ في اليوم الثاني يريد أن يفعل مثل ذلك، أفكان يحضر من الناس مثلما حضر في اليوم الأوّل؟ لا شكّ أنّ الحاضرين يكونون أقلّ من اليوم الأوّل بكثير، وإذا قال إنّهُ في اليوم الثالث يريد أن يفعل مثل ذلك، فلا شكّ أنّه لا يحضره أحد أو يحضره النادر، وإذا تكرّر ذلك منه كثيراً لا ينظر إليه أحد، ولا يستغرب منه ذلك، فكذلك المهدي عليه السلام لما كان بقاء مثله زماناً طويلاً قليل يستغربه الناس، ولو نظروا إلى تكرّر وقوعه في الأعصار السابقة يرتفع الاستغراب.

وأقول: إنّهُ في زماننا ونحن بدمشق جاء خبر بأنّ طيّارة عثمانية تريد الهجاء إلى دمشق، ولم تكن الناس رأّت الطائرات، فلم يبقَ بدمشق أحد إلاّ خرج للنظر إليها، فلمّا جاءت ثانياً وثالثاً قلّ المتفرّجون، إلى أن صارت الطائرات اليوم بمنزلة

الطيور لا ينظر إليها أحد ولا يستغرب أمرها^(١).

جواب العلامة الطبرسي :

وأجاب العلامة الطبرسي عن مسألة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام بعد أن

طرح التساؤل التالي :

قالوا : لا يمكن أن يكون في العالم بشر له من السن ما تصفونه لإمامكم، وهو مع ذلك كامل العقل، صحيح الحسّ؟ وأكثروا التعجّب من ذلك، وشنّعوا به علينا.

والجواب : أنّ من لزم طريق النظر، وفرّق بين المقدور والمحال، لم ينكر ذلك، إلا أن يعدل عن الإنصاف إلى العناد والخلاف.

وطول العمر وخروجه عن المعتاد لا اعتراض به لأمرين :

أحدهما : إنّنا لا نسلّم أنّ ذلك خارق للعادة، لأنّ تطاول الزمان لا ينافي وجود الحياة، وإنّ مرور الأوقات لا تأثير له في العلوم والقدر، ومن قرأ الأخبار ونظر فيما سطر في الكتب من ذكر المعمرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العادة به، وقد نطق القرآن بذكر نوح وأنه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً. وقد صنّفت الكتب في أخبار المعمرين من العرب والعجم، وقد تظاهرت الأخبار بأنّ أطول بني آدم عمراً الخضر عليه السلام، وأجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأمة بأسرها - ما خلا المعتزلة والخوارج - على أنّه موجود في هذا الزمان، حيّ كامل العقل، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب.

(١) أعيان الشيعة ٢ : ٦١ - ٦٢، في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام ٥ : ٦٩.

ولا خلاف في أنّ سلمان الفارسي أدرك رسول الله ﷺ وقد قارب من عمره أربعمئة عام.

وهب أنّ المعتزلة والخواارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار، فكيف يمكنهم دفع القرآن وقد نطق بدوام أهل الجنة والنار، وجاءت الأخبار بلا خلاف بين الأمة فيها بأن أهل الجنة لا يهرمون ولا يضعفون، ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس.

ولو كان ذلك منكرًا من جهة العقول لما جاء به القرآن، ولا حصل عليه الإجماع، ومن اعترف بالخضر عليه السلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد، ومن أنكره حجّته الأخبار، وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فلما أتاه ملك الموت عليه السلام قال له: يا نوح، يا أكبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف رأيت الدنيا؟

قال: مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر»^(١). وكان لقمان بن عاد الكبير أطول الناس عمراً بعد الخضر، وذلك أنّه عاش ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة. ويقال: إنّهُ عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فرّبا، حتّى كان آخرها لبد وكان أطولها عمراً فقليل: أتى أجد على لبد^(٢).

(١) راجع كتاب المقنع في الغيبة للسيد المرتضى رحمه الله تعالى : ١٥٥.

(٢) كمال الدين : ٥٥٩.

وعاش الربيع بن ضبع الفزاري ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، وأدرك النبي ﷺ وهو الذي يقول :

ها أنا ذا أملُ الخلودَ وقد أدركَ عمري ومولدي حجرا
أما امرئ القيس قد سمعتُ به هيهات هيهات طال ذا عمرا
وهو القائل :

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد أودى المسرة والغناء
وله حديث طويل مع عبد الملك بن مروان.

وعاش المستوعر بن ربيعة ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين سنة، وهو الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرتُ من بعد السنين سنينا
وعاش أكرم بن صيفي الأسدي ثلاثمائة وستاً وأربعين سنة، وهو الذي يقول :

وإن امرءاً قد عاش تسعين حجّةً إلى مائةٍ لم يسأم العيش جاهلُ
خلت مائتانٍ غير ستٍّ وأربع وذلك من عدّ الليالي قلائلُ
وكان ممن أدرك النبي ﷺ وأمن به، ومات قبل أن يلقاه.

وعاش دريد بن زيد أربعائة سنة وستاً وخمسين سنة، فلمّا حضره الموت قال :

ألقي عليّ الدهر رجلاً ويذا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا
يُفسد ما أصلحه اليوم غدا

وعاش دريد بن الصمة مائتي سنة، وقتل يوم حنين.
وعاش صيفي بن رياح بن أكرم مائتي سنة وسبعين سنة، لا يُنكر من عقله

شيئاً وهو ذو الحلم، زعموا فيه ما قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما
 وعاش نصر بن دهمان بن سليم بن أشجع مائة وتسعين سنة حتى سقطت
 أسنانه، وبيض رأسه، فاحتاج قومه إلى رأيه، فدعوا الله أن يرده إليه عقله، فعاد
 إليه شبابه واسود شعره، فقال في ذلك سلمة بن الخرشب :

لنصر بن دهمان الهنيذة عاشها وتسعين حولاً ثم قوم فانصاتا
 وعاد سواد الرأس بعد بياضه وراجعه شرح الشباب الذي فاتا
 وعاش مملياً في رخاء وغبطة ولكنّه من بعد ذا كلّه ماتا
 وعاش ضبيرة بن سعيد السهمي مائتين وعشرين سنة، وكان أسود الرأس
 صحيح الأسنان.

وعاش عمرو بن حممة الدوسي أربعاًئة سنة، وهو الذي يقول :

كبرتُ وطالَ العمرُ حتى كأنني سليمٌ يراعي ليله غير مودع
 فلا الموتُ أنساني ولكن تتابعتُ عليّ سنونٌ من مصيفٍ ومرتع
 ثلاث مئاةٍ قد مررتُ كواملاً وها أنا ذا أرتجي مرّاً أربع
 وروى الهيثم بن عديّ، عن مجاهد، عن الشعبي قال : كُنّا عند ابن عباس في
 قبة زمزم وهو يفتي الناس، فقام إليه أعرابي : فقال قد أفتيت أهل الفتوى فافت
 أهل الشعر.

فقال : قل.

قال : ما معنى قول الشاعر :

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما
 قال : ذلك عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثاًئة سنة. فلمّا كبر

الزموه السادس أو السابع من ولد ولده، فقال: إن فؤادي بضعة مني، فربما تغير عليّ في اليوم مراراً، وأمثل ما أكون فهماً في صدر النهار، فإذا رأيتني قد تغيرت فاقرع العصا، فكان إذا رأى منه تغير أقرع العصا فراجعه فهمه.

وعاش زهير بن حُبَاب بن عبد الله بن كنانة بن عوف أربعائة سنة وعشرين سنة، وكان سيِّداً مطاعاً شريفاً في قومه.

وعاش الحارث بن مضاخ الجرهمي أربعائة سنة، وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجونِ إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمرُ بمكّة سامرُ
بلى نعنُّ كُنّا أهلها فأبارنا صروفُ الليالي والمجدودُ العوائرُ

وعاش عامر بن الظرب العدواني مائة سنة، وكان من حكماء العرب، وله يقول ذو الأصبغ:

ومنا حكم يقضي ولا ينقض ما يقضي^(١)

فهذا طرف يسير ممّا ذكر من المعتمّرين، وفي إيراد أكثرهم إطالة في الكتاب، وإذا ثبت أن الله سبحانه قد عمّر خلقاً من البشر ما ذكرناه من الأعمار، وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء، وبعضهم غير حجّة، وبعضهم كفّار، ولم يكن ذلك محالاً في قدرته، ولا منكرأ في حكته، ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار، معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي ينكر من عمر صاحب الزمان أن يتناول إلى غاية عمر بعض من سمّيناه، وهو حجّة الله تعالى على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته في أرضه، وخاتم أوصياء نبيّه عليه السلام؟ وقد صحّ عن رسول الله عليه السلام أنّه قال: «كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنّه يكون في هذه الأمة مثله حدو النعل بالنعل،

والقذة بالقذة»^(١).

هذا وأكثر المسلمين يعترفون ببقاء المسيح عليه السلام حياً إلى هذه الغاية، شاباً قوياً، وليس في وجود الشباب مع طول الحياة - إن لم يثبت ما ذكرناه - أكثر من أنه نقض للعادة في هذا الزمان، وذلك غير منكر على ما نذكره.

والأمر الآخر: أن نسلم لمخالفينا أن طول العمر إلى هذا الحد مع وجود الشباب خارق للعادات - عادة زماننا هذا وغيره - وذلك جائز عندنا وعند أكثر المسلمين، فإن إظهار المعجزات عندهم وعندنا يجوز على من ليس بنبي، من إمام أو ولي، لا ينكر ذلك من جميع الأمة إلا المعتزلة والخوارج، وإن سُمي بعض الأمة ذلك كرامات لا معجزات، ولا اعتبار بالأسماء، بل المراد خرق العادات، ومن أنكر ذلك في باب الأئمة فإننا لا نجد فرقاً بينه وبين البراهمة في إنكارهم إظهار المعجزات ونقض العادات لأحد من البشر، وإلا فليات القوم بالفصل، وهيئات^(٢).

جواب السيد الشهيد الصدر الأول عليه السلام :

وأجاب السيد الشهيد محمد باقر الصدر عليه السلام حول مسألة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام من جهة الإمكان العملي والعلمي والفلسفي، وهو جواب متين نوره من بحثه حول المهدي عليه السلام المنشور في مقدمة كتاب (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) للمتقي الهندي صاحب كنز العمال.

قال عليه السلام : كيف تأتي للمهدي هذا العمر الطويل ؟

(١) كمال الدين : ٥٧٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٠١ / ١.

(٢) إعلام الوري : ٤٧١، كشف الغمة ٣ : ٣٥١ - ٣٥٦.

وبكلمة أخرى هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قرونًا كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي (١٤) مرّة من عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمرّ بكلّ المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة ؟

وكلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي. وأقصد بالإمكان العملي، أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك أو لإنسان آخر فعلاً أن يحقّقه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي، أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحرّكة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصّة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إنّ اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك، لأنّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلّا فارق درجة، ولا يمثّل الصعود إلى الزهرة إلّا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً، وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً.

وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنّه غير ممكن علمياً، بمعنى أنّ العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لا يتصوّر علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثّل أتوناً هائلاً

مستراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية - أي سابقة على التجربة - ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأنّ العقل يدرك - قبل أن يمارس أيّ تجربة - أنّ الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي، لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بجمارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تتسرّب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة، وإنما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرّب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أنّ الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي.

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أيّ تناقض، لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكانيّاً عملياً على نحو الإمكانيات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأنّ

العلم بوسائله وأدواته المحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرةً على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لها من العمر إلا بقدر ما هو مألوف.

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية، وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفلسفي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطل في لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي، أو أن هذا التصلب وهذا التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية، للقيام بأدوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف، أو ما يقوم به من عمل مكثف، أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جاد في الإجابة عليه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي. فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة، فهذا يعني أن بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان على تلك المؤثرات المعينة أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة، وتتغلب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحيّة نفسها، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها

المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

وإذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرن، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى أن الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء. بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معين كالإنسان. فليس ذلك إلا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى.

وهذا يعني أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان سواءً فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخّص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقائه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب .

ونلاحظ أنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجياً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان .

وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام - الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر - حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب : أنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم، أو ليست الشريعة الإسلامية ككلّ قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة ؟ أو لم تنادِ بشعارات طرحت خطأً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين ؟ أو لم تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟ أو لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثمّ جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟ !

فإذا كنّا نؤمن بهذا كله فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة سبحانه وتعالى أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي عليه السلام ؟ وأنا هنا لم أتكلّم إلا عن مظاهر سبق التي نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر سبق التي تحدّثنا بها رسالة السماء نفسها .

ومثال ذلك أنها تخبرنا بأن النبي صلى الله عليه وآله قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وهذا الإسراء، إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول صلى الله عليه وآله التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء. ولكن أو ليس الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس وما مرت بهم من تطورات التأريخ؟ أو ليس قد أنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟ فلماذا نستغرب إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإن غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف، مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه.

فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد تأريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تأريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية، وهو نوح عليه السلام، الذي نصّ القرآن الكريم على أنه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة، وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد؟

والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية، وهو المهدي عليه السلام، الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام، وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد، فلماذا نقبل نوح عليه السلام الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير ولا نقبل المهدي عليه السلام؟

المعجزة والعمر الطويل :

لقد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطّها الطويل أن تتغلب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟

إنّته يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهدي - قرونًا متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء.

وليسست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم، المستمدّة من نصّ القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة حتى يتساويا، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب

الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون، فقبل للنار حين ألقى فيها إبراهيم: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(١)، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى عليه السلام، وشبهه للرومان أنهم قبضوا على عيسى عليه السلام، ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد عليه السلام من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كلّ هذه الحالات تمثّل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام، وهو أنه كلما توقّف الحفاظ على حياة حجة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أعدّها لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعدّها لها ربانياً، فإنّه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادةً بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطل القانون؟ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة

الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية ؟

والجواب : أن العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي . وتوضيح ذلك : أن القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة ، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى ، يستدلّ بهذا الاطراد على قانون طبيعي ، وهو أنه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها ، غير أن العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها ، وصميم تلك وذاتها ، لأن الضرورة حالة غيبية ، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها ، ولهذا فإن منطق العلم الحديث ، يؤكد أن القانون الطبيعي - كما يعرفه العلم - لا يتحدّث عن علاقة ضرورية ، بل عن اقتران مستمرّ بين ظاهرتين ، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين .

والحقيقة أن المعجزة بمفهومها الديني ، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممّا كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية ، فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أن كلّ ظاهرتين اطرّدت اقتران إحداها بالأخرى ، فالعلاقة بينها علاقة ضرورة ، والضرورة تعني أن من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى ، ولكن هذه العلاقة تحوّلت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية .

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدّي إلى استحالة .

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء، فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في أن الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكننا نرى أنه يدل على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.

لماذا هذا الحرص على إطالة عمره عليه السلام ؟

ونتناول الآن السؤال الذي يقول : لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان بالذات، فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لإطالة عمره؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل، وتنضجه إرهابات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر.

وبكلمة أخرى : ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة، وما المبرر لها؟

وكثير من الناس يسألون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً، فنحن نؤمن بأن الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة لا يمكن التعويض عن أي واحد منهم، غير أن هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود.

وعلى هذا الأساس تقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي تؤمن بتوقرها، في

هؤلاء الأئمة المعصومين ونطرح السؤال التالي :

إننا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدخر، عاملاً من عوامل إنجاحها وتمكّنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر؟

ونجيب على ذلك بالإيجاب، وذلك لعدّة أسباب منها ما يلي :

إنّ عملية التغيير الكبرى تتطلّب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها مشحوناً بالشعور بالتفوّق والإحساس بضآلة الكيانات الشاغخة، التي أُعدّ للقضاء عليها، ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغيّر من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها وإحساس واضح بأنّها مجرد نقطة على الخطّ الطويل لحضارة الإنسان، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدّها حتى النصر.

ومن الواضح أنّ الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلّما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ، تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المقعم.

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم بالجور، تغييراً شاملاً بكلّ قيمه الحضارية وكياناته المتنوّعة، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كلّه، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظلّ تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العدل والحقّ، لأنّ من ينشأ في ظلّ حضارة راسخة، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبية تجاهها لأنّه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً

وهي جبارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة، وخلافاً لذلك شخص يتوغّل في التأريخ، عاش الدنيا قبل أن ترَ تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأخرى، ثم تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينه ولم يقرأه في كتاب تأريخ، ثم رأى الحضارة التي يقدر لها أن تكون الفصل الأخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين، ثم شاهدتها وقد اتخذت مواقعها في أحشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر، ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وترحف وتصاب بالنكسة تارة، ويحالفها التوفيق تارة أخرى، ثم واكبها وهي تزدهر وتتعمق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله.

فإنّ شخصاً من هذا القبيل عاش كلّ هذه المراحل ببطئ وانباه كاملين، ينظر إلى هذا العملاق - الذي يريد أن يصارعه - من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسّه لا في بطون كتب التأريخ فحسب، ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو) إلى الملكية في فرنسا، فقد جاء عنه أنّه كان يربعه مجرّداً أن يتصوّر فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكراً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذٍ، لأنّ (روسو) هذا نشأ في ظلّ الملكية وتنفس هواءها طيلة حياته.

وأما هذا الشخص المتوغّل في التأريخ، فله هيبة التأريخ وقوّة التأريخ والشعور المفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة، وليد يوم من أيام التأريخ، تهيّأت له الأسباب فوجد، وستهيّأ الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء، كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد، وأنّ الأعمار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طالّت، فهي ليست إلّا أياماً قصيرة في عمر التأريخ الطويل.

الشبهات المثارة حول عقيدة المهدي عليه السلام ٥٤٥

هل قرأت سورة الكهف؟ وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا برَبِّهم وزادهم الله هدى؟ وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك، فضاقت نفوسهم، ودبَّ إليها اليأس، وسدَّت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحلول، وكبر في نفوسهم أن يظلَّ الباطل يحكم ويظلم ويقهر الحقَّ ويصقِّي كلَّ من يخفق قلبه للحقِّ، هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم؟

إنَّه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف، ثمَّ بعثهم من نومهم، ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوَّته وظلمه، قد تداعى وسقط، وأصبح تأريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرك ساكناً، كلَّ ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوَّته واستمراره، ويروا انتهاء أمره بأعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم.

ولئن تحقَّقت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكلِّ ما تحمل من زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدَّد حياتهم ثلاثمائة سنة، فإنَّ الشيء نفسه يتحقَّق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهو مجرد نسمة.

أضف إلى ذلك: أنَّ التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوُّراتها، لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود، لأنَّها تضع الشخص المدَّخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكلِّ ما فيها من نقاط الضعف والقوَّة، ومن ألوان الخطأ والصواب،

وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها، وكلّ ملابساتها التاريخية.

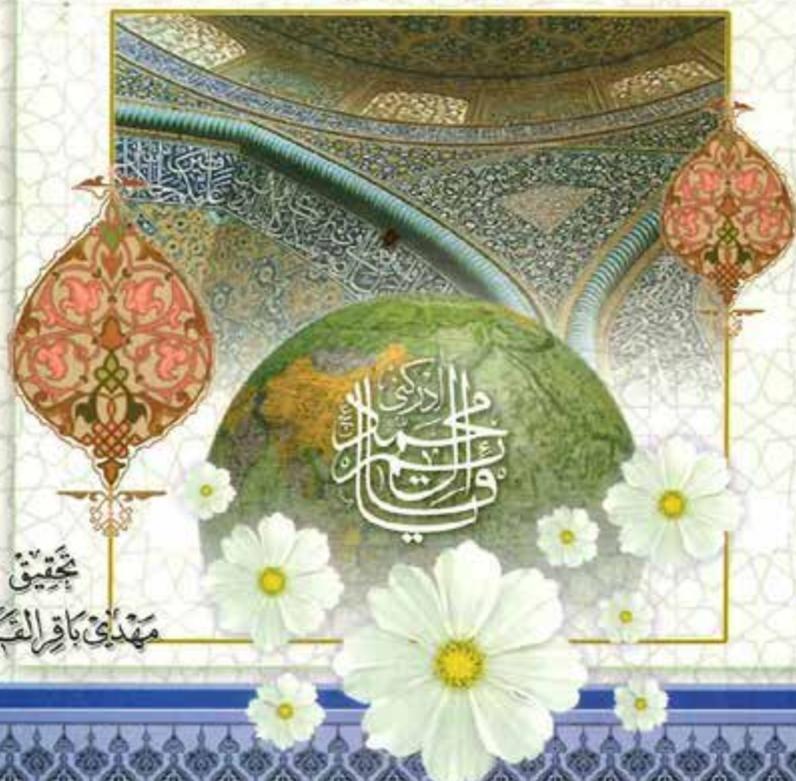
ثم إنّ عملية التغيير المدخّرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معيّنة، هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلّب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى، قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة التي يقدر لليوم الموعود أن يحاربها، وخلافاً لذلك الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة، وتتفتح أفكاره ومشاعره في إطارها، فإنّه لا يتخلّص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييرية ضدها، فلكي يضمن عدم تأثر القائد المدخّر بالحضارة التي أُعدّ لاستبدالها، لا بدّ أن تكون شخصيته قد بنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة، هي أقرب ما تكون في الروح العامّة، ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضارية التي يتّجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته^(١).

(١) بحث حول المهدي عليه السلام / الشهيد الصدر : ١١ - ٢٦.

حِكْمَاتُ
الْأَمْرِ الْمَنْظُورِ

المُصَلِّحِ الْأَعْظَمِ

تَأَلَّفَ
بِأَوْشَرِ تَفِيدِ الْقُرَشِيِّ



تَحْقِيقُ
مَهْدِيِّ بَاوَرِ الْقُرَشِيِّ

الأفكار المنبذة

المصليح الأعظم

بإشرافه في المصليح

الناشر: مجمع الذخائر الاسلامية

المطبعة: شريعت

الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ / ق / ١٣٨٥ هـ ش

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

شابك

ISBN 964 - 8589 - 89 - 5 ٩٦٤ - ٨٥٨٩ - ٨٩ - ٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

٢ - امتداد عمره عليه السلام

وكثير التساؤل عن امتداد عمر الإمام عليه السلام ، وكيف عاش هذه المدّة الطويلة التي

(١) منتخب الأثر: ٢٧١ و ٢٧٢.

(٢) كمال الدين: ٤٣٧ و ٤٣٨. جلاء العيون: ١٥٧/٣ و ١٥٨.

تزيد على ألف ومائة وخمسين عاماً ، ولا يخضع لأعراض الشيخوخة والهزم الذي هو ظاهرة طبيعية للإنسان ، فإن أنسجة جسمه وخلاياه تتصلب بالتدريج ، وكلما امتد عمر الإنسان فإنها لا بد أن تتعطل ، وذلك لصراعها مع الميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى جسم الإنسان من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف أو غيره ، الأمر الذي يؤدي إلى مفارقة الحياة .

للجواب عن هذا السؤال نقول :

أولاً: إن إطالة عمر الإنسان أمر ممكن عقلاً ، وليس مستحيلاً ككون الشيء في آن واحد فرداً وزوجاً ، فلنفرضه كصعود الإنسان إلى القمر أو أي كوكب آخر ، فإنه ممكن عقلاً ، وقد تحقّق ذلك بعد أن تهيأت الأسباب الطبيعية له ، فإطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام أمر ممكن علمياً وخارجياً ، وذلك بمشيئة الله تعالى بعزله لأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن المؤثرات الخارجية التي تسبّب هرم الجسم وفناءه ، وقد تحقّق ذلك في العالم الخارجي ، فإن نبيّ الله تعالى نوح عليه السلام قد مكث في قومه ألف عام إلاّ خمسين سنة حسب ما نصّ عليه القرآن الكريم ، فلماذا نقبل ونؤمن بإطالة عمر نوح ولا نؤمن بإطالة عمر الإمام المنتظر عليه السلام ، وكلّ منهما موكل بالإصلاح الاجتماعي بين الناس ؟

ثانياً: إنّا لو سلّمنا مجازةً أنّ إطالة عمر الإنسان مئات السنين وآلاف السنين أمر غير ممكن عقلاً ؛ لأنّ فيه تعطيلاً للقوانين الطبيعية التي تقضي بهرم الإنسان وفنائه ، إلّا أنّ ذلك أمر ممكن بالنسبة إليه تعالى وحده ، فقد جعل النار التي هي علّة تامّة للإحراق برداً وسلاماً على خليله ونبيّه إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١) ، وكذلك فلق تعالى البحر لنبيّه موسى عليه السلام ، وأنقذه مع المؤمنين من قومه من الغرق ، وأغرق فرعون وجنوده ، أليس في ذلك تعطيلاً

١٩٨ الإِطْرُ الْمُنْتَظَرُ الْمُنْتَظَرُ الْأَعْظَمُ

للقوانين الطبيعية؟ فلتكن قوانين الشيخوخة من هذا القبيل .

إنَّ عناية الله تعالى تتدخَّل لتجميد القوانين الطبيعية ، وإلغاء تأثيرها لإنقاذ أوليائه وأنبيائه ، فقد خرج النبي ﷺ من داره حينما أحاطت به قريش لتصفيته جسدياً ، فستر الله عيونهم عن رؤيته ، وجعل عليها غشاوة ، وكان يمشي بينهم وهم لا يبصرونه .

٣ - لماذا هذا العمر المديد؟

وثمة سؤال آخر طرح على ساحة هذا الموضوع ، وهو : لماذا هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للإمام المنتظر ﷺ؟ ولم لا يكون عمره كعمر جدّه رسول الله ﷺ وعمر آباءه الأئمة الطاهرين ﷺ؟

والجواب عن ذلك هو أن الله تعالى قد خصَّ الإمام المنتظر ﷺ بإصلاح العالم بأسره ، وأوكل إليه إنقاذ الإنسان من التيارات المظلمة التي تعصف بحياته ، وتجعله في متاهات سحيقة في مجاهل هذه الحياة ، فالإمام المنتظر ﷺ آخر مصلح اجتماعي .

فلا بدّ أن تمرَّ الأدوار المظلمة التي عانى منها الإنسان الخطوب والمآسي ، ليكون هو الفصل الأخير الذي ينجّر النور ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً .

إنَّ الإمام المنتظر ﷺ هو العملاق الذي يغيّر مجرى تاريخ الحياة ، وقيمتها على أساس مزدهر من الحضارة الكبرى التي تعقب الحضارات التي تسود العالم ، والتي هي مليئة بالظلم والجور ، فلا بدّ له من العمر المديد ليطلع على الدنيا بأسرها ، ويقف على أوجهها المختلفة ليقوم بالإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة .

الحقيقة المهدوية

دراسة وتحليل

مجموعة محاضرات تتناول أبعاداً جديدة في القضية المهدوية

مكتبة
الذكي
مكتبة
الذكي

السيد منير الخباز

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف - شارع السور - قرب جبل الحويش
هاتف: ٢١٨٣١٨ و ٣٧٢٠١١، النقال: ٠٧٨٠٤٧٥٤٥٣٥
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
info@m-mahdi.com

الحقيقة المهدوية (دراسة وتحليل)

السيد منير الخباز

إعداد وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية

في الإمام المهدي عليه السلام

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ

النجف الأشرف

رقم الإصدار: ١١٩

عدد النسخ: ٣٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة للمركز

المحور الثالث: فلسفة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام:

وهنا نسأل سؤالاً هو لبُّ الموضوع، وهو أن طول عمر الإمام المهدي عليه السلام بأي معنى من معاني الإرادة؟ فإننا لا نتكلم عن الغيبة بشكل خاص، بل نتحدث عن فلسفة طول العمر سواء أكان غائباً أم حاضراً، فهل أن طول عمر الإمام المهدي عليه السلام جاء لعامل بشري بمعنى أنه وقع اتفاقاً من دون أهداف منشودة أو جاء لتخطيط سماوي هادف؟ وبعبارة أخرى هل أن الإمام ولد في ذلك التاريخ وبقي هذا العمر الطويل بقي نفسه من الأمراض استناداً لأسباب طبيعية محضة لا دخل للتخطيط السماوي فيها، أو أن القضية تخضع للإرادة الإلهية والتخطيط السماوي؟

والأقرب هو الثاني، أي إن الله أراد بتخطيط سماوي ولأجل أهداف معينة أن يعيش الإمام هذا العمر الطويل، فإرادة الله هنا بالمعنى

الثالث أي إعداد الأسباب لبقاء عمره الطويل التي منها وقاية الإمام عليه السلام نفسه من الأمراض لعلمه بأسبابها الطبيعية.

ما هي فلسفة بقاء الإمام عليه السلام هذا العمر الطويل؟ وهل لبقائه هدف أم أنه من باب الصدفة؟ ما هو الهدف من بقاءه؟
إن بقاء الإمام هذا العمر الطويل يعود لثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الشهادة الحسية:

ولتوضيح هذا الوجه نذكر أمرين:

الأمر الأول:

هناك فرق في علم القانون بين الشهادة العلمية والشهادة الحسية، فإذا تحرك رجل حركة مريبة فتارة تراه بعينك يرتكب جريمة فهذه شهادة حسية لأنك رأيت بعينك، وتارة لم تراه بعينك ولكن بقرائن حافة به استنتجت نتيجة قطعية بأنه يرتكب جريمة، وهذا الاستنتاج شهادة علمية، وليست شهادة حسية، لأنك لم تراه بعينك.

وفي علم القانون لا اعتراف بالشهادة العلمية حتى ولو كنت قاطعاً مائة بالمائة، فالمعترف به هو الشهادة الحسية فقط، لأنها هي الشهادة القاطعة للعدر والاحتجاج.

لذلك نرى الإنسان حتى في يوم القيامة يحاول الهروب، إذ يؤتى المذنب صحيفته فيرى كتابه، ويقال له: هذا عملك لكنه لا يقبل، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤)، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ (النحل: ١١١)، ومع أن الملائكة تشهد، وكتاب عمله يشهد، مع ذلك يجادل الإنسان، فأى شيء يفحم الإنسان في يوم القيامة ويسكته؟ الجواب هو الشهادة الحسية، قال

تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت: ٢١)، فإذا قامت الشهادة الحسية من الجوارح حينئذ يصمت الإنسان ويفحم ويسلم بالأمر. إذن فالشهادة الحسية هي ذات القيمة القانونية.

الأمر الثاني:

وضع الله في كل زمان شاهداً على المجتمع يشهد على أعماله ومظالمه شهادة حسية، مثلاً: عيسى بن مريم عليه السلام، يقول القرآن الكريم عنه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، شهيداً على أعمالهم ومظالمهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧). ويقول القرآن في حق النبي محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة: ١٤٣)، فكان الرسول في حياته يشهد على الأمة شهادة حسية وبعد وفاته يشهد عليهم شهادة علمية.

وكل زمن له إمام يشهد عليه، يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، يؤتى بإمامهم لكي يشهد عليهم. هذا هو إمامكم الذي كان شاهداً حسياً على أعمالكم ومظالمكم.

إذن لكل جيل ولكل زمن حجة وإمام يشهد على أعمالهم شهادة حسية، من أجل ذلك ولد الإمام المنتظر عليه السلام في مواعده وبقي إلى أن يأذن له الله تعالى له بالظهور ليسجل الشهادة الحسية على جميع الجرائم والمظالم الذي ارتكبت في حق الأمة الإسلامية منذ يوم وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام إلى يوم ظهوره، وهو أحد الشهود الحسينيين الذين يشهدون بهذه المظالم.

ولذلك ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» (الدخان: ٤)، قال عليه السلام: «تلك ليلة القدر يكتب فيها وفد الحاج وما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة ويحدث الله في الليل والنهار وما يشاء ثم يلقى إلى صاحب الأرض»، قال الحرث بن المغيرة البصري، قلت: ومن صاحب الأرض؟ قال: «صاحبكم»^(١)، كل ذلك تلقى إلى النبي ثم إلى الأئمة حتى تنتهي إلى صاحب الزمان.

وهذا المعنى هو الذي نقرأه في دعاء ليلة النصف من شعبان: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنَا وَمَوْلُودِهَا... سَيْفُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَنْبُو وَتَوْرَةُ الَّذِي لَا يَخْبُو وَدُو الْجَلْمِ الَّذِي لَا يَصْبُو مَدَارُ الدَّهْرِ وَتَوَامِسُ العَصْرِ وَوَلَاةُ الأَمْرِ وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَزَلُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ»^(٢).

الوجه الثاني: التكامل اليقيني في المقام الروحي:

تحدث الشهيد السعيد المفكر الكبير الإمام السيد محمد باقر الصدر رحمته الله في كتابه (بحث حول المهدي عليه السلام) عن بقاء الإمام هذا العمر الطويل وذكر عبارة أصبحت مثاراً للجدل ومضمونها أنّ السرّ في بقاء الإمام العمر الطويل أنّ ضخامة الدور يقتضي الضخامة في الكفاءة، فأبقى الله الإمام هذا العمر الطويل لكي تكون معاصرته للحضارات المختلفة والدول المتباينة رصيماً نفسياً له بعده ويؤهله للقيام بدوره وهو إقامة الدولة العادلة على الأرض كلها، وهذا المطلوب أصبح مثاراً للتأمل، لأنّ الإمام منذ ولادته إمام يمتلك الطاقات والمواهب التي تؤهله للقيام

(١) بصائر الدرجات: ٢٤١/باب ما يلقى إلى الأئمة في ليلة القدر.../ ح ٤.

(٢) مصباح المتعبد: ٨٤٢ و ٨٤٣/الرقم (٢٣/٩٠٨).

بدوره، فجاهزته للقيام بدوره لا تحتاج إلى أن يعاصر الحضارات المختلفة والدول المتباينة حتى يكتسب منها رصيذاً يؤهله إلى القيام بدوره، إذن ما معنى كلامه عليه السلام؟

الجواب: من المحتمل جداً أن يكون مقصوده توجيه بقاء الإمام عليه السلام العمر الطويل بالنسبة لمن لا يؤمن بالإمامة والأهلية الغيبية لشخصية الإمام عليه السلام كما هو ظاهر بعض عباراته، لذلك علل طول البقاء بكونه عاملاً مهماً في اكتساب الرصيد النفسي الذي يؤهل الإمام عليه السلام للقيام بدوره القيادي.

كما يمكن لنا أن نوجه كلامه عليه السلام بالتكامل اليقيني في المقام الروحي، ومحصل الفكرة ما ذكره بعض الشعراء في الإمام علي عليه السلام:

قد حباه بكل فضل عظيم
وبمقدار ما حباه ابتلاه

فإن مضمونه أن هناك تعادلاً بين النعم والمواهب وبين المحن والابتلاء، فما يعطيه عليه السلام من النعم والمقامات قد يكون جزاءً لما امتحن به عبده من البلاء، وما يتلي به الله المعصومين عليهم السلام قد يكون عوضاً وبدلاً عما أفاض عليهم من النعم، فبمقدار ما أعطي أمير المؤمنين عليه السلام من المقامات امتحن بمثلها من الابتلاءات ليكون هذا بهذا، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام الحجّة عليه السلام فإنه إنما أعطي هذا العمر الطويل ليكون ابتلاءً له بمقدار ما سيفاض عليه من المقامات عند خروجه، وبيان ذلك:

ما معنى التكامل اليقيني في المقام الروحي؟

هنا أمران:

الأمر الأول:

عند الرجوع لتاريخ الأنبياء نجد أن جميعهم قد مروا بفترات امتحان وابتلاء، مثلاً إبراهيم عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

قال إني جاعلك للناس إماماً (البقرة: ١٢٤)، وقال تعالى في حق الأئمة من بني إسرائيل: (وجعلنا منهم أئمةً يهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) (السجدة: ٢٤)، أي لم نعظمهم الإمامة حتى تجاوزوا الامتحان بالصبر، وقال تعالى في حق يوسف عليه السلام: (ولما بلغ أشده آتيناه حُكْمًا وَعِلْمًا) (يوسف: ٢٢)، وكذلك قال تعالى في حق موسى بن عمران عليه السلام ما يشير لمسألة الامتحان، وكان ذلك الامتحان عنصراً ضرورياً لبلوغهم أعلى مقام يقيني من المقامات الروحية، حيث يتدرج النبي من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين، إلى درجة حق اليقين بحيث يتكامل في المقامات الروحية تكاملاً يقينياً إلى أن يصبح مؤهلاً لدرجة الإمامة، قال تعالى: (وَإِذْ أُنزِلَتْ آيَاتُ الْكِتَابِ فَلْيُتْلَ عَلَيْهِمْ نِجْمٌ ذُرِّيُّمٌ يَلْمِزُهُمُ الْكَيْفَ يُعْلِمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (البقرة: ١٢٤).

هل النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يخضعون للتكامل أيضاً؟
 بمعنى أنهم هل يسرون مسار التكامل في المقامات الروحية؟

الجواب: إن الأئمة عليهم السلام أئمة منذ ولادتهم ولديهم الجاهزية التامة للقيام بأي دور يراد منهم ولا حاجة لهم للبقاء طويلاً لأجل اكتساب خبرة أو رصيد نفسي أو جاهزية للإمامة، لكنهم مع ذلك يتكاملون، على مستوى العلم وعلى مستوى المقام الروحي.

أمّا على مستوى العلم، فترجع إلى الجزء السادس والعشرين من كتاب (بحار الأنوار)^(١)، ذكر هناك باباً تحت عنوان: (أنهم عليهم السلام يزدون ولولا ذلك لنفد ما عندهم)، يوجد في هذا الباب رواية قطعية السند قد تعددت طرقها ورواتها، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إننا لنزاد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفد ما عندنا».

ورواية محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله عليه السلام، عن سليمان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك سمعتك وأنت تقول غير مرة: «لولا أنا نزاد لأنفدنا»، قال: «أما الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيه بكماله ولا يزداد الإمام في حلال وحرام»، قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ فقال: «في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام»، أي إن التشريع مكتمل من زمن النبي لا زيادة فيه، إنما يزداد في المعلومات الأخرى غير التشريعية.

قال: قلت: فتزدون شيئاً يخفى على رسول الله ﷺ؟ قال: «لا، إنما يخرج الأمر من عند الله فتأتيه^(١) به الملك رسول الله ﷺ، فيقول: يا محمد ربك يأمر بك كذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى علي، فيأتي علياً عليه السلام، فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق واحداً بعد واحد حتى يخرج إلينا»، قلت: فتزدون شيئاً لا يعلمه رسول الله ﷺ؟ فقال: «ويحك كيف يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله ﷺ والإمام من قبله؟»^(٢).

إذن الإمام مع أنه منذ ولادته أعلم الناس وفي كل لحظة تمرُّ عليه هو أفضل الخلق علماً وعملاً وإلاً لم يكن إماماً، إلا أنه في نفس الوقت يخضع لتكامل علمي لا في علم التشريع ولا غيره من العلوم الاجتماعية والطبيعية لانكشاف الواقع أمامه، وإنما التكامل في علمهم ومعرفتهم بالله ﷻ، فالإمام في إطار تكامل علمي بالله سبحانه في كل لحظة وفي كل آن، مع أنه في كل لحظة هو أكمل الناس، ولا تمرُّ لحظة على الإمام وهناك من هو أعلم منه، بل هو في

(١) هكذا في المصدر، وفي الاختصاص وبحار الأنوار: (فيأتي به الملك).

(٢) بصائر الدرجات: ٤١٣/باب ما تزداد الأئمة.../ح ٥.

كل لحظة أعلم الناس وأكمل الناس، ولو لم يكن أكمل لما جاز أن يكون إماماً لقبح تقديم المفضول على الفاضل.

والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يخضعون للتكامل على مستوى المقامات الروحية أيضاً، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠)، وقال في آية أخرى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢)، فما معنى تثبيت الفؤاد؟

ليس معناه أن النبي ينتقل من الشك إلى اليقين أو من القلق إلى الاطمئنان، أو كانت المعلومة مشوشة ثم تصيح واضحة.

بل معنى تثبيت الفؤاد هو التكامل في المقام الروحي بحيث ينتقل من مقام روحي إلى مقام روحي آخر في كل لحظة وفي كل آن، وكذلك بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام.

مثلاً: بقاء الإمام علي عليه السلام مظلوماً في داره خمساً وعشرين سنة امتحان وابتلاء بهدف تكامل في مقامه الروحي الذي هو سبب مقاماته الأخروية العالية. كما أن تعرض الإمام الحسن عليه السلام لهذه الهجمة الشرسة ابتلاء للتكامل في مقامه الروحي.

كما أن تعرض الإمام الحسين عليه السلام لهذه المجزرة البشعة ابتلاء وتكامل في المقام الروحي.

الأمر الثاني:

إنَّ التكامل في المقام الروحي للأئمة الطاهرين عليهم السلام ليس دخيلاً في إمامتهم، فهم أئمة منذ ولادتهم كما ورد في روايات عالم الأنوار^(١)،

(١) راجع: بصائر الدرجات: ٩٩ - ١٠١.

وكما ورد في الزيارة الجامعة: «خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُخْلِقِينَ»^(١). ومن كان نوراً قبل خلق الوجود كيف تكون إمامته محتاجة إلى التكامل في المقام الروحي؟

وكما أنه ليس دخيلاً في إمامتهم، فإنه ليس دخيلاً في جاهزيتهم وصلاحياتهم للقيام بأدوارهم كدور المهدي عليه السلام.

فلماذا التكامل في المقام الروحي؟

إنَّ الهدف من جعل الحجج عليهم السلام في إطار التكامل الروحي تفضيلهم على سائر الخلق، وإعداد المقامات الأخروية لهم، كما أنَّ الهدف من ابتلائهم بمختلف المحن والنواب المَعْدَّة للتكامل الروحي أن تكون عوضاً عمّا وهب لهم من المقامات الملكوتية الدنيوية، مثلاً نرى في كتاب بحار الأنوار روايات متعدّدة تقول: «إنَّ الله تعالى عَوَّضَ الحسین عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره»^(٢).

يقول كثير من علمائنا: إنَّ الحسن أفضل من الحسين، لأنَّ الحسين كان مأموماً للحسن، ومع ذلك فإنَّ الله جعل الإمامة في ذرية الحسين، لأنَّه مرَّ بامتحان عسير لم يمرَّ به إمام آخر، وهو تعرّضه لهذه المجزرة العظيمة، وهذا الامتحان الذي تعرّض له كما كان تكاملاً في مقامه الروحي، فإنَّه عَوَّضَ عنه بأن جعلت الإمامة في ذريته و الشفاء في تربته والإجابة عند قبره.

إذن فمن المحتمل أن يكون مقصود السيّد الشهيد الصدر عليه السلام أن الإمام المنتظر أعطي هذا العمر الطويل امتحاناً وابتلاءً له، وبذلك يكون طريقاً من طرق

(١) المزار لابن المشهدي: ٥٢٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٢١/باب ٢٩/ح ١، عن أمالي الطوسي: ٣١٧/ح (٩١/٦٤٤).

التكامل الروحي و عوضاً وبدلاً مكافئاً لما أُعطي و وُهب من المقامات الشرفية
آخر الزمان التي لم تُعط لحجّة من الحجج قبله. وبعبارة أخرى إنّ الإمام
المهدي عليه السلام نتيجة طول عمره يتحمّل آلاماً ثلاثة:

١ _ ألم الغيبة: وهي تعني عدم القدرة على نشر وتطبيق العلوم
والمعارف كما يريد عليه السلام، فإنّ ألم العالم أن لا يقدر على نشر علمه
ومعارفه، لذلك كان جلوس أمير المؤمنين خمسة وعشرين سنة في داره
أكبر ألم له، لأنّه منع عن نشر معالمه ومعارفه وتطبيقها.

٢ _ ألم الجرائم: التي ترتكب في حقّ الأئمة الإسلامية التي
يشاهدها الإمام بعينه يومياً، ويتحمّل غصصها يوماً بعد يوم.

٣ _ ألم المعاصي: التي يرتكبها بعض شيعته فيراهم بعينه فيتألّم
لأجلهم.

وهذه الآلام امتحان للإمام، ولا يكون الامتحان جزافاً ومن دون
سبب، لذلك يمكن أن يكون بقاء الإمام هذا العمر الطويل متحملاً لهذه
الآلام الشديدة له المساوقة للتكامل في المقام الروحي عوضاً عمّا أنعم
الله عليه بأن جعل الدولة الخاتمة على يده، وأن تكون بهجة الدين
والمؤمنين تحت لوائه عليه السلام.

إذن البقاء هذا العمر الطويل ليس دخيلاً في الإمامة، وليس دخيلاً
في اللياقة والجاهزية للدور، ولكنّه امتحان عوّض عليه وجوزي عليه بهذا
الدور العظيم وبهذه الدولة الخاتمة.

الوجه الثالث: حفظ الشريعة:

إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، ومفادها الغرض

والهدف من نزول الشريعة هو انتشار العدالة والقسط، وانتشار العدالة والقسط يتوقف على حفظ الشريعة.

فكما أنّ حكمة الله شاءت أن ينصب لنا أنبياء وأئمة، فقد شاءت حكمته أن يحفظ الشريعة بهؤلاء الأنبياء والأئمة، فوظيفة كل إمام حفظ الشريعة في زمانه، والحفظ له ثلاث درجات:

١ - حفظ تشريعي، عبّر عنه الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، بمعنى حفظ القرآن عن التحريف بيد الإمام المنتظر عليه السلام.

٢ - حفظ تعليمي، وهو ما يقوم به الفقهاء في الحوزات العلمية من حفظ تعليمي للشريعة، وترويج علوم الشريعة تحت نظر الإمام أيضاً.

٣ - حفظ عملي، حيث إنّ كل مجتمع فيه فئة متديّنة تحفظ الشريعة حفظاً عملياً، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١)، من هؤلاء المؤمنين الذين اشتراهم الله؟ ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِئِينَ بِالنُّورِ وَالْمُوقِنُونَ بِالْحَدِيثِ﴾ (التوبة: ١١٢)، وهؤلاء هؤلاء هم المسؤولون عن حفظ الشريعة حفظاً عملياً.

فهناك حفظ تشريعي يقوم به الإمام بحفظ القرآن في زمن الغيبة عن أي تحريف، وهناك حفظ تعليمي يقوم به الفقهاء في الحوزات العلمية استناداً لمدد الإمام وبركته عليه السلام، وهناك حفظ عملي يقوم به

المؤمنون في كلِّ مجتمع وبلدة بتسديد وتأيد الإمام المهدي عليه السلام،
﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، والروح
التي يؤيد الله بها المؤمنين هي روح المهدي المنتظر عليه السلام.
فهو عليه السلام يقوم في عصر الغيبة بحفظ التشريع وحفظ التعليم
وحفظ التطبيق والعمل.

والحفظ للدين هو هدف آبائه وأجداده، وهو مسؤولية آبائه
وأجداده، فما قام أمير المؤمنين إلا لأجل حفظ الدين، وما قام الحسين
بن علي إلا لأجل حفظ الدين، وقال: «وإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا
مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي
محمد عليه السلام، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١)، وأعطاه الله
فتية قام عليهم حفظ الدين منهم القاسم بن الحسن الذي كان عمره أحد
عشر سنة لكنّه كان يفيض شجاعة وبسالة حفظاً لمبادئه ودينه.

والحمد لله ربّ العالمين

* * *

مسئدي الأمم



تأليف

الشيخ عبدالله حسن آل درويش

دار الأولياء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الثاني: طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يقول: في القائم سنة من نوح وهو طول العمر^(١).

وروى عن أمير المؤمنين قال عليه السلام: إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه^(٢).

وروى عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغييات حادثة في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، قال أبو بصير: فقلت: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإمام، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون^(٣).

هذا وقد أشبع علماءنا مسألة طول عمر الإمام وبقائه عليه السلام بالأدلة والبراهين العلمية، وعدم المانع من طول عمره^(٤)، كما أبقى الله تعالى المسيح

(١) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٢٢ ح ٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٠٣ ح ١٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق: ٣٤٦ ح ٣١.

(٤) ومن الكتب في ذلك مايلي:

- كتاب (البراهين الاثنا عشر على وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام)، تأليف

السيد طيب الجزائري في ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧، نشر مؤسسة دار

الكتاب الجزائري، قم - إيران.

- كتاب (البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان عليه السلام) تأليف

عيسى بن مريم والخضر عليهما السلام من الصالحين، وإبليس والدجال من الشريرين.

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة: إن أهل العناد والجحود يصدقون بمثل هذا الخبر ويروونه في الدجال وغيبته وطول بقائه المدة الطويلة وخروجه في آخر الزمان، ولا يصدقون بأمر القائم عليه السلام وأنه يغيب مدة طويلة، ثم يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، مع نص النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بعده عليه باسمه وغيبته ونسبه، وإخبارهم بطول غيبته إرادة لإطفاء نور الله عز وجل وإبطالاً لأمر ولي الله، وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، وأكثر ما يحتجون به في دفعهم لأمر الحجة عليه السلام أنهم يقولون: لم نرو هذه الأخبار التي تروونها في شأنه ولا نعرفها.

وهكذا يقول من ييحد نبوة نبينا صلى الله عليه وآله من الملحددين والبراهمة واليهود والنصارى والمجوس أنه ما صح عندنا شيء مما تروونه من معجزاته ودلائله ولا نعرفها، فنعتقد ببطلان أمره هذه الجهة، ومتى لزمنا ما يقولون لزمهم ما تقوله هذه الطوائف وهم أكثر عدداً منهم، ويقولون أيضاً: ليس في موجب عقولنا أن يعمر أحد في زماننا هذا عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، فقد تجاوز عمر صاحبكم على زعمكم عمر أهل الزمان.

فنقول لهم: أتصدقون على أن الدجال في الغيبة يجوز أن يعمر عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، وكذلك إبليس اللعين ولا تصدقون بمثل ذلك لقائم

أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي (ت ٤٤٩) عن النسخة الخطية من مكتبة الإمام الرضا عليه السلام، تأريخ النسخ سنة ٦٧٧.

- كتاب (عمر الإمام المهدي عليه السلام) تأليف السيد علي السبزواري، تقديم وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، النجف الأشرف.

- كتاب (عمر الإمام المهدي عليه السلام في كفة الحسابات) تأليف الشيخ نجم السبتي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ شمسي، نشر دار المجتبي.

آل محمد صلى عليهم السلام؟ مع النصوص الواردة فيه بالغيبة وطول العمر والظهور بعد ذلك للقيام بأمر الله عزَّ وجلَّ وما روي في ذلك من الأخبار التي قد ذكرتها في هذا الكتاب ومع ما صحح عن النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

وقد كان فيمن مضى من أنبياء الله عزَّ وجلَّ وحججه عليهم السلام معمرين، أما نوح عليه السلام فإنه عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة، ونطق القرآن بأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً" وقد روي في الخبر الذي قد أسندته في هذا الكتاب أن في القائم عليه السلام سنة من نوح عليه السلام وهي طول العمر فكيف يدفع أمره، ولا يدفع ما يشبهه من الأمور التي ليس شيء منها في موجب العقول، بل لزم الاقرار بها لأنها رويت عن النبي صلى الله عليه وآله.

وهكذا يلزم الاقرار بالقائم عليه السلام من طريق السمع وفي موجب أي عقل من العقول أنه يجوز أن يلبث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً" هل وقع التصديق بذلك إلا من طريق السمع، فلم لا يقع التصديق بأمر القائم عليه السلام أيضاً من طريق السمع، وكيف يصدقون ما يرد من الأخبار عن وهب بن المنبه، وعن كعب الأحبار في المحالات التي لا يصح شيء منها في قول الرسول صلى الله عليه وآله ولا في موجب العقول، ولا يصدقون بما يرد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في القائم وغيبته وظهوره بعد شك أكثر الناس في أمره وارتدادهم عن القول به، كما تنطق به الآثار الصحيحة عنهم عليه السلام هل هذا إلا مكابرة في دفع الحق

(١) قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} سورة الكهف، الآية: ٢٥.

وجحوده.

كيف لا يقولون: إنه لما كان في الزمان غير محتمل للتعمير وجب أن تجري سنة الأولين بالتعمير في أشهر الأجناس تصديقاً لقول صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله ولا جنس أشهر من جنس القائم صلى الله عليه وآله لأنه مذكور في الشرق والغرب على السنة المقرين به و السنة المنكرين له.

ومتى بطل وقوع الغيبة بالقائم الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام مع الروايات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أخبر بوقوعها به عليه السلام بطلت نبوته لأنه يكون قد أخبر بوقوع الغيبة بمن لم يقع به، ومتى صح كذبه في شيء لم يكن نبياً وكيف يصدق عليه السلام فيما أخبر به في أمر عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية، وفي أمير المؤمنين عليه السلام أنه تخضب لحيته من دم رأسه، وفي الحسن بن علي عليهما السلام أنه مقتول بالسهم، وفي الحسين بن علي عليهما السلام أنه مقتول بالسيف؟ ولا يصدق فيما أخبر به من أمر القائم ووقوع الغيبة به والتعيين عليه باسمه ونسبه؟!

بلى هو عليه السلام صادق في جميع أقواله، مصيب في جميع أحواله، ولا يصح إيمان عبد حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى ويسلم له في جميع الأمور تسليماً، ولا يخالطه شك ولا ارتياب، وهذا هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٣).

ومن أعجب العجائب أن مخالفينا يروون أن عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأرض كربلاء فرأى عدة من الأطباء هناك مجتمعة، فأقبلت إليه وهي تبكي وأنه جلس وجلس الحواريون فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟

قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أُمي، ويلحد فيها، هي أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، وهذه الطباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شرقاً إلى تربة الفرخ المستشهد المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، ثم ضرب بيده إلى بعير تلك الطباء فشمها فقال: اللهم أبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء و سلوة، وإنها بقيت إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام حتى شمها وبكى وأخبر بقصتها لما مر بكربلاء.

فيصدقون بأن بعير تلك الطباء تبقى زيادة على خمسمائة سنة لم تغيرها الأمطار والرياح ومرور الأيام والليالي والسنين عليه، ولا يصدقون بأن القائم من آل محمد عليهم السلام يبقى حتى يخرج بالسيف فيببر أعداء الله عزَّ وجلَّ ويظهر دين الله مع الأخبار الواردة عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم بالنص عليه باسمه ونسبه وغيبته المدة الطويلة، وجرى سنن الأولين فيه بالتعمير، هل هذا إلا عناد وجحود للحق؟ نعوذ بالله من الخذلان^(١).

كما اعترف أيضاً بعض أعلام السنة بطول عمر الإمام وأنه لا ضير في ذلك منهم: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) قال في: شعب الإيمان، ط ١، دار المعارف - الهند، وقال: اختلف الناس في أمر المهدي فتوقف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله... ولا امتناع في طول عمره، وامتداد أيامه كعيسى بن مريم والخضر^(٢).

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان): في الدلالة على كون المهدي عليه السلام حياً

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٥٢٩ - ٥٣٢.

(٢) حياة الإمام المهدي عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي: ٢١٦.

٥٦ الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢
٣١٤ مهدي الأمم ﷺ

باقياً منذ غيبته إلى الآن، ولا امتناع في بقاءه، بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى.. الخ^(١) وقد تقدم كلامه في الحديث حول الأعلام الذين ذكروا ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) في كتابه (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول عليهم السلام)^(٢): وأما عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختمى وإلى الآن.. وليس يبدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مدَّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفياه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه.. الخ^(٣) وغيرهم أيضاً من أعلام السنة.

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي: ٥٢١، (الباب الخامس والعشرون) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١١١٩.
(٢) مطالب السؤل، ابن طلحة الشافعي: ٢ / ١٥٢، باب ١٢.
(٣) مطالب السؤل، ابن طلحة الشافعي: ٢ / ١٦٠ - ١٦١، باب ١٢.

وكلاء الإمام المهدي عليه السلام

في زمن الغيبة الصغرى من غير السفراء

ويليه بحوث ودراسات مهدوية

تأليف

حسن الشيخ عبد الأمير الظالمي



27

دار المتقين
بيروت - لبنان

أمانة مسجد السهلة
مؤسسة مسجد السهلة المعظم

تنفيذ طباعي
دار المتقين
للثقافة والعلوم والطباعة والنشر
بيروت لبنان - طريق المطار
مفرق مطعم الساحة
بناية شاهين ط ١
٠٠٩٦١٣٩٥٣٦٢٢
Email: walialah@yahoo.com

البحث الرابع

إشكالية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

يعتقد الشيعة الإمامية بالإمامة كأصل من أصول الدين عندهم، ويستندون إلى العديد من الآيات القرآنية التي تدلُّ على أن الله سبحانه جعل في كلِّ زمانٍ خليفة في الأرض لكي لا تخلو الأرض من حجة بعد الرسل، ولكي لا يقول الناس: ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (طه: ١٣٤).

وعن هذه العقيدة يقول السيد محمد باقر الصدر رحمته الله:

(الإمامة إمتداد روحي وعقائدي للنبوّة ووريثٌ لرسالة السماء، وقد مارست باستمرار دورها في تصحيح مسار دولة الرسول ﷺ وإعادة تها إلى طريقها النبوي الصحيح، وقدّم الأئمة عليهم السلام في هذا السبيل زخماً هائلاً من التضحيات)^(١).

ويقول أيضاً: (إنَّ النبيَّ والإمامَ معيّنان من الله تعالى تعييناً شخصياً)^(٢).

والإمام يجب أن يكون معصوماً أي مجسداً للرسالة بقيمها وأحكامها في كلِّ سلوكه وأفكاره ومشاعره، ولا بدُّ أن تكون هذه

(١) الإسلام يقود الحياة: ١٢٨.

(٢) المصدر السابق.

النظافة مطلقة متوفرة قبل تسلمه للنبوّة والإمامة لأنّ النبوّة والإمامة عهد ربّاني إلى الشخص، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، والإمام كالنبيّ شهيد وخليفة لله في الأرض من أجل أن يواصل الحفاظ على الرسالة وتحقيق أهدافها^(١).

وعضدت تلك الآيات أحاديث شريفة عن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله متواترة سنداً ومتناً يفصح عن خلفائه من بعده ويُعدّد أسماءهم، رواها علماء ومحدثون من كلا المدرستين نأخذ منها ثلاثة أحاديث على سبيل المثال:

١ _ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخراهم القائم الذي يفتح الله صلى الله عليه وآله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»^(٢).

٢ _ عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيّد النبيّين، وعلي بن أبي طالب سيّد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب، وآخراهم القائم»^(٣).

٣ _ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جابر إنّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن علي المعروف بالباقر

(١) الإسلام يقود الحياة: ١٤٤.

(٢) كمال الدين: ٢٨٢/باب ٢٤/ح ٣٥.

(٣) كمال الدين: ٢٨٠/باب ٢٤/ح ٢٩.

ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيته محمد بن الحسن بن علي، ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»^(١).

وقد وردت آيات من القرآن الكريم تدلُّ على أن الله سبحانه قد وعد أوليائه المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض لينشروا رسالة الإسلام في ربوع المعمورة، ومن هذه الآيات، قوله تعالى:

١ - ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

٢ - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتُخْلِفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥).

٣ - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وقد صرح النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أن هذا الوعد الإلهي سيتحقق على يد الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت الذي هو الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام، ومن أحاديثه عليه السلام:

١ - عن الحسين عليه السلام، قال: «دخلت أنا وأخي علي جدِّي رسول الله ﷺ

فأجلسني على فخذه، وأجلس أخي الحسن على فخذه الأخرى، ثم قَبَلْنَا فقال:
بأبي أنتما من إمامين صالحين اختار كما الله مني، ومن أبيكما وأمكما، واختار من
صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم...»^(١).

٢_ وقال ﷺ: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٢).

٣_ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر
الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً
كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي»^(٣).

ثم توالى الروايات عن الأئمة عليهم السلام يتحدثون عن ولدهم المهدي
وأنه هو الذي يخرج في آخر الزمان ليقسم حكم الله في الأرض، ومن
تلك الروايات:

١_ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «للقائم منا غيبة أمدها طويل»^(٤).

٢_ وقال الحسن عليه السلام: «ذلك - أي القائم عليه السلام - التاسع من ولد
أخي الحسين، ابن سيّدة الإمام، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره
بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة...»^(٥).

٣_ وقال الإمام الحسين عليه السلام: «قائم هذه الأمة هو التاسع من
ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي»^(٦).

(١) كمال الدين: ٢٦٩/باب ٢٤/ح ١٢.

(٢) الغيبة للطوسي: ١٨٦/ح ١٤٥.

(٣) شرح إحقاق الحق: ١٣: ١٦٦، عن التذكرة لسبط ابن الجوزي: ٢٠٤/ط طهران/١١٨٥ هـ.

(٤) كمال الدين: ٣٠٣/باب ٢٦/ح ١٤.

(٥) كمال الدين: ٣١٦/باب ٢٩/ح ٢.

(٦) كمال الدين: ٣١٧/باب ٣٠/ح ٢.

٤_ وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده»^(١).

٥_ وقال الإمام الباقر عليه السلام: «المهدي من هذه العترة تكون له حيرة وغيبة»^(٢).

٦_ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإمام من بعدي ابني موسى، والخلف المأمول المنتظر (م ح م د) ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى»^(٣).

٧_ وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم»^(٤).

٨_ وقال الرضا عليه السلام وقد قيل له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: «الرابع من ولدي ابن سيّدة الإمام، يطهر الله به الأرض من كل جور، ويقدرسها من كل ظلم، وهو الذي يشكُّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه...»^(٥).

٩_ وقال الإمام الجواد عليه السلام: «إنَّ الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه»، ثم سكت. فقلت له: يا ابن

(١) الاحتجاج ٢: ٥٠.

(٢) كمال الدين: ٣٣٠/باب ٣٢/ح ١٤.

(٣) كمال الدين: ٣٣٤/باب ٣٣/ح ٤.

(٤) الكافي ١: ٣٣٦/باب في الغيبة/ح ٢.

(٥) كمال الدين: ٣٧٢/باب ٣٥/ح ٥.

رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: «إنَّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر»^(١).

١٠ _ وقال الإمام الهادي عليه السلام: «إنَّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

١١ _ وقال أحمد بن إسحاق: ... فقلت له _ أي العسكري عليه السلام _ يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة من بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء الثلاث سنين، فقال: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله تعالى، وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنَّه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

فالأحاديث تؤكد أنَّ الذي تتطَّلَع إليه البشرية لينقذها من الظلم والتسلُّط هو الإمام محمد بن الحسن العسكري الثاني عشر من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

وفعلاً فقد وُلد الإمام المهدي عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥هـ)، فعقَّ عنه الإمام الحسن عليه السلام ووزَّع اللحم والخبز على الفقراء وكتب إلى ثقة أصحابه في الأمصار وعرضه على المخلصين منهم وبلغ عددُ من رآه في حياة أبيه (٢٦٢) شخصاً كما أحصى ذلك السيّد

(١) كمال الدين: ٣٧٨/باب ٣٦/ح ٣.

(٢) كمال الدين: ٣٨٣/باب ٣٧/ح ١٠.

(٣) كمال الدين: ٣٨٤/باب ٣٨/ح ١.

البحراني في كتابه (تبصرة الولي)، وكذلك ذكرهم صاحب كتاب (غاية المرام فيمن شاهد الإمام)، وكان آخر مرة شوهد فيها حينما صلى على جنازة أبيه وهو مسجى في صحن الدار وأمام الملائم غاب عن الأنظار مدة سبعين عاماً يتصل فيها بشيعته عن طريق سفرائه في بغداد حتى انقطعت السفارة بوفاة السفير الرابع سنة (٣٢٩هـ) ووقعت الغيبة الكبرى التامة حتى يأذن الله بالظهور.

هذه نبذة مختصرة من حياة الإمام المهدي عليه السلام وبيان عقيدتنا فيه كما رسمها القرآن الكريم وأفصح عنها النبي محمد ﷺ وأوصياؤه الطاهرون عليهم السلام.

ولرُبَّ سائل يسأل: لقد بلغ عمر الإمام عليه السلام الآن (١١٧٦) عاماً وهو خارج عن السنن الطبيعية لبني البشر فكيف يتأتى لشخص أن يعيش كل هذه السنين ولربّما تطول مدة غيبته لأكثر منها؟
إنّ الأدلة على بقاء الإمام المهدي عليه السلام حياً طيلة هذه المدة كثيرة نستطيع تلخيصها في الفقرات التالية:

أولاً: الدليل الديني من القرآن والسنة:

يقول الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه الإمام المهدي المنتظر (ص ٨١):

(المفروض لمن آمن بالله ورسوله الإيمان بما قام على صحته البرهان والرجوع إلى ما شرّعه الإسلام في نصوص القرآن الكريم من التحدّث عن أنباء الغيب والإفادة بما أبقته الأحاديث الشريفة من آثار تدعّم هذا الاعتقاد، فقد آمن المسلمون بقيام الكائن الملائكي بمهمّاته

المتعددة وآمنوا بنطق المسيح في المهد وبعث يحيى صيباً، وآمنوا بثعبان موسى ويده البيضاء، وآمنوا ببقاء أهل الكهف (٣٠٩) سنة نياماً ثم بعثوا من جديد، وآمنوا بعروج عيسى إلى السماء، إلى غير ذلك من المغيبات، والكتاب والسنة هما مصدر التشريع لدى المسلمين وليس لمسلم إنكار ذلك ولا ردُّ ما ورد بهما).

ويضيف السيد محمد جمال الهامشي قائلاً: (الحقيقة أن موضوع الإمام الغائب من مواضيع الدين الغيبية المستورة عن وعلي الفكر البشري لا يعلمها إلا الله الخبير البصير بكل الأمور)^(١).

ولنرجع إلى القرآن الكريم لنجد الأمثلة شاخصة في كتاب الله على طول عمر العديد من الأشخاص أفصحت عنهم الآيات القرآنية، ومنهم:

١ - نبي الله نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ قَالِبَتٍ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عاش (٢٣٠٠) سنة منها قبل البعثة وفي البعثة وبعد الطوفان.

٢ - النبي عيسى عليه السلام حيث أخبرت الآيات بحياته إلى الآن، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧ و ١٥٨).

٣ _ النبي يونس عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٢﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٣﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٤﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٣٥﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصفّات: ١٣٩ - ١٤٤).

واللبث هو البقاء على قيد الحياة، وهي إشارة إلى بقائه وبقاء الحوت إلى يوم القيامة على حالهما، وهو أمر يحتاج من المسلم المنصف أن يفكر فيه جيداً، فالآية تثبت إمكانية البقاء حياً وإمكانية الاختفاء مع كونه نبياً مرسلًا لم تسقط نبوته.

٤ _ الخضر عليه السلام، حيث تؤكد روايات وأحاديث الفرق الإسلامية أنه حي قبل زمان موسى عليه السلام إلى أن يخرج مع الإمام المهدي عليه السلام في دولته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «... وأما العبد الصالح _ أعني الخضر عليه السلام _ فإنَّ الله تبارك وتعالى ما طولَّ عمره لنبوة قدرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشرعية ينسخ بها شرعية من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طولَّ عمر العبد الصالح في غير سبب...»^(١).

٤ _ أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

٥_ إبليس الذي قال لربه: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٥ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٦ - ٣٨).

كل أولئك الأشخاص وغيرهم ممن ذكرهم القرآن الكريم عاشوا مدداً طويلة بلا شك هي أطول من عمر الإمام المهدي وبذلك بقدره الله سبحانه، ولا تتوقف تلك القدرة عن إطالة عمر وليّ ادّخره الله لانقاذ العالم ونشر شريعة السماء في الأرض.

ثمّ إنّنا نستقرئ الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد على ذلك البقاء وتلك الحياة، نأخذ منها على سبيل المثال:

١_ حديث الثقلين، قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١).

والحديث صريح في النقاط التالية:

أ_ أنّ النبي ﷺ يترك خليفتهين بعده هما: كتاب الله والعتره لهداية الأمة.

ب_ أنّهما باقيان لن يفترقا عن بعضهما إلى يوم القيامة.

ج_ أنّ الرسول ينصّ على أنّ التمسك بهما يعصم الأمة من الضلالة.

(١) رواه الخاصة والعامة بألفاظ مختلفة، فراجع: بصائر الدرجات: ٤٣٢ - ٤٣٤/باب ١٧/ح ١ - ٦؛ أمالي الصدوق: ٥٠٠/ح (١٥/٦٨٦)؛ تحف العقول: ٤٢٦؛ الغيبة للنعماني: ٥٠/باب ٢/ح ٢؛ مسند أحمد: ٣: ١٤؛ فضائل الصحابة للنسائي: ١٥؛ مستدرک الحاكم: ٣: ١٠٩؛ المعجم الكبير للطبراني: ٣: ٦٦/ح ٢٦٧٩؛ وغيرها من المصادر.

يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي: (والخلاصة من هذا الحديث أنّ الله تعالى لم يطلعنا على أسرار غيبه إلا القليل، وما عرفناه منه قد أخبرنا به الصادق الأمين عليه السلام ببقاء حجة من أهل بيته في الناس على وجه الأرض إلى يوم القيامة، فتعبد بحديثه ونحيل علم ما لا نعلم إلى من يعلم)^(١).

٢ _ حديثه عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٢)، ورواه أحمد في مسنده: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٣)، ورواه الحاكم في المستدرک: «من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موة جاهلية»^(٤)، ورواه ثقة أصحابنا، وهو يدل على الآتي:

أ _ أنّ الأرض لا تصلح إلا بإمام.

ب _ لا بد في كل زمان أن يعرف المسلم إمام زمانه ومعرفة دين والجهل به جاهلية.

ج _ من يموت وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهلية.

د _ لا بد أن يكون في كل زمان إمام تجب طاعته.

(١) مجلة الانتظار / ص ٧ / العدد ٣ / ١٤٢٥ هـ.

(٢) رواه الخاصة والعامة بألفاظ مختلفة، فراجع: المحاسن للبرقي ١: ٩٢ / ح ٤٦؛ بصائر الدرجات: ٢٧٩ / باب ١٥ / ح ٥٠؛ الكافي ١: ٣٧١ و ٣٧٢ / باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أو تأخر / ح ٥٠؛ ثواب الأعمال: ٢٠٥؛ مستند أبي داود: ٢٥٩؛ مستند أبي يعلى ١٣: ٣٦٦ / ح ٧٣٧٥؛ صحيح ابن حبان ١٠: ٤٣٤؛ المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣٨٨؛ وغيرها من المصادر.

(٣) مستند أحمد ٤: ٩٦.

(٤) مستدرک الحاكم ١: ٧٧.

هـ _ إنَّ التفسير الوحيد لهذه الرواية هو ما تعرفه الإمامية وتعتقد به في استمرار الإمامة في أهل البيت منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى اليوم وعدم انقطاعها بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وإنما هي متصلة ببقاء ولده المهدي عليه السلام.

٣ _ حديثه صلى الله عليه وآله: «الأئمة بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»^(١)، وقد مر ذكره.

٤ _ حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِلَّا مَا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمًا خَائِفًا مَغْمُورًا لِنَلَا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ»^(٢)، وهو واضح الدلالة على بقاء الإمام المهدي عليه السلام الغائب طيلة هذه الفترة.

أما على الصعيد التاريخي، فقد تحدثت كتب التاريخ عن أناس عاشوا فتراتٍ طويلة من السنين، وألف السجستاني كتاباً أسماه (المعمرون)، ومنهم:

١ _ عوج بن عناق، عمّر (٣٦٠٠) سنة.

٢ _ ذو القرنين، عمّر (٢٠٠٠) سنة.

٣ _ لقمان الحكيم بن عاد، عمّر (٣٥٠٠) سنة.

٤ _ ملك فارس الذي أتت عيد النوروز، عمّر (٢٥٠٠) سنة.

٥ _ أكثم بن صيفي، عمّر (٣٨٠) سنة.

(١) رواه الخاصة والعامة بألفاظ مختلفة، فراجع: كفاية الأثر: ٢٧؛ أمالي الصدوق: ١٧٣/ح (١١/١٧٥)؛ روضة الواعظين: ١٠٢؛ الصراط المستقيم ٢: ١٢٦؛ مسند أحمد ٥: ٨٧؛ صحيح البخاري ٨: ١٢٧؛ صحيح مسلم ٦: ٣؛ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩/ح ٤٢٧٩؛ وغيرها من المصادر.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٣٧/ح ١٤٧.

٦ _ قس بن ساعدة الأبادي، عمّر (٦٠٠) سنة.

٧ _ سلمان الفارسي، عمّر (٣٥٠) سنة.

وذكر الكثير غيرهم الشيخ المفيد في كتابه المسائل العشر في الإمام المنتظر (ص ٨٨)، فليراجع.

هذا هو الدليل الديني الذي يعتمد على الغيب، وإننا ملزمون بالإيمان بالغيب كما في قوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ١ - ٣).

ثانياً: الدليل العقلي:

يُقسّم المناطق الموجودة في الكون إلى: واجب، وممكن.

فالواجب: هو علّة العلل، وهو الله سبحانه، والممكن: ما تساوى وجوده وعدمه، وهناك ما يمتنع وجوده كاجتماع النقيضين.

والسؤال هنا: هل من الممكن أن يعيش الإنسان قروناً كثيرةً كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم؟

يجيب المفكر الإسلامي السيد محمد باقر الصدر رحمته الله فيقول:

(كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي.

وأقصد بالإمكان العملي: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي: أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو

لك أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إن اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك، لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلا فارق درجة، ولا يمثل الصعود إلى الزهرة إلا مرحلة تذييل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً...

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية _ أي سابقة على التجربة _ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته. فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأن العقل يدرك _ قبل أن يمارس أي تجربة _ أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي، لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً...

وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي. ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأن ذلك ليس مستحيلًا من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض، لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع...^(١).

ثالثاً: الدليل العلمي:

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية، بل إن علماء الطب منشغلون فعلاً بمحاولات حثيثة لإطالة عمر الإنسان^(١).

إن علماء الأنسجة توصّوا إلى أن كل الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحي قابلة للاستمرار إلى ما لا نهاية إذا لم يعرض لها ما يقطع حياتها. وأصبح من المقرر عندهم أنه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسرت له جميع الظروف المناسبة، بل لقد قرروا أن الأجزاء الأولية للأنسجة يمكن أن تبقى حية نامية ما دام يتوفّر لها الغذاء اللازم^(٢).

ونشرت مجلة المقتطف القاهرية في عددها الثالث (سنة ١٩٥٩م/ ص ٢٨٣) مقالاً تحت عنوان (هل يخلد الإنسان): قال الأستاذ (بيمن دروف) من أساتذة جامعة (هوبتر): إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية في جسم الإنسان قد ثبت خلودها بالقوة بل هو مثبت بالامتحان، وأخبر الدكتور (ورون لويس) أنه يمكن وضع أجزاء خلوية صناعية في جسم الإنسان. وتوالت التجارب فظهر أن الأجزاء الخلوية في أي حيوان وأي إنسان يمكن أن تعيش بل يمكن أن تتكاثر ما دام لها الغذاء المناسب. ثم شرع في بيان نتائجه الآتية:

١ - إن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتهها.

(١) أنظر: بحث حول المهدي: ٦٧، وهامشه.

(٢) اليوم الموعود لكامل سليمان: ١٢٨.

٢ _ أنها لا تكتفي بالبقاء حيّة بل تنمو خلايا وتكاثر.

٣ _ يمكن نموها وتكاثرها ومعرفة ارتباطها بالغذاء.

٤ _ لا تأثير للزمن عليها حتّى أنها تشيخ وتضعف بمرور الزمن، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً بل هي نتيجة.

وذكر الشيخ الطنطاوي الجوهري في (ج ١٤ / ص ٢٢٤) من تفسيره المسمّى (الجواهر) ما يلي:

في مقالةٍ نشرتها مجلة (كلّ شيء) المصرية تحكي عن إمكان إطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ وأنّ الدكتور (فورونوف) قال بالإمكان إطالة الأعمار إلى ما فوق المئة وبإمكان عودة الشباب، وأجرى تجاربه على الحيوانات وقال: لقد عملت إلى الآن (٦٠٠) تجربة عملية ناجحة. وأقول الآن عن اقتناع: إنّه لا ينصرم هذا القرن حتّى يمكن تجديد قوى الشيوخ وإزالة غبار السنين عن وجوههم، ويمكن أيضاً تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر.

ويقول الدكتور عاصم فهيم الأستاذ في كآية العلوم / جامعة القاهرة في مقالة بعثها إلى مجلة الانتظار ونشرتها في عددها السادس لسنة (٢٠٠٥م):

في مقالة علمية نشرتها مجلة العلوم / جامعة القاهرة / عدد ٢٩٠ / سنة ٢٠٠٠م: أنّه تمكّن العلماء من التحكّم في جين إطالة العمر لذبابة الفاكهة الذي يعتبر شديد الشبه بالجين الآدمي، وتمكّن العلماء من إطالة أعمار سبعة نماذج من الفئان وراثياً.

وفي مقال لنفس المجلة _ أي العلوم _ العدد ٣٠٩ / سنة ٢٠٠٥م:

أثبت العلماء أنه أمكن إطالة أعمار الفطريات والديدان إلى ما يوازي مئة وعشرة أعوام من عمر الإنسان، وما زالت التجارب مستمرة على الفئران.

وخلال شهر تمّوز (٢٠٠٥م) اهتزّت الأوساط العلمية المهتمّة بأبحاث إطالة الأعمار بخبر نشر في (س. ن. ن) العلمية قسم الصحّة، حيث أعلن العالم (د. جراي) أنه بحلول عام (٢٠٢٠) سيكون من الممكن علمياً إطالة عمر البشر ببضع مئات من السنين من خلال التحكم في الجينات الوراثية المسؤولة عن ذلك.

ويقول الدكتور عاصم أيضاً: إنّ موضوع الخلايا الجذعية التي اعتبرت ثورة علمية في الآونة الأخيرة قد فتح باباً أمام العلماء حيث تستطيع الخلايا الجذعية (وهي خلايا جنينية وغير جنينية غير متخصصة) أن تعوّض أو تستبدل أي نوع من الخلايا الجسدية ممّا يعني مدّ حياة الخلايا إلى أمد بعيد.

ونشرت جريدة المساء القاهرية بتاريخ (٢٠٠٥/٨/٢٨م) مقالاً عن اكتشاف العلماء لهرمون يطيل العمر في الإنسان.

وقال أيضاً: لقد توصل العلماء إلى تحديد الجين الوراثي المسؤول عن التحكم في إطالة عمر الخلية الحيّة في الفئران وحددوا الأنزيم الوراثي الذي يقوم بالدور الأساس في هذه العملية ما يعرف بقص جزء من الحامض النووي المسؤول عن التجديد الخلوي، وإنّ توقّف التجديد في الخلية يعني الموت.

وختم مقاله بالقول: هذا ما يستطيعه البشر فكيف بربّ البشر؟ ألا

يستطيع أن يطيل عمر إنسانٍ إلى ما شاء وكيف يشاء وبدون سبب؟ وإذا كان ذلك جائز لمن هو محدود فكيف بصاحب القدرة المطلقة^(١)؟

رابعاً: دليل المعجزة:

يقول السيد محمد باقر الصدر رحمته الله في كتابه (بحث حول المهدي)^(٢):

(وقد عرفنا حتى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنّه غير ممكن عملياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطّها الطويل أن تتغلب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهدي - قرونًا متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتّها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمّدة من نصّ القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامةً من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة حتى يتساويا، وقد عطّلت هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون. فقبل للنار حين ألقى فيها

(١) مجلّة الانتظار/ العدد ٦/ ص ١٦.

(٢) بحول حول المهدي: ٧٧ - ٧٩.

إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، فخرج منها كما دخل سليمان لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى، وشبهه للرومان أنهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد ﷺ من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين).

ويخلص إلى القول: (الحقيقة أن المعجزة بمفهومها الديني قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية).

والآن لا بد من تذكير موجز بنتائج البحث:

١_ أن الإمامة منصب إلهي وأن الله أمر نبيه بالنص على أئمة اثنا عشر من أهل بيته.

٢_ أن الإمام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري قد غاب عن الأنظار سنة (٢٦٠هـ) ولا زال حياً.

٣_ أن الاعتقاد الديني يؤمن بقدرة الله على إطالة الأعمال كما أطال أعمار بعض أوليائه.

٤_ أنَّ الاتِّجاه العلمي يسير في بحوثه حول إيجاد وسائل إطالة العمر وأنَّ ذلك ليس مستحيلاً.

٥_ أنَّ العقل لا ينفي بقاء الإنسان طويلاً فهو ممكن وليس من الممتنع أو المستحيل.

٦_ أنَّ تعطيل القوانين الطبيعية بالمعجزة قد حدثت لبعض الأنبياء للحفاظ عليهم. وأنَّ الإمام المهدي عليه السلام مدَّخر لمهمّةٍ لم يستطع أحد من الأنبياء إنجازها وهي توحيد العالم تحت شريعة السماء.

* * *

الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة

السيد عادل الملوي

علوي، عادل، ١٩٥٥ -

الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة / تأليف السيد عادل العلوي، - قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.
[١٢٨] ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 91907 - 4 - 0 : ٧٠٠٠ ريال

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیها.

عنوان دیگر: كتاب الإمام المهدي (ع) وطول العمر في نظرة جديدة.

کتابنامه: ص. ٩٠ - ١٢٧؛ همچنین به صورت زیرنویس.

١. محمّد بن الحسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٦ ق. - طول عمر. الف. عنوان. ب. عنوان: كتاب

الإمام المهدي..

٢٩٧ / ٤٦٢

BP٢٢٤ / ٤ / ع ٨٤٦

م ٧٨ - ١٥٠٧١

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



کتاب

الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤١٨ هجري قري

الكمية المطبوعة = ١٠٠٠ نسخة

المطبعة - النهضة، قم

البرهان على طول عمر إمام الزمان عليه السلام

لقد استبعد طول عمر صاحب الزمان الإمام المهدي المنتظر الموعود من آل محمد عليهم السلام حتى عاب على الشيعة بعض الجهال من العامة قوهم ببقائه عليه السلام، وقال بعضهم في كتاب الوصية فيما لو وصى واحد أن يصرف مال لأجهل الناس: (إن الوصية لأجهل الناس تصرف إلى من ينتظر المهدي ويقول بحياته).

لكن مسألة طول عمر صاحب العصر والزمان تنطبق مع الموازين العقلية والمنطقية كما عليها الأدلة النقلية، فهي ساطعة البرهان، لا يمكن للمؤمن المنصف إنكارها والتشكيك فيها، ولا قيمة للاستبعاد في الأمور والمطالب الاعتقادية بعدما قام البرهان ودلت عليه الأدلة القطعية من العقل والنقل، وهذا نوع من سوء الظن بالقدرة الإلهية، وليس له مبنئ إلا عدم الأُس وقضاء العادة في الجملة على خلافه، وإلا فيتفق في اليوم واللييلة بل في كل ساعة وأن آلاف من الحوادث والوقائع العادية في العالم، حتى في المخلوقات الصغيرة وما لا يرى إلا بإعانة المكبرات، مما أمره أعجب وأعظم من طول عمر إنسان سليم الأعضاء والقوى العارف بقواعد حفظ الصحة، العامل بها، بل ليس مسألة طول عمره أغرب من خلقته وتكوينه وانتقاله من عالم الأَصْلاب إلى عالم الأرحام ومنه إلى عالم الدنيا، وبهذا دفع الله

٨٢ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٥٠ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

استبعاد المنكرين للمعاد في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ... ﴾ ^(١).

وقال عز وجل :

﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ... ﴾ ^(٢).

فلا يمكن إنكار ما قام عليه الدليل والبرهان.

ويمكن تلخيص الأدلة والبراهين في طول عمر صاحب الزمان ووقوعه

بما يلي :

الدليل الأول : قدرة الله

إنَّ الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، كما إنَّه عالم بكل شيء، فلا يعزّ عليه أن يطيل في عمر شخص ويحفظه من آفات الموت وطبيعته، فإنَّ النار بطبيعتها تحرق وتفني وتبيد الحرث والنسل، إلا أنَّها كانت بأمر من ربِّها برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل عليه السلام :

﴿ يٰٓإِنَّا كُوفِيَ بِرَدًّا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٣).

فبالقدرة الإلهية نستدلُّ على طول عمر صاحب الزمان عليه السلام، وبها ينقطع

(١) الحج : ٥ .

(٢) الإمبراء : ٤٩ .

(٣) الأنبياء : ٦٩ .

الإشكال ويتمّ الجواب. فإنّ الله سبحانه قادر على كلّ شيء، وطول العمر من الممكنات، فليس بالمستحيل ذاتاً، وإنّه لا قابليّة له في ذاته، بل هو ممكن الذات، كما أنّ أدلّ دليل على إمكان الشيء وقوعه، وإذا طلب المؤمن ودعا ربّه في ذلك فإنّه يستجاب له، كما ورد في الخبر النبويّ الشريف.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ مؤمناً أقسم على ربّه عزّ وجلّ أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين: ريحاً يقال له: المنسية، وريحاً يقال له: المسخية، فأما المنسية فأتها تنسيه أهله وماله، وأما المسخية فأتها تسخي نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله تبارك وتعالى^(١).

فأيّ مانع لمصالح خفية إلهية وحكمة ربّانية أن يطول عمر صاحب الزمان عليه السلام ولا يموت حتّى يأذن الله تعالى في ذلك؟ فإنّه سيّد المؤمنين وإمامهم ولا يردّ دعائه قطعاً.

الدليل الثاني: الإعجاز

إنّ النبوة والإمامة والوصاية التي هي امتداد خطّ النبوة، إنّما يصطحبان بالإعجاز، فمن يدّعي النبوة - وكذلك الإمامة - وتظهر على يديه المعجزة - ما يعجز عنه الناس - فإنّه يدلّ على صدق دعواه، وإلاّ فإنّه يلزم على الله سبحانه التفرير بالكاذب، وهذا أمر قبيح، وإنّ الله سبحانه منزّه عن القبائح، لقدرته المطلقة وعلمه

٨٤الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٥٢ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

المطلق، ومطلق العلم والقدرة.

فكل واحد من الأنبياء والأوصياء تظهر المعاجز منهم الدالة على صدق دعواهم.

ومن المعاجز لخاتم الأوصياء طول عمره الشريف، فإنه لا يقاس بهم أحد من الناس، ولا يقاس أعمارهم بالأعمار الطبيعية في العصور المتأخرة.

وقد أخبر النبي المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون الأبرار عليهم السلام قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام بمثل هذا الأمر الإعجازي، فالمقتضي موجود والمانع مفقود، فيتم الأمر حينئذٍ، ويتم المطلوب ويثبت.

ومن الروايات الدالة على ذلك ما جاء في كمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي^(١).

الدليل الثالث : التأسي بالأنبياء

لقد تأسى الإمام المهدي عليه السلام في طول عمره الشريف بالأنبياء السابقين، فإنه مما لا يمكن إنكاره بصريح الآيات القرآنية، فإن هناك من الأنبياء عليهم السلام من طال عمره، بل بعضهم لا زال حياً كروح الله عيسى بن مريم والنبي خضر عليه السلام.

فإن ذا النون يونس النبي لولا أن سبّح الله في بطن الحوت للبت حياً إلى يوم يبعثون - يوم القيامة - كما في قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(٢).

(١) كمال الدين ٢ : ٢١ .

(٢) الصافات : ١٤٣ .

وإن نوح عليه السلام قد دعا قومه - أي كانت مدّة دعوته وإظهار نبوّته غير عمره - ألف عام إلا خمسين سنة، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ^(١).

وإن عيسى بن مريم لا زال حياً في السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان ويصلي خلف الإمام القائم عليه السلام ويكون من أعوانه، كما ورد في الأخبار الصحيحة عند الفريقين - فهو لا زال حياً رفعه الله سبحانه وإنه لم يقتل - كما في قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ^(٢).

وإن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة ولا يزال حياً مع الإمام المهدي عليه السلام. فكيف يكون الإيمان بطول عمر الإمام المهدي عليه السلام إِمَارَةَ الْمَجْهَلِ مع تصريح القرآن الكريم، بإمكان مثله، كما حدث في الأنبياء الماضين، فما لكم كيف تحكمون!!! قال السيّد ابن طاووس رحمته الله في الفصل ٧٩ من كتابه القيم (كشف المحجّة) في مناظراته مع بعض العامة : لو حضر رجل وقال : أنا أمشي على الماء ببغداد، فإنه يجتمع لمشاهدته كلّ من يقدر على ذلك من الناس، فإذا مشى على الماء وتعجّب الناس منه، فجاء آخر قبل أن يتفرّقوا وقال أيضاً : أنا أمشي على الماء، فإن التعجّب منه يكون أقلّ من ذلك، فمشى على الماء، فإن بعض الحاضرين ربما يتفرّقون ويقلّ تعجّبهم، فإذا جاء ثالث وادّعى نفس الدعوى فربما لا يبق أحد ينظر إليه، وهذه حالة المهدي، لأنكم روّيتم أنّ إدريس حيّ موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن،

(١) العنكبوت : ١٤ .

(٢) النساء : ١٥٨ .

ورويتم أنّ عيسى حيّ موجود في السماء وإنه يرجع إلى الأرض مع المهدي عليه السلام، ورويتم أنّ الخضر حيّ موجود منذ زمان موسى عليه السلام أو قبله إلى الآن، فهذه ثلاثة من البشر طالت أعمارهم وسقط التعجب بهم من طول أعمارهم، فهلاً كان لمحمد بن عبد الله عليه السلام أسوة بواحد منهم، أن يكون من عترته آية الله جلّ جلاله في أمته بطول عمر واحد من ذريته، فقد ذكرتم ورويتم أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولو فكّرتم لعرفتم أنّ تصديقكم أنّه يملأ الأرض بالعدل شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً أعجب من طول بقائه، وصدّقتم أنّ عيسى يصلي خلفه، وهذا أعظم مقاماً ممّا استبعدتموه. انتهى كلامه رفع الله مقامه. كما أنّه ورد في الخبر النبوي الشريف عند الفريقين: أنّه سيجري على هذه الأمة المرحومة ما جرى على الأمم السابقة طابق النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وليكن طول عمر صاحب الزمان عليه السلام ممّا جرى على أنبياء الأمم الماضية، فأيّ مانع في ذلك بعد وجود المقتضي.

الدليل الرابع : العلم الحديث

وهذا دليل لمن أراد أن يؤمن بطول العمر من خلال العلم الحديث المتطوّر والمتقدّم، فإنّ الوسائل والآلات المتوفّرة في الطبيعة في عصرنا الراهن لا تنحصر بما في أيدينا اليوم، فإنّ الوسائل الفنيّة والتكنولوجيا الحديثة لا تنحصر بالمذياع والتلفاز والتلفون والطائرات النفاثة والصواريخ الفضائية والكمبيوتر وما شابه ذلك، فإنّ مثل هذه الأسباب قبل قرون كانت تعدّ من المحالات ومن المهازل والقوّة التخيلية، ولكن اليوم أصبحت هذه الأمور من التوافه ولعب الأطفال، وأنّ هناك ما هو أوسع من ذلك بكثير، ولم يدّع أحد أنّه قد كشف المجهولات الكونية بل

كلّما ازدادوا علماً اعترفوا بجهلهم وعجزهم أكثر فأكثر، وأنّ هناك أسراراً في الطبيعة لا زالت مجهولة وتبقى مجهولة، وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً، وأنّ فوق كلّ ذي علمٍ عليم. وحينئذٍ كيف يمكن أن يقال: إنه ليس هناك عوامل مؤثّرة في طول العمر؟! بل يقول البروفيسور أتينقر: إنّ الجيل الجديد كما آمن بالرحلات الفضائية فإنّه سيؤمن بأنّ خلود الإنسان في الحياة الدنيوية ليس أمراً بعيداً، فإنّ مع التقدّم التكنولوجي الذي نشاهده اليوم سوف تتمكّن البشرية في القرن القادم أن تطيل عمر الإنسان لآلاف السنين^(١).

ويعتقد البروفيسور سيللي: إنّ الموت إنّما هو مرض تدريجي، وإنّه لم يمت أحد من الشيخوخة، وإنّ تقدّم العلم الطّبيّ سيعطي الإنسان القدرة على أن يطيل في عمره بأضعاف ما هو عليه.

كما هناك في الطبيعة موجودات حيّة عاشت آلاف السنين، وإنّ العلم الحديث توصل إلى زرع خلية ما قبل التأريخ وإعادة حياتها.

ولما كان المقتضي موجود في ديمومة حياة الإمام المهدي عليه السلام فما المانع في ذلك؟ فإنّه بعيد عن الأبصار في حياة طاهرة ومطهّرة، يعبد ربّه وينتظر أمره وقيامه الإلهي، وأنّه حجّة الله على خلقه في أرضه، لولاه لساخت الأرض بأهلها، وإنّه ميزان الأعمال وشاهد على الناس، وفي غيبته أسرار الله جلّت عظمته، وأنّ غيبته الكبرى من الابتلاء، ليلوكم أيكم أحسن عملاً، وإنّه من الغيب الذي يؤمن به المتّقون ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾^(٢).

(١) مجلّة (دانشمند) العلمية، السنة السادسة، العدد السادس.

(٢) البقرة: ٢.

وعن الإمام الباقر عليه السلام حينما يعدّ فوائد طول عمر الإمام المهدي وسرّه :
 وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به .
 والعلم الحديث أثبت أنّ هناك عوامل مؤثّرة في طول العمر كالوراثة والبيئة
 المعتدلة ونوع العمل ومراعاة الغذاء كمّاً وكيفاً، والشيخوخة ليست مرحلة زمنية،
 بل ظاهرة جسدية يمرّ بها الإنسان عادة .
 وقد يصاب الجسم بالشيخوخة بسبب الإصابة ببعض الأمراض أو ممارسة
 عادات مضرّة .

ويعتقد (متشكوف) أنّ السموم الناجمة عن تخمّر ميكروبات الأمعاء هي
 وراء الشيخوخة، ولو أمكن تطهير الأمعاء منها لعاش الإنسان طويلاً .
 والعلم ما يزال يجبو في أوّل الطريق، ومن المحتمل جداً أن يكتشف الإنسان
 مستقبلاً دواءً يعزّز من قدرة الجسم في المقاومة ويمنع حدوث الشيخوخة وحتىّ
 يصل العمر إلى ألفي عام، كما كتبت بذلك بحوث يابانية .

ولنا في الذبابات والحيوانات تجاوزت أعمارها المئات وألوف من السنين،
 ففي أمريكا توجد شجرة صنوبر في كاليفورنيا ما تزال حيّة وبلغ عمرها أكثر من
 أربعة آلاف وستمئة سنة، وكشفت الحفريات في مصر القديمة وفي مقبرة الفرعون
 (توت عنخ آمون) حبوباً من القمح يعود تأريخها إلى ثلاثة أو أربعة آلاف عام،
 فنبتت واخضرت ممّا يدلّ على أنّها لا زالت تحتفظ بحياتها كلّ هذه القرون
 الطويلة، كما لوحظ أنّ عمر بعض الحيتان يتجاوز (١٧٠٠) سنة .

كما إنّ دراسة الأشجار المعمّرة واستمرار حياتها آلاف السنين وكذا حياة
 الفايروسات سوف يكون لها آثارها الإيجابية في إمكانية إطالة عمر الإنسان
 والتغلّب على الشيخوخة .

ويقول علماء مختصّون في هذا المجال : إنّ بإمكان الجسم أو أيّ عضو منه

الاستمرار في الحياة مدّة غير محدودة إذا لم يتعرّض إلى طارئ خارجي، وقد تصل المدّة آلاف السنين.

وهذا الرأي لا يستند على الحدس أو الخيال، بل هو نتيجة تجارب علمية عديدة.

ويقول (ريموند) و (بريل) الأستاذان في جامعة (جون هوبكنز) أنّ الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان لها القابلية على الدوام والخلود، وقد ثبت ذلك بالتجارب التي ما تزال مستمرة.

ومتى ما تمكّن العلم من حماية الجسم من هجمات الجراثيم وإيقاف التسمّم وإيصال الغذاء الكافي للأعضاء فإنّ باستطاعة الإنسان أن يعيش مدّة طويلة جداً كما هو الحال في بعض الأشجار المعمّرة.

ويقول البروفيسور (ميتالينكوف) الخبير في حالات الوفاة: إنّ جسم الإنسان يتألّف من ثلاثين تريليون من الخلايا المختلفة والتي لا يمكن أن تموت كلّها في لحظة واحدة، ولا يتحقّق الموت إلا بعد حدوث تغييرات كيميائية في المنخ غير قابلة للإصلاح.

وفي مدينة مونتريال بكندا كان الدكتور (هانس سييلي) يجري في مختبره بحثاً حول ظاهرة الموت، وعرض لمراسلي الصحف نسيجاً من الخلايا الحيوانية، وصرّح بأنّ النسيج هذا ما يزال حيّاً وفي حالة نشاط حيوي وإنّه لن يموت أبداً. وأضاف الدكتور: إذا تمكّنا من تحويل النسيج الإنساني بهذا الشكل فإنّ من الممكن أن يعيش الإنسان ألف عام.

ويقول البروفيسور (إينتجر): إنّ الأجيال القادمة سوف تصطدم بحقيقة الإنسان الخالد كما هو الحال في غزو الإنسان للفضاء، وإنّ تطوّر العلوم سيكفل حياة الإنسان لألف عام.

٩٠ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٥٨ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

إنَّ الشيخوخة هي ظاهرة مرضية وهي ليست مستحيلة العلاج، ولقد تمكَّن العلم من إنجاز أعمال كانت فيما مضى مستحيلة، وهو ما يزال يشقُّ طريقه قدماً في فتوحات جديدة، فمن الممكن في المستقبل اكتشاف أسباب الشيخوخة، ومن ثمَّ علاجها. وهناك بعض العلماء يقومون بإجراء العديد من التجارب والبحوث من أجل العثور على أكسير الشباب، ولا يمكن الادعاء بأنَّ جهودهم سوف تذهب سُدى، فمن المحتمل جداً نجاحهم في هذا المضمار، وبالتالي سيكون بمقدور الإنسان الحياة لمدة طويلة.

وإذا افترضنا وجود شخص ما في كامل حيويته البدنية، وكانت أعضاء جسمه كالقلب والكلية والكبد والجهاز العصبي والمعدة وغيرها سليمة تعمل بانتظام، وكان هذا الشخص ملماً بما ينبغي تناوله من غذاء ويتبع في ذلك نظاماً صحياً عالياً، وإنه إلى جانب ذلك يعرف طرق الوقاية من الأمراض، ويعرف كيف يجهز بدنه بالفيتامينات، ويتمتع بروحية عالية تهبه الشعور بالطمأنينة بعيداً عن القلق والكآبة وكل ما يعتور الإنسان من أمراض نفسية، فإنَّ بإمكان هكذا شخص أن يعمر طويلاً، وأن يعيش أضعافاً مضاعفة ممَّا تعارف عليه الناس من العمر الطبيعي. كما هناك في التأريخ من عمَّر المئات وآلاف السنين كنوح و آدم^(١).

(١) لقد أورد المسعودي في تأريخ مروج الذهب (١ : ٢٠) عدداً من المعمرين في التأريخ، وهم :

آدم ٩٣٠ سنة، وشيث ٩١٢ سنة، وانوش ٩٦٠، وقدنان ٩٢٠ سنة، ولوط ٧٣٣، ونوح ٩٥٠

سنة، وكيومرت ١٠٠٠ سنة، وعاد ١٢٠٠ سنة، وعليكم بمراجعة (المعمرن والوصايا)

لأبي حاتم السجستاني و (الآثار الباقية) للبيروني و (يوم الخلاص) لكامل سليمان

و (البحار ٥١ : ٢٤٣) و (إلزام الناصب : ٨٦) و (المهدي : ١٢٧) و (إعلام الوري : ٤٤٢)

و (البرهان : ١١) وغيرها.

وبناءً على هذا فإن مسألة العمر الطويل في شخصيّة الإمام المهدي لن تكون مستحيلة، فالعلم الحديث يؤمن من ناحية مبدئية إمكانية ذلك.

إضافة إلى التأكيد على جانب هام، وهو أنّ الله أدخر هذا الإنسان العظيم لإصلاح العالم والمجتمع الإنساني، ومن ثمّ وهبه ما يساعده على استمرار حياته دون ضعف ووهن وانتكاس وشيخوخة^(١).

ويقول الشهيد السعيد الآية العظمى السيد محمد باقر الصدر عليه السلام في كتابه القيم (بحث حول المهدي): ليس المهدي تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح أتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب، أنّ للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تحقّق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل، بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدّ على غيرهم أيضاً وانعكس حتّى على أشدّ الإيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادّية الجدليّة التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات وآمنت بيوم موعود تصفّى فيه كلّ تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام... وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكد أنّ الأرض في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعيّة ويحوّله إلى إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانيّة...

٩٢الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

٦٠ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإن معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكلّ الطموحات التي انشأت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، وأغنى عطاءً وأقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرّ التاريخ، وذلك لأنّ الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلى واقع ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلع إلى منقذ تتمحّض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً وتطلّعه مع المتطلّعين إلى اليوم الموعود...

وقد قدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من أنه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة...

ولكنّ التجسيد المذكور أدّى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها لدى عدد من الناس الذين صعب عليهم أن يتصوّروا ذلك ويفترضوه...

فهم يتساءلون إذا كان المهدي يعبر عن إنسان حيّ، عاصر كلّ هذه الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من عشرة قرون، وسيظلّ يعاصر امتداداتها إلى أن يظهر على الساحة، فكيف تأتّى لهذا الإنسان أن يعيش هذا العمر الطويل، وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كلّ إنسان أن يمرّ بمرحلة الشيخوخة والهرم، في وقت سابق على ذلك جداً وتؤدّي به تلك المرحلة طبيعياً إلى الموت، أو ليس ذلك مستحيلًا من الناحية الواقعية؟

ثمّ يذكر الشهيد عليه السلام أسئلة أخرى ليجيب عنها في بحثه الرائع، تضمّن هذه العناوين:

١- كيف تأتّى للمهدي هذا العمر الطويل؟

٢- المعجزة والعمر الطويل.

٣- لماذا كل هذا الحرص على إطالة عمره ؟

٤- كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر ؟

٥- كيف نؤمن بأن المهدي قد وُجد ؟

٦- لماذا لم يظهر القائد إذن ؟

٧- وهل للفرد كل هذا الدور ؟

٨- ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود. فراجع .

وفي العنوان الأوّل يبحث عن معاني الإمكان الثلاثة : العملي والعلمي والمنطقي والفلسفي ، ثم يقول : لا شك في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية ... كما لا شك أيضاً في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً على نحو الإمكانيات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر ... وأمّا الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر فرض ذلك من الناحية النظرية ، وهذا بحث يتّصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفلسفي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان ... ويدخل في بحث الشيخوخة فيقول : وبهذا يثبت عملياً أنّ تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً ...

ويتلخّص من ذلك : أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعدّدة ممكن منطقياً ويمكن علمياً ولكنّه لا يزال غير ممكن عملياً ، إلّا أنّ اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل .

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب ونلاحظ : أنّه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً وثبت أنّ العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي

٩٤الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٦٢ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

تدريباً، لا يبقى للاستغراب محتوى، إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان ...

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط، بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟ أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح الذي نصّ القرآن الكريم على أنه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية، وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد. فلماذا نقبل نوح الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير ولا نقبل المهدي؟

ثم يقول عليه السلام: وقد عرفنا حتى الآن أنّ العمر الطويل ممكن عملياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وإنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطّها الطويل أن تتغلب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو المهدي - قرونًا متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمّدة من نصّ القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من

الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويان، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون فقبل للنار حين أُلقي فيها إبراهيم ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١)، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض ففلق البحر لموسى، وشبهه للرومان أنهم قبضوا على عيسى، ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات ترتبص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم، كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهزم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو أنه كلما توقّف الحفاظ على حياة حجة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أعدّها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك ...

وجاء في كتاب (يوم الخلاص) للأستاذ كامل سليمان (الصفحة ١٣٣) تحت عنوان (ما هذا العمر المديد؟ بعض طويلي الأعمار):

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه حين رآه يتعجب من طول الغيبة: إن الله تعالى أدار في القائم مئاً ثلاثة أدارها لثلاثة من الرسل: قدّر مولده تقدير مولد موسى، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسى، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل

٩٦ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٦٤ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

له من بعد ذلك عمر العبد الصالح (يعني الخضر عليه السلام) دليلاً على عمره .

ثم بعد تعليل غيبات الرسل الثلاث في حديث طويل قال عليه السلام : وأما العبد الصالح الخضر فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يُلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إنّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر في عمر القائم في أيام غيبته، وعلم من إنكار عباده لمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب، فما أوجب ذلك إلاّ لعلّة الاستدلال على عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، لئلا يكون للناس على الله حجة .

(فكثيراً ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وعن آله المعصومين كون القائم فيه سنّة من نوح وهي طول العمر... أوردوا ذلك مورد تأكيد لا ريب فيه، حتّى أنّ الصادق عليه السلام قال مرّة مستهجناً: أما تنكرون أن يُمدّ الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مدّ لنوح عليه السلام في العمر؟! ثمّ قال مرّة ثانية: إنّ وليّ الله يُعمر عمر إبراهيم الخليل عشرين ومئة سنة وكان يظهر في صورة فتى موفّق - أي رشيد قوي - ابن ثلاثين سنة. لو خرج القائم أنكره الناس، يرجع شاباً موفّقاً...)

(وكيف نتعجّب من رجوعه محتفظاً بمقومات شبابه إذا أجرى الله تعالى عليه ما أجرى لغيره من الصالحين؟ فإنّ طول عمره صار عن محض الإرادة الإلهية التي قدّرت طول العمر لكثير من الصالحين والطالحين فيما مضى وكما ستري...)

وقيل: إنّ عزيزاً خرج من أهله وامرأته في شهرها، وله خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عزّ وجلّ بذنبه أماته مئة عام ثمّ بعثه... فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مئة سنة!! وردّ الله عزيزاً إلى الذي كان به...

أهذه أعجب أم قضية صاحبنا عليه السلام؟

وخذ الثانية قبل أن ينقضي عجبك، فإن نصر بن دهمان - من غطفان - قد عاش مئة وتسعين سنة ثم اعتدل بعدها وعاد شاباً، فتعجب معاصروه من ذلك أشد العجب، حتى أن العرب لم يروا مثلها أعجوبة فريدة! ومثل هذه أيضاً، ما ذكره أصحاب السير والآثار من أن (زليخا) امرأة عزيز مصر قد رجعت شابة طرية بعد شيخوختها وهرمها.

بل ذكروا أن يوسف عليه السلام قد عاد فتزوجها بحسب بعض رواياتهم... فلا أخال إطالة عمر المهدي عليه السلام إلى ما يزيد على الألف سنة موضوعاً فيه إشكال ذو بال، وإن كان المستنكرون يرونه المشكلة كل المشكلة، مع أن الإمام المعصوم يخلقه الله تعالى تام التركيب الجسمي، معتدلاً في جميع مقومات حياته، ولا يصيبه الموت إلا بعارض خارجي كالقتل والسم كما حدث لآباء القائم عليه السلام الذين ورد عنهم قولهم في مناسبة: ما منّا إلا مسموم أو شهيد^(١)، أي شهيد قتل أو قتل سم، على أن الإنسان العادي السليم الجسم لا يدهمه الموت إلا إذا طرأ عليه ما يخرّب جسمه ويعطل بعض مقوماته، وهانحن نبحت عن هذه الظاهرة - ظاهرة طول العمر - من نواحيها الدينية والحياتية والطبيعية.

يتحدّث المصنّف في الناحية الدينية عن جانب الأعجاز والقدرة الإلهية وأن بقاء المهدي عليه السلام كان باختيار الله تعالى وتحت مقدوره، وبمشيئته لا بمشيئتنا ولا اختيارنا ولا موافقتنا...

ثم يقول: أمّا تطويل الأعمار فهو هم أساطين الأطباء اليوم، وهم جهابذة علم الحياة الذين يبحثون بوسائلهم الأرضية عن تنشيط الخلايا وإصلاح الأنسجة

(١) إلزام الناصب: ١٠.

المستهلكة، وتجديد شباب الشيوخ، أي أنهم يبحثون عن شيء يعرفه الله - يا سيّد العارفين! - فكيف ننكر عليه أن يجدّد الخلايا، ويعيد الشباب ويطيل العمر؟! منه مه للعقول التي لا تريد أن تفكّر وتقابل! ومهلاً مهلاً لمن يجفله اسم الله كما كان يجفل الفيلسوف الفرنسي - فيكتور هوغو - الذي درّس الإلحاد لتلامذته حتّى بلغ السادسة والثمانين ثمّ صرخ بملء شذقيه - أثناء الدرس - : يا ربّ خلّصنا. حين هبّت عاصفة غير مألوفة يرافقها رعد وبرق وريح صرصر كادت تهدم البيوت وتقتلع الأشجار، ثمّ كانت صرخته هذه سبباً لإثارة انتباه تلامذته الذين صرخوا بدورهم، نراك تستغيث بالربّ الذي تدرّسنا وتدرّبنا على إنكاره منذ عشرات السنين! ثمّ كان ذلك سبباً لإعادة نظره في عقيدته الأولى والرجوع إليها لما رأى الإنسان يرجع إلى الله وحده وقت الضيق والخطر الذي لا يدفع ...

فطول عمره ثابت بتواتر النقل، لا ياباه واقع ولا عقل حصيف، وكأنّه - في واقع الحال - فتنة قدرها الله لنا كما قدر غيرها من الفتن التي امتحن بها امتثال الأمم الغابرة لأوامر رسله إليهم وأمناء وحيه عليهم. فلا امتناع في تطويل عمره، بدليل تصافي أهل الأديان السماوية على بقاء عيسى والخضر عليهما السلام حيّين ... ولماذا لا نرضى حلاً لمثل هذه العقدة لوليّ من أولياء الله المخلصين ونرضيها لغيره من المخلوقين ...

ثمّ في الناحية الحياتية (البيولوجية) يقول: إنّ علماء الحياة والأطباء المعاصرين قد توصلوا إلى أنّ كلّ الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحيّ قابلة للاستمرار إلى ما لا نهاية له إذا لم يعرض لها ما يقطع حياتها ... وقد أصبح من المقرّر عندهم أنّه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسّرت له جميع الظروف المناسبة. بل لقد قرّروا أنّ الأجزاء الأولية للأنسجة يمكن أن تبقى حيّة نامية ما دام يتوقّر لها

الغذاء اللازم والمناخ الملائم، وما دامت في منأى عن العوارض الخارجيّة المعيقة للنموّ والحياة، فليس بعجيب أن يطول عمر بعض الناس إذا توفّرت الظروف الصالحة... العجب كلّ العجب كيف يموت الحيّ الذي خلاياه قابلة للاستمرار في الحياة إلى ما لا نهاية له؟ وما من أحدٍ منهم ينكر أنّ في مقدور الإنسان العادي أن يتوصّل إلى إطالة العمر، كما قد توصّل إلى تقليل نسبة الوفيات في الأطفال في سائر مناطق الدنيا...

وفي الناحية الطبيعية (المصادفة) يتحدّث عن الصدفة ثمّ يقول: فكون المهدي عليه السلام مولوداً ليس من المستحيل، وكونه موجوداً ليس من المستحيل، وكونه غائباً عن الأعين بالمعنى الذي يتناهى ليس من المستحيل أيضاً، وكونه طويل العمر ليس من المستحيل ولا من غير الممكن ولا ممّا يستعصي على مُطيل الأعمار: ربّاً كان أو محاولة إنسانية فريدة من نوعها، أو مصادفة بلهاء!

فعلى صعيد العقائد السماوية، يرى جميع المعترضين بالعقيدة المهدوية وبالبعث والحساب والثواب والعقاب، أنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يموتون، وهم فيها مخلّدون... ومثلهم أهل النار... فمن الميسور على مخلّدهم أن يمدّ في عمر أوليائه في دار الدنيا مدّاً مؤقتاً لا تخليداً... وعلى صعيد العلم والفهم، سيخرج قائم أهل البيت عليه السلام قريباً - كما نستنتج من العلامات - فيقتنع الناس بالمحسوس والملموس، حين يجيل سيفه في رؤوس ركبها الانحراف عن أمر الله... فهو مرصود لمثل هذه الحالة بالذات، لا لجزّ رقاب المؤمنين ولا لحرب الصالحين، بل له يوم موعود مظفّر... وسيخرج حين يؤذن له كما وصفه إمامنا الحسن بن علي عليه السلام حين قال للمتعبّين من طول عمره: لو قام المهدي لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً، وكما قال الصادق عليه السلام أيضاً: أما إنّه لو قد قام لقال

١٠٠ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٦٨ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

الناس : أتى يكون هذا وقد بليت عظامه منذ دهر طويل ؟ ! (من كذا وكذا).
نعم سيخرج ... فانتظروا، إني معكم من المنتظرين ... وتعجبوا من قصر
أعماركم في هذا العصر، لا من طول أعمار غيركم في سالف الزمان ...

الدليل الخامس : الإيـمان بالغائبين

لقد نؤمن بوجود أشخاص بالقطع واليقين، مع أنه لم نرهم أصلاً، فإننا نؤمن
بالأنبياء كموسى وعيسى وإبراهيم الخليل ونوح وآدم ومحمد خاتم النبيين عليهم السلام ،
كما نؤمن بحكماء وعلماء كأرسطو وأفلاطون وسقراط وباستور، مع أنه أخبرنا
بذلك أنفار معدودين من المؤرّخين الأوائل .

ووجود صاحب الزمان المهدي المنتظر من آل محمد عليه السلام قد أخبرنا به أكثر
من خمسمائة محدث ومؤرخ من أهل العلم والحديث والتقى والفضيلة .
وهذا لا ينحصر بالشيعه وحسب، بل كل المسلمين والمذاهب الإسلامية
وفقهاء الإسلام وأعلامها، يعتقدون بوجوده المقدس ويذكرون أوصافه وسيرته،
وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

الدليل السادس : النظرة الجديدة

وهو المقصود بيانه في هذه العجالة كنظرة جديدة في طول العمر
لإمام الزمان عليه السلام، وهي تتمّ بالمعرفة النورية، المتميّز بها الراسخون في العلم، فمن
كان ضعيف الإيمان قليل العلم والمعرفة، فإنه بطبيعة الحال سرعان ما ينكرها، فإنّ

الناس أعداء ما جهلوا، فربما - من باب العزّة بالإثم - يرمي قائلها بسهمٍ عارية عن الحقيقة والواقع فيحاسب عليها يوم القيامة.

فهذه النظرة الجديدة انقدحت في الذهن بلطف من الله سبحانه من خلال الروايات الشريفة، فمما رواه ابن مسعود^(١) قال: دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، عليك السلام، أرني الحقّ لأنظر إليه، فقال: يا عبد الله، لِمَ المخدع، فولجت المخدع وعلي بن أبي طالب عليه السلام يصلي وهو يقول في سجوده وركوعه: (اللهم بحقّ محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي) فخرجت حتّى اجتزت برسول الله صلى الله عليه وآله فرأيته يصلي وهو يقول: (اللهم بحقّ عليّ عبدك اغفر للخاطئين من أمتي) قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته وقال: يا ابن مسعود، أكفر بعد الإيمان؟ فقلت: حاشا وكلاً يا رسول الله، ولكن رأيت علياً يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله بعليّ، فلا أعلم أيكما أفضل عند الله عزّ وجلّ؟ قال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي:

اعلم أنّ الله خلقني وعلياً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرضين، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرضين، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي بن أبي طالب والله أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحوار العين، والحسين والله أفضل من الحوار العين، ثمّ اظلمت المشارق والمغرب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله

(١) بحار الأنوار ٤٠: ٤٣، عن كتاب الفضائل: ١٣٥، وروضة الكافي: ١٨.

جلّ جلاله كلمة فخلق منها روحاً، ثمّ تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغرب فهي فاطمة الزهراء، ولذلك سميت الزهراء لأنّ نورها زهرت به السماوات.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي ولعلي: أدخلوا الجنة من شئتم وأدخلوا النار من شئتم، وذلك قوله تعالى: ﴿ أَلْتَقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾^(١)، فالكافر من جحد نبوّتي والعنيد من جحد بولاية عليّ بن أبي طالب وعترته، والجنة لشييعته ومحبيّه^(٢).

ولنا مثل هذه الرواية الشريفة في المعرفة النورية العشرات، فإنّها تجاوزت الاستفاضة، وكادت أن تكون من المتواترات، بل بلغت التواتر الإجمالي إن لم يكن من اللفظي والمعنوي. فلا يمكن للمنصف إنكارها وجودها، وإنّها واضحة الدلالة، رفيعة المعاني، سامية المعارف، عالية السند والإسناد، تجبر بعضها بعضاً، وتفسّر أخرى بأخرى، كما يفسّر القرآن بعضه بعضاً، فتدبّر واغتم حياتك في المعارف النورية الشامخة التي ترفع درجاتك في الجنان ويوم يقوم الأشهاد.

هذا والمعرفة كلّ ذات تشكيك لها مراتب طولية وعرضية كالنور والوجود، وأنها تارة تكون جلالية بتميّز الشيء عن غيره في أبعاده الثلاثة - الطول والعرض والعمق - وفي شكله الهندسي والظاهري، فتكون معرفة حسّية كمعرفتنا بالنار، فهي معرفة نارية ظاهرية وملكيّة، وربما تكون معرفة نوريّة وجمالية وملكوّتيّة، وهي

(١) ق: ٢٤.

(٢) هذه النظرة الجديدة أقيمتها محاضرة إسلامية على جمع من فضلاء وطلبة العلوم الدينية من اللبنانيين للمناقشة في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٧، وفي سنة ١٤١٨ في حشد يزيد على ألف نفر في مسجد الإمام الرضا عليه السلام بقم المقدّسة.

معرفة باطنية وجوهرية، يقف الإنسان بها على باطن الشيء، ويعرفه كما هو في ملكوته، ويصل إلى عمقه وهدفه، والجامع بين المعرفتين هي المعرفة الكمالية التي يقف الإنسان بها على غاية الشيء ونهايته، وربما منشأ المعرفة الجلالية هي الصفات السلبية، ومنشأ ومرجع المعرفة الجمالية هي الصفات الثبوتية.

ثم نستخلص من الحديث الشريف - ما رواه ابن مسعود - بمعرفة نورية وجمالية بتعمق وتدبر: أن خلق الإمام المطلق - أعم من النبي أو الوصي - ومنه الإمام المهدي عليه السلام قد كان قبل خلق السماوات والأرض، وقبل الكواكب والمجرات والأفلاك.

ثم الزمان إنما هو وليد حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية، فإن اليوم من الليل والنهار إنما هو من حركة الأرض الوضعية حول نفسها، ومن اليوم تتولد الساعات ومنها الدقائق. والسنة والفصول الأربعة إنما هي من حركة الأرض الانتقالية في دورانها حول الشمس، وقد عُرِف الزمان عند الحكماء بأنه: «مقدار متصل غير قارّ عارض للحركة»^(١).

(١) نهاية الحكمة: ٢١٤، الفصل الحادي عشر في الزمان، وفي الأسفار ٣: ١١٥ يبحث المصنّف عن الزمان بحثاً مفصلاً في فصول عديدة، ففي الفصل ٣٠ في إثبات حقيقة الزمان وأنه بهويته الاتصالية الكمية مقدار الحركات وبما يعرض له من الانقسام الذهني عددها، يقول:

أما إثبات وجود الزمان وحقيقته فالهادي لنا على طريقة الطبيعيين: مشاهدة اختلاف الحركات في المقطوع من المسافة مع اتفاقها في الأخذ والترك تارة ثم اتفاقها في المقطوع من المسافة واختلافها فيها أو في أحدهما تارة أخرى، فحصل لنا العلم بأنّ في الوجود كوناً مقداريّاً فيه إمكان وقوع الحركات المختلفة أو المتفقة على مقدار الأجسام ونهايتها لأنه غير قارّ وهذه قارّة فهو مقدار لأمر غير قارّ وهو الحركة وشرح ذلك موكول إلى علم الطبيعة، وأما

على طريقة الإلهيين فلأن كل حادث هو بعد شيء له قبليته عليه لا يجمع به البعديّة ، لا قبليّة الواحد على الاثنين لأنّه يجوز فيها الاجتماع ، ولا قبليّة الأب على الابن أو ذات الفاعل بما يجوز أن يكون قبل ومع وبعده ولا العدم إذ قد يتحقّق للشيء عدم لاحق بل قبليّة قبل يستحيل أن يجمع مع البعد لذاته ، ثم ما من قبليّة الأوّلين القبل بهذه القبليّة وبين الذي هو البعد بتصوّر قبليّات وبعديّات غير واقعة عند حدّ ، ومثل هذا الذي هو ملاك هذا التقدّم والتأخّر فيه تجدد قبليّات وبعديّات وتصرّم الحركات في المسافات الممتنعة الانقسام إلى ما لا ينقسم أصلاً فهو لقبوله الانقسام والزيادة والنقصان كم ، ولكونه متصلاً فهو كميّة متصلة غير قارّة أو ذو كميّة متصلة غير قارّة ، وعلى التقديرين فإنما جوهر أو عرض ، فإن كان جوهرأ فلاشئاله على الحدوث التجديدي لا يمكن أن يكون مفارقاً تجدده عدم قراره - إلى آخر ما يقول فراجع - .

وفي فصل ٣٢ يثبت في أنّه لا يتقدّم على ذات الزمان والحركة شيء إلاّ الباري عزّ مجده : لما علمت أنّ الزمان وما يقترنه ويحتفّ به أمور تدرجيّة وأكوان متجدّدة الحمولات ، فكلّ ما يتقدّم على الزمان سواء كان وجوداً أو عدماً أو غيرهما أي تقدماً لا يجمع بحسبه القبل للبعد يكون زماناً أو ذا زمان ، فيكون قبل كلّ زمان زمان وقبل كلّ حركة حركة ، وقد ثبت أيضاً فيما مرّ أنّ علّة الشيء لا بدّ وأن تكون غير متعلّقة الذات والوجود بذلك الشيء فلا يتقدّم على الزمان إلاّ الباري وقدرته وأمره المعبر عنه تارةً بالعلم التفصيلي وتارةً بالصفات عند قوم وأخرى بالملائكة عند آخرين وبالصور الإلهيّة عند الأفلاطونيين ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ...

أقول : وبنظرتنا الجديدة - كما يستفاد من الروايات الشريفة - نعبر عن أمر الله بالإمام المعصوم ، بالمعنى الأعمّ الذي يشمل النبيّ وأوصيائه المعصومين عليهم السلام ، فتدبر .
 ثمّ المصنّف - في الصفحة ١٤١ - تحت عنوان تعقيب وإحصاء يذكر اختلاف الحكماء في

ثمّ الزمان بالمعنى الأعمّ له مؤثرات وآثار، كما أنّ للشمس والقمر آثاراً، فإنّ الظلّ إنّما يكون من أشعة الشمس ونورها، كما أنّ تكامل الإنسان في خلقه الطبيعي ومروره بمراحل طبيعيّة من انعقاد ونطفته وولادته وصبأوته ومراهقته وشبابه وكهولته وشيخوخته وعجزه وموته، إنّما هو من آثار الزمان ومضيّ السنين والأيام. فإنّ مرور الزمن يوجب وهن العظام واشتعال الرأس شيباً.

﴿ وَمَنْ نَعَمَّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١).

مفهوم الزمان فيقول: ذكر الشيخ في الشفاء: إنّ من الناس من نفى وجود الزمان مطلقاً، ومنهم من أثبت له وجوداً إلا على أنّه في الأعيان بوجه من الوجوه بل على أنّه أمر متوهّم، ومنهم من جعل له وجوداً لا على أنّه أمر واحد في نفسه بل على أنّه نسبة ما على جهة ما، لأمر أيها كانت إلى أمور أخرى أيها كانت تلك أوقات لهذه فتخيّل أنّ الزمان بمجموع أوقات والوقت عرض حادث يعرض مع وجود عرض آخر أي عرض كان فهو وقت لذلك الآخر كطلوع الشمس وحضور إنسان، ومنهم من وضع له وجوداً وحدانيّاً على أنّه جوهر قائم مفارق للجسمانيات بذاته، ومنهم من جعله جوهرأ جسمانيّاً هو نفس الفلك الأقصى، ومنهم من عدّه عرضاً فجعله نفس الحركة، ومنهم من جعل حركة الفلك زماناً دون سائر الحركات. ومنهم من جعل عودة الفلك زماناً أي دورة واحدة، فهذه هي المذاهب المسلوكة في الأعصار السابقة في ماهيّة الزمان التي أحصاها في الطبيعيات، وذهب أبو البركات البغدادي إلى أنّ الزمان مقدار الوجود، والأشاعرة من المتكلمين انتحلوا ثالث تلك المذاهب، ومن الذاهبين إلى الرابع من تحيّل للزمان وجوداً مفارقاً على أنّه واجب الوجود بذاته، وإليه ذهب جمع من متقدّمة الفلاسفة.

ثمّ يذكر المصنّف قول أفلاطون وأرسطو وصاحب المباحث المشرفية وبعض المناقشات،

فراجع.

١٠٦الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٧٤ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر

فالناس يتحكّم فيهم عوامل الزمان والمكان، فيكون لهم ظلٌّ، كما يصابون بالشيخوخة والعجز ومن ثمّ بالموت. فالشمس والقمر والزمان والمكان يؤثّران في الناس، كما ييليان الجديد، ويفنيان الأجسام والأجساد، وإن كانت الروح باقية ومتعالية.

ثمّ بعد بيان هذه المفردات والتسليم بها: بأنّ خلق العالم كان قبل السماوات والأرض وقبل الشمس والقمر، وإنّ الزمان من حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية.

نقول بمعرفة جمالية كمالية، ومن المعرفة النورية:

إنّ وليّ الله الأعظم وصاحب الزمان وإمامه هو الحاكم على الزمان والمكان وما فيها، فهو أمام الكلّ وإمام الكلّ، وإنّه العلة في الخلق (لولاك لما خلقت الأفلاك) فالإمام لا يتأثّر بمقتضيات الزمان والمكان وآثارهما في خلقهم النوري والجانب المملوكوتي، وإن كان في جانبهم الناسوتي والبشري ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(١) له ما للناس، ولكن مع هذا له بإذن ربّه حقّ الولاية الكبرى على الكون الرحب وما فيه، فهو إمام الزمان بنحو (على) الاستعلائية وإن كان الظاهر بنحو (في) الظرفية.

فالإمام كما كان خلقه قبل الزمان فإنّه لا يتأثّر بمستلزماته، بل هو الحاكم المطلق بأمر من الله سبحانه عليه.

وربما من هذا المنطلق ورد في خصائص النبيّ والوصيّ أن لا ظلّ لهما، فلم يتحكّما بآثار الشمس والقمر، كما أنّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله شقّ القمر إلى نصفين،

(١) الكهف: ١١٠، فصلت: ٦.

كما في القرآن الكريم، كما أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يردّ الشمس ليصلي في وقتها، وأنه ورد في الخبر الشريف « ما منّا إلا مسموم أو مقتول»، فلولا الشهادة بالسّم والاستتابة بالقتل، لكان كلّ واحد من الأئمة الأطهار عليهم السلام بإمكانه أن يعيش في طول الزمان لحكومته وسلطنته عليه، بإذن ربّه ولتقدّم خلقه، وإنّ العلة لا تتأثر بأحكام المعلول، كما هو واضح وثابت في الحكمة المتعالية. فالمعلول إنّما يتأثر بأحكام علته.

فإمام الزمان - بالمعرفة النورية - يعني حكومته وإمامته على الزمان، فلا يتأثر بمقتضياته، ومنها الهرم والشيخوخة، بل يطول عمره بطول الزمان (فهو إمام الزمان - بكسر همزة الإمام بمعنى الحاكم على الزمان وليس المحكوم به، ويفتح الهمزة بمعنى التقدّم عليه كما في خلقته النورية).

نعم لو أراد الموت وتعلقت مشيئته أن يفني جسده أو تفصل أعضائه، فإنّه يتأثر بالعامل الزماني، وإنّ ملك الموت يستأذنه في قبض روحه، لتعلق إرادته بذلك.

وهذا يعني حاكمية الإمام عليه السلام على الزمان أيضاً، وبهذه النظرة الجديدة في معرفة إمام الزمان عليه السلام يستكشف حقيقة كثير من المعاجز النبوية والولوية، ويسهل قبولها وهضمها.

ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية الأولى الجهلاء، التي كان الناس أيامها يقتلون أبناءهم خشية إملاق ويؤدون بناتهم، ويصنعون من التمر رباً وصنماً يعبدونه، وإذا جاعوا أكلوا ربهم.

ومعرفة إمام زمانك تارة بالمعرفة الجلالية بأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأمه السيدة نرجس عليها السلام وإنّه ولد سنة (٢٦٦) من الهجرة النبوية

الشريفة، وأنه غاب عن الأبصار خوفاً من الطغاة، وأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وغير ذلك من كراماته وفضائله وسيرته، وأنه القائم المنتظر عليه السلام، قد نابه في غيبته الصغرى أربعة أنفار بنياية خاصة، وأمّا في زمن الغيبة الكبرى بأمر منه عليه السلام في نيابة عامة نرجع إلى الفقيه الجامع للشرائط، وغير ذلك من المعرفة الظاهرية، وإتّها من بوادي المعرفة.

وتارة نعرفه بالمعرفة الجمالية النورية، بأنّه إمام الزمان والحاكم عليه، وأنّ الزمان معلوله يتأثر به وتحت حكومته المطلقة وأمره المطاع، فلا يتأثر بالعوامل الزمنية، ومن ثمّ يبقى متى ما أراد البقاء، وشاءت مشيئته بإرادة الله وإذنه.

كما أنّه بمشيئته وقدرته أن يوقف سنّه في حدّ خاصّ ومرحلة خاصة، كما لو أراد أن يبقى في مظهر الرجل الأربعين - كما ورد في الخبر الشريف أنّه يظهر بسنّ الأربعين - أي بمظهر الرجل الكامل، ولا عجب فإنّه الحاكم على الزمان وإمامه وأمامه، وأنّ له نظير في أعضاء البدن، فإن شعر الرأس لولا الحلق أو التقصير فإنّه يطول وإلى أمتار كما فعل ذلك بعض المرتاضين من الهند، بخلاف شعر الحاجب فإنّه يقف في حدّ خاصّ، ولو مرّت عليه السنين الطويلة.

فصاحب الزمان عليه السلام حجّة الله الأعظم، شاء الله له أن تعلقت إرادته أن يبقى بمظهر الأربعين، فلا مانع من ذلك عقلاً ونقلًا، فيتمّ البرهان الساطع بعد تحقق مقتضى، وبذلك تمّت كلمة ربك الحسنی، والله الحجّة البالغة.

زبدة الكلام

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» خبر نبوي شريف متواتر معني عند الفريقين - السنة والشيعه - والمعرفة كلي مشكك لها مراتب طولية وعرضية، أديها المعرفة الظاهرية والجلالية وأعلاها المعرفة الجمالية الباطنية، ثم الكمالية، والإنسان تارة ينسب إلى كل الزمان، كما أن الزمان بالمعنى الأعم يضاف إليه، وأخرى يقصد من زمانه خصوص الزمان الذي يعيش فيه، وإمام الزمان تارة يعني إمام كل الزمن والمتقدم والحاكم عليه، كما أن المقصود من الزمان هو الوقت والمعنى الحقيقي للزمان وأخرى يقصد منه - تجوزاً - الحوادث الاجتماعية والسياسية وما شابه ذلك كما يقال المؤمن عارف بزمانه، أي بأهل زمانه بحذف المضاف، فإمام الزمان بمعنى الإمام الذي يختص بزمانه وأنه المسؤول الأول الذي يرجع إليه في أمور الدين والدنيا، على أن الإمامة رئاسة عامة في الدين والدنيا بنص الله ورسوله المختار ﷺ، وبهذا تختلف وتتفاوت معرفة إمام الزمان ﷺ كما أن الزمان ينقسم إلى أول وآخر، وآخر الزمان - في مصطلح الحديث - يعني من يوم بعثة النبي المصطفى ﷺ وإلى ظهور صاحب الأمر والزمان ﷺ وإلى قيام الساعة وأشراتها واقترابها، فإن الرسول الأعظم محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وإنه نبي آخر الزمان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَقَدِّمَةٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ

فِي ذِكْرِ

أَخْرَاجِ الْخُلَفَاءِ وَالْحَمَجِ الْإِلَهِيِّ

مُقْتَبَسٌ مِنْ كِتَابِ

مَقَدِّمَةٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ

تَأليف

سَمَاحَةَ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْوَحِيدِ الْخَلِيسَانِيِّ

طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

مما قد يوجب الشبهة في ذهن البسطاء والسطحيين طول عمر الإمام المهدي عليه السلام ، فينبغي أن يعلم أنّ طول عمر الإنسان حتّى إلى ألوف السنين ليس بمحال عقلاً ولا عادةً ، لأنّ المحال العقلي ما ينتهي إلى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما ، كأن نقول كلّ شيء إما موجود أو غير موجود ، وكلّ عدد إما فرد أو زوج ، واجتماع هذين أو ارتفاعهما محال .

أمّا المحال العادي فهو ما كان بنظر العقل ممكناً ،

لكنّه مخالف لقوانين الطبيعة ، كأن يقع الإنسان في النار ولا يحترق ، وأما حياة الإنسان قروناً عديدة ، وبقاء خلاياه شابة بكامل نشاطها ، فليس من القسم الأوّل ولا الثاني ، فإذا كان عمر إنسان كنوح (على نبينا وآله وعليه السلام) تسعمائة وخمسين سنة أو أكثر ، كان الزائد عليه أيضاً ممكناً ، ولهذا ما زال العلماء يبحثون عن سرّ بقاء خلايا الإنسان شابة نشيطة .

كما أنه قد ثبت بالقواعد العلمية الحديثة إمكان المحافظة على سلامة المواد المعدنية من التحلّل والزوال عن طريق التصرف في أجزائها وتركيباتها ، فمادّة الحديد - مثلاً - التي يفسدها الصدأ وغيره ، يمكن تبديلها إلى ذهب خالص لا يعرضه أيّ خراب وفساد .

وعليه فإنّ طول عمر الإنسان أمرٌ ممكن عقلاً وعلماً وإن لم يكتشفوا إلى اليوم سرّ ذلك .

هذا مضافاً إلى أنّ الإعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام وطول عمره إنما هو بعد الإعتقاد بالقدرة المطلقة لله

٤٦ / الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام

تعالى ، والإعتقاد بنبوة الأنبياء عليهم السلام وتحقق المعجزات على أيديهم .

إنّ القدرة التي جعلت النار على إبراهيم برداً وسلاماً ، وأبطلت سحر السحرة بعصا موسى ، وأحيت الأموات بِنَفْسِ عيسى ، وأبقت أهل الكهف قروناً أحياءً نياماً بلا ماءٍ ولا غذاء . . من الهين عليها إبقاء إنسان ألوف السنين حياً يرزق ويعيش بنشاط الشباب ، من أجل هدف إبقاء الحجّة لله في أرضه ، ونفاذ مشيئته في غلبة الحقّ على الباطل ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^١ .

وليس بعيداً عن زماننا يوم انهدم قبر الشيخ الصدوق عليه السلام فوجدوا جثته في قبره غصّة طرية ، ورأوا أنّ العوامل الطبيعية لتحلل الجسد قد توقّف عملها في بدنه الشريف!

فإذا كانت قوانين الطبيعة تخضع للاستثناء في حقّ

الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي ﷺ / ٤٧

شخص ولد بدعاء الإمام المهدي ﷺ ، وألف كتاباً مثل
كمال الدين باسمه ، فلا تعجب أن تخضع هذه القوانين
للإستثناء في حق خليفة الله تعالى في أرضه ، ووارث
جميع أنبيائه وأوصيائه .

السيد أمير محمد الكاظمي القزويني

الأمم المنظرة

و
شبهات الرجفية



الغدير
بيروت - لبنان

الخديير للدراسات والنشر

حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري

هاتف ١٦ / ٢٧٣٦٠٤ - ٠١ / ٥٥٨٢١٥ - ٠٣ / ٦٤٤٦٦٢

ص. ب ٥٠ / ٢٤ - بيروت - لبنان

E-mail: algadeer@ inco. com.lb

■ جميع حقوق الطبع محفوظة ■

لمركز الخديير للدراسات الإسلامية

ولا يحق لأي شخص، أو مؤسسة، أو جهة، إعادة

طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من الناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طول عمر الإمام المهدي

أما قوله: «فإن أعمار خير أمة إنما يكون من الستين إلى السبعين»، فمردود وغير مقبول؛ أما من حيث العقل فليس فيه ما يحكم باستحالة بقاءه ووجوده حتى يمتنع ولا يكون معقولاً لحكمه جازماً بأن الله تعالى على ذلك لقدير، على أننا قد وجدنا الكثير من المسلمين في عصرنا بلغت أعمارهم أربعين ومئة وما فوقها، ثم إن ابن تيمية لم يسلم من التناقض؛ فإنه قرّر هنا أن أعمار خير أمة إنما يكون من الستين إلى السبعين، وهناك تراه يقرّر بقوله: «إذ لا يعرف أحد ولد في زمن الإسلام عاش مئة وعشرين سنة»، فإنّ فحوى هذا القول يدلّ بصراحة على أنّه قد عاش كثيرون في زمن الإسلام خمس عشرة ومئة، أو عشر سنين ومئة، أو مئة كاملة، ومع ذلك تراه يزعم أنّ أعمار خير أمة من الستين إلى السبعين، وهل هذا إلاّ تناقض بين؟

وأما من حيث الفرز، فحسبك شهادة الأطباء الماهرين، كما في مجلة المقتطف المصرية، ص ٢٣٩، من الجزء الثالث، سنة ٥٩،

قالوا: «لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إنَّ كلَّ الأنسجة الرئيسيَّة في جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له. وإنَّه في الإمكان أن يبقى الإنسان حيّاً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته»، وليس قولهم هذا مجرد ظنٍّ وتخمين، بل هو نتيجة لنظريَّة علميَّة مؤيَّدة بالاختبار، وقالوا أيضاً في ص ٢٤٠ من المجلَّة نفسها: «وغيابة ما ثبت - الآن - من التجارب المذكورة أنَّ الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين والمئة من السنين، بل لأنَّ العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولا ترتباط بعضها ببعض تموت كلُّها؛ فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانع من استمرار الحياة مئات من السنين». وإن ابتغيت المزيد من أدلَّة جواز بقاء الإنسان ألوفاً من السنين فعليك بمراجعة علم الحيوان - البيولوجيات - لتعلم أنَّه لا مانع من ذلك عقلاً. ثمَّ إنَّ اختلاف الناس في القابليَّات والاستعدادات أمر لا سبيل إلى إنكاره، فمن الجائز - إذآ - أن الله تعالى قد أودع في جسم الإمام المنتظر عليه السلام قابليَّات واستعدادات وطاقات لا تؤثر فيها تلك العوارض اللاحقة لجسمه الشريف، وما المانع من أن يكون الله تعالى خلق في جسمه من المواد (البنسلينيَّة، أو الأورومايسيئيَّة، أو الستربتومايسيئيَّة - الخميرة المتموجَّة - أو الكلورومايسيئيَّة) أو غيرها من المواد التي توصل العلم إلى اكتشافها في قتل الجراثيم أو منع تأثيرها، وما لم يتوصل إليه لحدِّ اليوم، وقد يتوصل إليه

يوماً ما، ما يمنع تأثيرها أو يقضي على كل (مكروب وجرثوم) يوجب تلف أعضائه فيبقى حياً ما شاء الله تعالى، كما يجوز أن الله تعالى منع وصول تلك الجراثيم إليه من طرق أخرى على ما رآه من الحكمة والصلاح في استمرار حياته وبقائه، كما سنعرّج على توضيحه في القريب عند دفعنا لشبهات المنكرين وجوده ﷺ^(١)، وليس هناك من يستطيع أن يمنع هذا أو يحكم باستحالته أو استبعاده واستغرابه إلا الذي لربّه كنود أو لعقله مكابر أو للعلم معاند.

وأما من حيث القرآن، فلأنه ذكر أن حياة نوح النبي ﷺ قد امتدت ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهي المدة التي مكث فيها في قومه يدعوهم فيها إلى عبادة الله، وهذا إبليس عدوّ الله حيّ موجود إلى الوقت المعلوم، وناهيك بالكتاب شاهد عدل عليه، ولقد فات هؤلاء المنكرين أن يتمثلوا بقول الشاعر المسلم العربي:

وقولك: إن الاختفاء مخافة

من القتل شيء لا يجوزه الحجر

فقل لي لماذا غاب في الغار أحمد

وصاحبه (الصدّيق) إذ حسن الحذر؟

ولم أمرت أمّ الكليم بقذفه

إلى نيل مصر حين ضاقت به مصر؟

(١) راجع ص ٧٣ - ٧٩.

وكم من رسولٍ خاف أعداءه فاختمت
 وكم أنبياء من أعاديهم فرّوا؟
 أيعجز ربّ الخلق عن نصر دينه
 على غيرهم؟ كلاً فهذا هو الكفر
 وهل شاركوه في الذي قلت: إنّه
 يؤول إلى جبن الإمام وينجر؟
 فإن قلت: هذا كان فيهم بأمر من
 له الأمر في الأكوان والحمد والشكر
 فقل فيه ما قد قلت فيهم فكلّهم
 على ما أراد الله أهواؤهم قصر
 وإن تسترب فيه لطول بقائه
 أجابك إدريس والياس والخضر
 وفي ابن أبي الدنيا جليّ دلالة
 على أنّ طول العمر ليس له حصر
 ومكث نبيّ الله نوح بقومه
 كذا قوم أهل الكهف نصّ به الذكر
 وقد وجد الدجال من عهد أحمد^(١)
 ولم ينصرم منه إلى السّاعة العمر

(١) ويقول ابن حجر الهيتمي، في ص ٢٧ من كتابه الفتاوى الحديثية: عن أبي الإسكافي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهديّ فقد كفر».

وقد عاش أوج ألف عام وفوقها
ولولا عصا موسى لأخره الدهر
ومن بلغت أعمارهم فوق مئة
ومن بلغت ألفاً فليس له حصر
فقول ابن تيميّة ساقط مردود، ورأيه مصادم للنصوص
القطعيّة.

عبد الله الخريفي



أَجَادِيثُ
وَكَلِمَاتٌ
مَوْجُودٌ

الْمِنْظَرُ الْأَمِيرِيُّ

كم هو عمر الامام المنتظر الآن ؟
ولادته الشريفة في النصف من شعبان سنة ٢٥٥
هجريّة . . .

١٢٨الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

والآن نحن نعيش سنة ١٤٠٨ هجرية عمره الشريف
يساوي ١١٥٣ سنة .

انه عمر يبدو غير مألوف في تصور الانسان ومن هنا
أنطلق التساؤل المَلَح :

كيف يمكن لانسان أن يعيش هذا العمر الطويل ؟

الإجابة على هذا الاشكال :

كيف نجيب على هذا التساؤل ، وهذا الاشكال ؟

المسألة لا تحتاج الى عناء كبير ، ولا تحتاج الى جهد
مضني ، ولا الى تعقيدات استدلالية .

المسألة ببساطة يمكن أن نستوعبها من خلال الادلة
التالية :

الدليل الأول

من الناحية العلمية لا نجد أيَّ صعوبة في تبني
الفكرة ، فلا يوجد حتى الآن أيَّ مقولة علمية أو عقلية ،
تدَّعي استحالة بقاء الإنسان حياً لمدة طويلة تتجاوز العمر
المألوف للانسان .

وربما نجد محاولات علمية تتجه لاثبات امكانية ان
يعيش الانسان لمدة أطول من العمر المألوف . وهذه

المحاولات من خلال التجارب التي أجريت على قسم من الخلايا الحيوانية ، استطاعت أن تصل إلى فرضية علمية تقول بإمكانية أن يتوافر الإنسان على عمر طويل إذا استطاع أن يكون لنفسه مواصفات موضوعية تحميه من المؤثرات الخارجية .

ذكرت مجلة المقتطف في أحد أعدادها (ج٣ مج ٥٩ تحت عنوان : هل يخلد الإنسان في الدنيا . .) هذه الفقرة « لكن العلماء الموثوقين يقولون أن كل الأنسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وأنه في الامكان أن يبقى الإنسان حياً الوفاً من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته ، وقولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان » .

وجاء في كتاب (في إنتظار الإمام) للشيخ الفضيلي ما يلي :

« إن جماعة من العلماء المحدثين أمثال : الدكتور الكس كارل ، والدكتور جاك لوب والدكتور ورن لويس وزوجته وغيرهم قاموا باجراء عدة تجارب في معهد (روكفلر) بنيويورك على أجزاء مختلفة من النبات والحيوان والانسان . وكان من بين تلكم التجارب ما أجريت على قطع من أعصاب الانسان وعضلاته وقلبه وجلده و كليته فرؤي أن

١٣٠.....الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

هذه الأجزاء تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها وما دامت لم يمرض لها عارض خارجي ، وأن خلايا تنمو وتتكاثر وفق ما يقدم لها من غذاء .

وأكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية أن الانسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة اذا ما خدر مثل بعض الحيوانات . . .

(في انتظار الإمام ص ٥٥ - ٥٩)

فهذه المقولة ، وان اعتبرناها لا زالت فرضية الا أنها تشكل دعماً الى حد ما لفكرة بقاء الامام المهدي حياً هذا العمر الطويل . ويكفي ان تلغي هذه المقولة ، دعوى التناقضية والتنافي بين فكرة الامام المهدي والعلم الحديث .

ويثار هنا اشكال ضد هذا الطرح ، حيث يتنافي مع فكرة (الأجل) المقرر في القرآن والتي هي من المسلّمات الايمانية .

ويتلاشى هذا الاشكال ، حينما يتضح لنا أن فكرة (الأجل) وان كانت من المسلّمات الايمانية ، الا أن معنى (الأجل) يحتاج الى بلورة في ذهنية الانسان المؤمن ، ولا أظن أن مقامنا وأجواء الحديث تسمح بالولوج في أبحاث من هذا النوع .

إلا أني أشير هنا بشكل مبسط وسريع إلى أن فكرة (الأجل) خاضعة لشروط موضوعية ، وإلا كيف يمكن أن نفهم الروايات التي تؤكد امكانية طول العمر وقصره نتيجة للقيام ببعض الأعمال والممارسات ،

- الصدقة تحفظ الانسان ...

- صلة الأرحام تطيل الأعمار ...

- قطيعة الأرحام تخرم الأجل ...

- الدعاء يدفع البلاء ...

- تناول بعض المأكولات والمشروبات يسرع

بالأجل ...

لفتة علمية قرآنية :

ولعلنا نجد في القرآن الكريم لفتة علمية رائعة قد تكون مؤشراً إلى امكانية بقاء الانسان حياً لمدة طويلة جداً ...

اقرأوا هذا النص القرآني الذي يتحدث عن قصة نبي الله ، يونس عليه السلام ...

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ... فَالتَّمَمَ

الحوث وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبحين ، للبت في بطنه الى يوم يبعثون . . . ﴿ الصافات / ١٣٩ - ١٤٤

فالنص يشير الى امكانية بقاء الانسان ، وامكانية بقاء الكائن الحي ، زمناً طويلاً قد يمتد الى يوم القيامة . . .

- ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون ﴾

هنا اشارة صريحة الى امكانية بقاء نبي الله يونس حياً في بطن الحوت الى يوم القيامة .

- ﴿ للبت في بطنه ﴾

هنا إشارة الى امكانية بقاء الحوت حياً الى يوم القيامة . . .

ففكرة بقاء الامام حياً لمدة طويلة تتجاوز المؤلف في حياة الانسان ، لا تصطدم مع الامكان العلمي ، بل ولا تصطدم مع الامكان العقلي والفلسفي لأنها لا تشكل تناقضاً مع ظاهرة الحياة الاعتيادية لأغلب الناس ، وذلك لانتفاء أحد وحدات التناقض الثمانية ، وهي « وحدة الموضوع » ، فمتى ما اختلف الموضوع في القضيتين فلا تناقض بينهما ، ومن الواضح أن الموضوع هنا مختلف . . .

الدليل الثاني

دليل تاريخي نستوحيه من القرآن الكريم . . . القرآن يحدثنا عن نبي الله نوح عليه السلام وعن العمر الطويل الذي عاشه وهو يحمل رسالة الله ويبلغ دعوته . . .

يقول الله تعالى في كتابه المجيد :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . . . ﴾ العنكبوت / آية ١٢

فالقرآن هنا يحدثنا عن عمر الدعوة وعمر الرسالة في حياة نبي الله نوح عليه السلام ، وأما عمره الكلي فهو يتجاوز عمر الدعوة وعمر الرسالة ، كما أكدت ذلك بعض النصوص التاريخية .

فاذا كانت الارادة الالهية منحت نبي الله نوحاً عليه السلام هذا العمر الطويل ، ليمارس دوره الرسالي ، وليعيد بناء المجتمع البشري من جديد بعد الطوفان ، فما المانع أن تمنح الارادة الالهية الامام المهدي العمر الطويل ليمارس دوره الرسالي ، ويعيد بناء العالم من جديد بعد هذه الطوفانات الخطيرة التي دمرت العالم . . .

الدليل الثالث :

الاعجاز الالهي . . .

لنفرض أن قانون الشيخوخة والأجل قانون صارم لا يمكن تجاوزه بحال من الاحوال ، ولا يمكن الانفلات منه بأي صورة من الصور . . .

ولكن اليس الله بقادر على أن يعطل القانون الطبيعي اذا اقتضت المصلحة الالهية ذلك .

فالله سبحانه وتعالى قد عطّل الكثير من القوانين الطبيعية بالنسبة لبعض الانبياء عليهم السلام ، لمصالح إقتضتها حكمته تعالى . . .

واليكم بعض الأمثلة على ذلك . . .

١ - الله سبحانه وتعالى عطّل قانون الاحراق في النار بالنسبة لنبي الله ابراهيم عليه السلام . . .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ﴾

هنا تجمد وتعطل القانون الطبيعي الذي أودعه الله تعالى في النار ، فالارادة الالهية التي أوجدت هذا القانون ، قادرة على أن توقفه وتعطله في الحالات التي

تقتضيها الحكمة والمصلحة الالهية .

٢ - الله سبحانه وتعالى عطَّل قانون السيولة في الماء في قضية نبي الله موسى عليه السلام .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ .

فهنا تدخلت القدرة الالهية لحماية نبي من الانبياء وحماية المؤمنين معه فعطلت القانون المودع من قبل الله تعالى في الماء .

٣ - الله سبحانه وتعالى عطَّل قانون السمع في قصة أصحاب الكهف .

وقد سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عددا ﴾

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾

٤ - الله سبحانه وتعالى عطَّل قانون الإبصار في قضية خروج الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله من داره ليلة الهجرة . . .

خرج الرسول صلى الله عليه واله ، والمشركون يطوفون الدار ، ويطردون بكل يقظة وانتباه كل حركة ، فضرب الله تعالى على أبصارهم ، وحمى رسوله الكريم من كيدهم وشدهم ...

هذه أمثلة تؤكد تدخل القدرة الالهية ، أحياناً لتعطيل بعض الفوائين الطبيعية الصارمة حينما تقتضي الحكمة الالهية ذلك ...

فما المانع أن يعطل الله سبحانه وتعالى قانون الشيخوخة والأجل بالنسبة الى الامام المهدي عليه السلام ، ليقوم بدوره الرسالي الكبير في العالم ...

الدليل الرابع

الدليل الروائي ..

فقد أكدت الروايات الصادرة عن الرسول الأكرم وعن الأئمة الطاهرين على وجود الإمام عليه السلام وإمتداد عمره الشريف ...

وهذه الروايات يمكن تصنيفها الى عدة فئات :

أ - الروايات التي تؤكد على وجود إمام في كل زمان ، وأن الأرض لا تخلو من حجة ..

ومن هذه الروايات :

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية »

ورواية أخرى تقول :

« لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله ، إمام ظاهر مشهود ، وإمام خائف مغمور ، لئلا تبطل حجج الله وبياناته »

ب - الروايات التي تتحدث عن غيبة الإمام المهدي ...

ومن هذه الروايات قول الرسول صلى الله عليه وآله :
« المهدي من ولدي اسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، أشبه الناس بي خلقاً وخلقا تكون له غيبة وحيدة ، تفضل الأمم ثم يقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً »

ج - الروايات التي تؤكد أنه لا تقوم القيامة حتى يظهر الإمام المنتظر عليه السلام ...

ومن هذه الروايات قول الرسول صلى الله عليه وآله :
« لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً »

د - الروايات التي تشبه الإمام المهدي ببعض الأنبياء

في طول العمر . . .

ومن هذه الروايات ما يؤكد أن في القائم شبه من :
نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ومحمد صلى الله
عليه وآله . . . فأما شبه من نوح عليه السلام فطول
البقاء . . .

هـ - الروايات التي تؤكد خروج الإمام المهدي عليه
السلام شاباً رغم طول عمره . . .

ومن هذه الروايات :

- الرواية الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام : قال :
« علامته أن يكون شيخ السن ، شاب المنظر حتى أن
الناظر إليه ليحسبه ابن الأربعين سنة أو دونها . . . »

- والرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام
قال :

« لو قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً
موفقاً . . . »

- والرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام
قال :

« إن في صاحب الزمان عليه السلام شيئاً من يونس
عليه السلام ؛ رجوعه من غيبته بشرخ الشباب »

الإمام المنظوم

قراءة في الإشكاليات

الشيخ عبد الله الغريفي

الجزء الخامس

دار السكّان

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

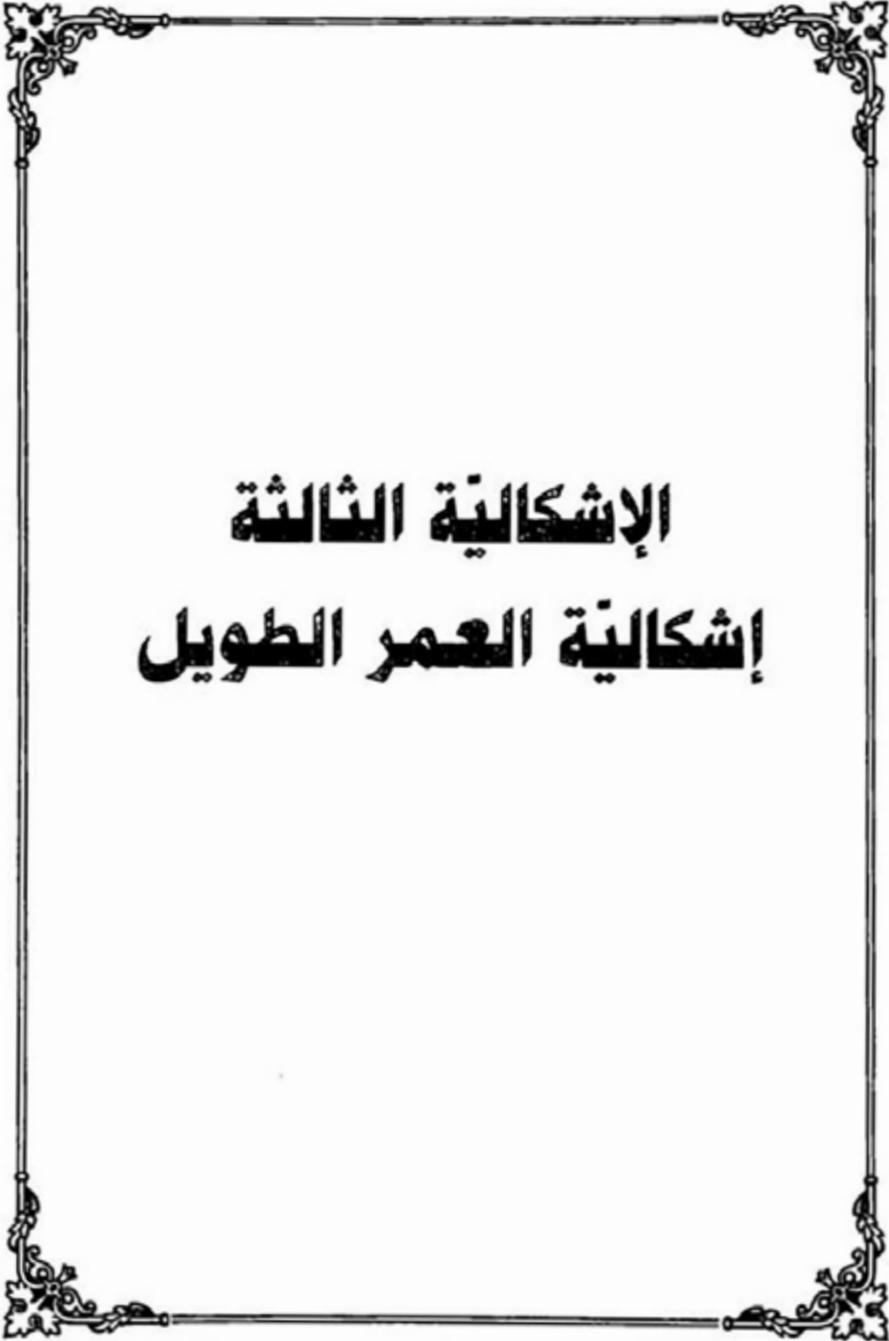
حقوق الطبع محفوظة لدى لجنة الغريفي الثقافية ©



مكتب سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي
هاتف: +٩٧٣-١٧٤٠٣١٣٤ / فاكس: +٩٧٣-١٧٤٠٣١٣٠
الموقع الإلكتروني: www.alghuraiifi.org
البريد الإلكتروني: alghuraiifi@alghuraiifi.org
السهلة الشمالية - البحرين

 مركز ابن إدريس الحلي
للتنمية الفقهية والثقافية
البحرين - فنك لأشرف


بيروت - لبنان
لبنان: 009611472192 - 009613461595
المرقا: 009647802150376
E-mail: daralsalamoo@hotmail.com



الإشكالية الثالثة إشكالية العمر الطويل

إشكالية العمر الطويل

- ❑ الإشكال الأول: الإشكال الديني.
- ❑ الإشكال الثاني: الإشكال العقلي.
- ❑ الإشكال الثالث: الإشكال العلمي.
- ❑ الإشكال الرابع: الإشكال العقيدي.
- ❑ الإشكال الخامس: الإشكال التاريخي.
- ❑ الإشكال السادس: الإشكال العملي.

التأريخ لإشكالية العمر الطويل

لكي نُؤرخ لهذه الإشكالية نحاول أن نتابع عدّة مراحل،

المرحلة الأولى،

التهيئة لاستيعاب «ظاهرة الغيبة وطول العمر»

هذه الظاهرة في حياة الإمام المهدي عليه السلام غير مألوفة، الأمر الذي فرض أن تتحسّد الروايات من أجل تهيئة الذهنيّات لاستيعابها والقبول بها، وبذلك شكّلت هذه الروايات «أساساً لمواجهة الإشكالية».

وقد عالجتنا «روايات الغيبة» متناً ومسنّداً في مبحث سابق من مباحث هذا الكتاب^(١).

ونُعيد لذاكرة القارئ نموذجين من تلك الروايات،

النموذج الأول،

●● عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام

يقول:

«إِنَّ بَلْفَكُمُ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ [الإمام المهدي] عليه السلام غَيْبَةٌ فَلَا تُتَكْرَهُهَا»^(٢).

(١) ج ٢ ص ١٦٩ من هذا الكتاب.

(٢) الكليني: أصول الكليّة ١: ١٩٩ كتاب الحجّة/ حديث ٩٠٠.

رجال الإسناد:

- ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني؛
- «أوثق الناس في الحديث وأثبتهم - تقدم في أسانيد كثيرة».
- علي بن إبراهيم القمي؛
- «ثقة في الحديث، ثبت، معتمد - تقدم في أسانيد كثيرة».
- إبراهيم بن هاشم القمي؛
- «ثقة من شيوخ الإجازة - تقدم».
- محمد بن أبي عمير؛
- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدم».
- محمد بن مسلم؛
- «فقيه ورع من أوثق الناس - تقدم».

النموذج الثاني:

- عن زرارة قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصادق عليه السلام]:
- «يأتي على الناس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامهم فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟»
- قال: يتمسكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم^(١).

رجال الإسناد:

- محمد بن علي بن الحسين الصدوق؛
- «اتفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدم في أسانيد كثيرة».

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٣٥٠ ب ٢٢ / حديث ٤٤.

- علي بن الحسين بن بابويه ،
- «فقيه جليل ثقة - تقدم».
- عبد الله بن جعفر الحميري ،
- «شيخ القميين ووجههم ثقة - تقدم».
- أيوب بن نوح ،
- «عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، مأمون ، شديد الورع ، ثقة في رواياته - تقدم».
- محمد بن أبي عمير ،
- «من أوثق الناس وأصدقهم وأورعهم - تقدم».
- جميل بن دراج ،
- «وجه الطائفة ثقة - تقدم».
- زرارة بن أعين ،
- «فقيه قارئ صادق فيما يرويه ، ثقة اجتمعت فيه خلال الفضل والدين - تقدم».

المرحلة الثانية ،

تدوين روايات الغيبة وطول العمر ،

دوّنت مصادر شيعية روايات الغيبة وطول العمر ، وبذلك شكّل هذا التدوين مرحلة أخرى في سياق التاريخ للإشكالية المذكورة .

وهذه نماذج من تلك المصادر والمصنفات:

- ١- الغيبة للفضل بن شاذان (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) [عاش قبل عصر الغيبة الصغرى التي بدأت سنة ٢٦٠ هـ وانتهت سنة ٣٢٩ هـ].
- ٢- أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت/ ٣٢٩) [عاصر الغيبة الصغرى].
- ٣- غيبة النعماني لمحمد بن إبراهيم النعماني (معاصر للشيخ الكليني) [عاصر الغيبة الصغرى].
- ٤- إثبات الوصية للمسعودي (ت/ ٣٢٣ هـ) [عاصر الغيبة الصغرى].
- ٥- كمال الدين للشيخ الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ) [أدرك أواخر الغيبة الصغرى].
- ٦- كفاية الأثر للخزاز القمي (من تلامذة الصدوق) [بدايات عصر الغيبة الكبرى].
- ٧- الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ) [بدايات عصر الغيبة الكبرى].
- ٨- كتاب الغيبة للشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠ هـ) [بدايات عصر الغيبة الكبرى].

المرحلة الثالثة:**إشكالية العمر الطويل، الطرح والمناقشة:**

حينما نقرأ مصنفات المسلمين الأولى التي تناولت «مسألة المهدي» نجد طائفة منها اقتصرت على تدوين «الأحاديث العامة»، وأخرى دونت «أحاديث الغيبة»، وثالثة أثارَت «إشكالية الغيبة وطول العمر» إثباتاً أو نفيًا.

وأقتصر هنا على ذكر بعض من المصنفات السننية^(١):

- ١- المصنّف للحافظ الصنعاني (ت/ ٢١١ هـ):

(١) مرّ ذكر هذه المصنفات تفصيلاً.

[قبل الغيبة] تناول الأحاديث العامة فقط في الجزء الحادي عشر / باب المهديّ.

٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت / ٢٤٠ هـ) ،

[قبل عصر الغيبة] تناول أحاديث المهديّ العامة في عدّة أجزاء من مسنده (تقدّمت الشواهد على ذلك).

٣ - سنن ابن ماجه (ت / ٢٧٥ هـ) ،

[عاصر بداية الغيبة الصفريّ] تناول أحاديث المهديّ العامة في الجزء الثاني، كتاب الفتن، باب خروج المهديّ.

٤ - سنن أبي داوود (ت / ٢٧٥ هـ) ،

[عاصر بداية الغيبة الصفريّ] تناول أحاديث المهديّ العامة في الجزء الرابع، كتاب المهديّ.

٥ - سنن الترمذي (ت / ٢٧٩ هـ) ،

[عاصر بداية الغيبة الصفريّ] تناول أحاديث المهديّ العامة في الجزء الرابع، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهديّ.

٦ - المعجم الكبير للطبراني (ت / ٣٦٠ هـ) ،

[عاصر أواخر الغيبة الصفريّ وبداية الكبرى] تناول أحاديث المهديّ العامة في الجزء العاشر، الأحاديث من ١٠٢١٢ حتى ١٠٢٣٠.

٧ - مهالم السنن للخطابي (ت / ٣٨٨ هـ) ،

[عاصر أواخر الغيبة الصفريّ وبداية الكبرى] تناول أحاديث المهديّ العامة

في شرحه لسنن أبي داود.

٨- مستدرك الحاكم النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ) ،

[عاصر بدايات الغيبة الكبرى] تناول أحاديث المهدي العامة في الجزء الرابع، كتاب الفتن والملاحم.

٩- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي (ت / ٦٥٢ هـ) ،

أشار ضمنًا إلى «إشكالية العمر الطويل» وناقشها بقوله: «وليس يبدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين... مد الله أعمار جمع كثير من خلقه من أصفياؤه وأوليائه، ومن مطروديه وأعدائه - وساق أمثلة على ذلك ثم قال - فأني مانع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح [يعني الإمام المهدي] إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به»^(١).

١٠- تذكرة الخواص للعلامة سبط بن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) ،

أشار إلى الأدلة التي يحتج بها الشيعة الإمامية، ولم يعقب عليها، مما يوحي بتسليمه بها... قال في تذكرته (فصل في ذكر الحجة المهدي):

«وعامة الإمامية على أن الخلف الحجة موجود وأنّه حيّ يرزق، ويحتجون بأدلة - وذكر أدلتهم ولم يعقب عليها -».

١١- البيان في أخبار صاحب الزمان لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت / ٦٥٨ هـ) ،

افتترض وجود إشكالية وأجاب عنها بقوله: «من الأدلة على كون المهدي حيًا

(١) الشافعي: مطالب السؤول، الجزء الثاني، الباب الثاني عشر.

باقياً منذ غيَّبه إلى الآن [زمان الكنجي الشافعي] وأنه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم، والخضر، وإلياس من أولياء الله، وبقاء الأعرور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله، هؤلاء ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة - وساق طرفاً من أدلة الكتاب والسنة -^(١).

١٢ - شرح المقاصد للتفتازاني الشافعي (ت / ٧٩٣ هـ) ،

ذكر في كتابه إشكالية العمر الطويل حيث قال^(٢):

«وزعمت الإمامية من الشيعة أنه [يعني المهدي] محمد بن الحسن العسكري، اختفى عن الناس خوفاً من الأعداء، ولا استحالة في طول عمره كنوح ولقمان والخضر عليه السلام، وأنكر ذلك سائر الفرق...».

- ثم ساق مبررات الإنكار -

١- «لأنه ادعاء أمر يستبعد جداً، إذ لم يُعهد في الأمة مثل هذه الأعمار من غير دليل عليه ولا أمارة ولا إشارة قامت من النبي (صلى الله عليه وآله) وسلّم».

٢- «ولأن اختفاء إمام هذا القدر من الأيام بحيث لا يُذكر منه إلا الاسم بعيد جداً».

٣- «ولأن بعثه مع هذا الاختفاء عبث، إذ المقصود من الإمامة الشريعة وحفظ النظام ورفع الجور ونحو ذلك».

٤- «ولو سلّم، فكان ينبغي أن يكون ظاهراً، ليظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت، ليستظهر به الأولياء، وينتفع به الناس، لأن أولى الأزمنة بالظهور هذا الزمان».

(١) نقلاً عن الفصول المهمة، الفصل الثاني عشر.

(٢) التفتازاني: شرح المقاصد ج ٧ ص ٣٠٧، ٣٠٨.

١٣ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي (ت / ٨٥٥ هـ) ،

أورد كلام الكنجي الشافعي المدون في كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) حيث استدل على بقاء الإمام المهدي ولم يُعقب على كلامه^(١).

١٤ - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام عبد الوهاب الشمراني (ت / ٩٧٣ هـ) ،

ذكر «الإمام المهدي» مؤكداً بقاءه واستمرار حياته حتى يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام^(٢).

١٥ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي الشافعي (ت / ٩٧٤ هـ) ،

تعرض إلى إشكالية العمر الطويل قائلاً: «إن تغيب شخص هذه المدّة المديدة من خوارق العادات، فلو كان هو [محمد بن الحسن] لكان وصفه (صلى الله عليه وآله) [وسلم] بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك ممّا مرّ»^(٣).

١٦ - غالية المواعظ لأبي البركات الألويسي الجعفي (ت / ١٣١٧ هـ) ،

أشار إلى مذهب الإمامية في المهدي المنتظر بقوله: «ويُعرف عندهم بالحجة والمنتظر والقائم... وهو حيّ الآن موجود في الدنيا، وهذا مع بعده في العقل، لا يؤيده صحيح نقل»^(٤).

(١) الفصول المهمة، في الفصل الثاني عشر.

(٢) اليواقيت والجواهر: المبحث الخامس والستون.

(٣) ابن حجر: الصواعق المحرقة ص ١٦٦.

(٤) الألويسي: غالية المواعظ ١: ٧٨.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الأول:

الإشكال الديني

- فرضية العمر الطويل لا تملك سنداً دينياً.
- النصوص الدينية تنفي هذه الفرضية.

من الإشكالات التي تواجه عقيدة الشيعة في ما يؤمنون به من «بقاء الإمام المهدي» هذا العمر المديد الذي تجاوز المألوف من الأعمار، إن هذه العقيدة لا تملك «سنداً دينياً من الكتاب والسنة» لا على مستوى «الإمكان» ولا على مستوى «الوقوع».

فلا يصح أن تتشكل عقيدة غير مألوفة جداً - كما هي عقيدة الشيعة في بقاء الإمام المهدي - من دون التوفر على نصوص دينية قطعية صريحة تتحدث عن «إمكانية» هذا البقاء، وعن الإخبار بحدوثه في سياق الحديث عن مسألة «المهدي» التي تواترت الروايات حولها، وهذا ما لا نجد له أثراً في المصادر الإسلامية وربما نجد ما يؤكد على نفيه، حسب ما جاء في النصوص القرآنية:

- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾^(١).
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢).
- ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾^(٣).

(١) الأنبياء: آية ٣٤.

(٢) آل عمران: آية ١٨٥.

(٣) الواقعة: آية ٦٠.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الأول:

نقد الإشكال الأول

السُّنَدُ الدِّينِيّ مِنَ الْقُرْآنِ

أولاً، نصوصٌ قرآنيةٌ أكّدت ظاهرة العمر الطويل،

النص الأول،

سورة العنكبوت / الآية ١٢،

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

يبدو من ظاهر النص القرآني أنه يتحدث عن «مرحلة الدعوة قبل الطوفان»، أما كم هو عمر نوح حين بدأ الدعوة وكم بقي بعد الطوفان، فالنص لا يشير إلى ذلك، وربما أوضحت ذلك المصادر الحديثية والتفسيرية والتاريخية.

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال،

«عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء، فمصر الأممصار وأسكن ولده البلدان»^(١).

الحديث رجاله ثقات،

• أبو جعفر الصادق،

- اتفقت الكلمات على وثاقته، وجلالة قدره، وعظم منزلته - تقدم في أسانيد كثيرة..

⊙ محمد بن الحسن بن الوليد،

- «ثقة ثقة عين - تقدم».

⊙ محمد بن الحسن الصفار،

- «ثقة عظيم القدر - تقدم».

⊙ أحمد بن محمد بن عيسى،

- «شيخ القميين ووجههم وفتيهم ثقة - تقدم».

⊙ علي بن الحكم بن الزبير،

- «ثقة جليل القدر».

انظر: منتهى المقال ٤ / ٢٠٠٦.

⊙ هشام بن سالم،

- «ثقة ثقة - تقدم».

فإذا كانت الإرادة الإلهية منحت نبي الله نوحاً عليه السلام هذا العمر الطويل ليُمارس دوره في إعادة بناء المجتمع البشري من جديد بعد الطوفان، فما المانع أن تمنح الإرادة الإلهية الإمام المهدي عليه السلام العمر الطويل ليُمارس دوره في إعادة بناء العالم من جديد بعد هذه الطوفانات الخطيرة التي دمرت العالم.

النص الثاني،

سورة النساء / الآيات ١٥٧ - ١٥٩،

⊙ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

النص القرآني - هنا - يعالج بالنفي «العقيدة المسيحية» في ما تزعمه من «قتل المسيح وصلبه» وقد تشكّلت هذه العقيدة في الذهنية المسيحية من خلال «النصوص الإنجيلية المحرّفة» في ما أكّده من فكرة «القتل والصلب» وفي ما صاغته من أسطورة (القربان والفساد) حيث زعمت بأن المسيح إنّما جاء لهذا العالم ليكون (قرباناً) يغسل بدمه ذنوب البشر وينقذهم من العذاب.

والقرآن في هذا المقطع من سورة النساء ينفي بشدة هذا الوهم الكاذب الذي عاش في العقل المسيحيّ عدّة قرون، ويؤكد في المقابل «قضية الرفع للسيد المسيح».

وقد جاءت الروايات في مصادر الحديث والتفسير عند المسلمين لتقول بأن المسيح ﷺ لا زال حيّاً وسوف ينزل من السماء في آخر الزّمان، ويصلي خلف الإمام المهديّ الذي يظهر في آخر الدنيا فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...

ومن هذه الروايات ما دوّنته أمّهات المصادر الحديثية :

١ - صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء / باب نزول عيسى) :

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلّم) قال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْحَرْبَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

قال أبو هريرة راوي الحديث: واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

٢ - صحيح البخاري (الباب نفسه) ،

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

٣ - صحيح مسلم (كتاب الإيمان / باب نزول عيسى بن مريم) ،

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم [عليه السلام] حكماً مقسطاً -
إلى آخر الحديث كما جاء في البخاري -».

٤ - صحيح مسلم (الباب نفسه) ،

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلْيَكْسِرَنَّ الصُّلَيْبَ، وَلْيَقْتُلَنَّ الْخَنْزِيرَ،
وَلْيَضْمَنَّ الْجَزِيَّةَ، وَلْيَتْرَكَنَّ الْقَلَاصُ فَلَآ يُسْمَى عَلَيْهَا، وَلْيَتَذَهَبَنَّ الشُّخْنَاءُ
وَالْتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلْيَدْعُوَنَّ [وَلْيَدْعُوَنَّ] إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

٥ - صحيح مسلم (الباب نفسه) ،

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

٦ - صحيح مسلم (الباب نفسه) ،

• عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ:
فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالِ فَصَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنْ بَعْضُكُمْ
عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

٧- الجامع الصحيح = سنن الترمذي (كتاب الفتن / الحديث ٢٢٣٣)،

أخرج الحديث كما جاء في البخاري ومسلم.
وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٨- الجامع الصحيح (الباب نفسه)،

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:
«كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا أَوْلَاهَا، وَالْمَهْدِيُّ أَوْسَطُهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا».

ملاحظة،

مرت أحاديث نزول عيسى عليه السلام ضمن مباحث سابقة.

انظر،

- الإشكالية الأولى، العنصر الثاني، النقطة الخامسة، وكذلك: العنصر الرابع،
المقولة الرابعة.

بعض كلمات المفسرين،

في قوله تعالى في سورة آل عمران / الآية ٥٥،
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيُّ وَارْتَصِبْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾.

(١) الرازي في تفسيره الكبير (٣، ٢٣٧ - ط ٣، دار إحياء التراث)،
في معنى قوله تعالى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قال الرازي:

اختلف أهل التأويل على طريقين،

الطريق الأول،

إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها؛ ثم ذكر في بيان هذا

الطريق مجموعة وجوه:

الوجه الأول:

المعنى «متمّم عمرك، فحينئذ أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي...».

الوجه الثاني:

«مُمتك... ثم اختلفوا [أصحاب هذا الوجه] على ثلاث أوجه أحدها: تُوفي ثلاث ساعاتٍ ثم رُفِع، وثانيها: تُوفي سبع ساعاتٍ ثم أحياه الله ورفعهُ، والثالث: أنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء...».

الوجه الثالث:

«الآية تدلّ على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوفٌ على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حيٌّ وورد الخبر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنه سينزل ويقتل الدجال) ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك..».

الوجه الرابع:

«متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك..».

الوجه الخامس:

«التوفي أخذ الشئ واقباً... أي رفعه الله بتمامه إلى السماء بروحه وجسده...».

الوجه السادس:

«أي أجعلك كالتوفى لأنه إذا رُفِع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالتوفى..».

الوجه السابع،

«التوفيّ هو القبض» وله أنواع: بالموت، بالإصعاد إلى السماء...».

الوجه الثامن،

«مستويّ عملك، ورافع عملك إليّ».

الطريق الثاني،

فرض التقديم والتأخير في الآية،

«وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ» يقتضي أنه رفعه حياً...

«وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا»..

(ومتوفيك) بعد إنزالي إياك في الدنيا...».

(٢) الطبري في تفسيره جامع البيان (٣، ٣٩٤، ط دار الفكر)،

قال الطبري: «اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في

هذه الآية:

فقال بعضهم: هي وفاة نوم، أي رافعك في نومك [وذكر رواية عن رسول الله

ﷺ] قال لليهود: «إن عيسى لم يمّت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة».

وقال آخرون: إنّي قابضك من الأرض... أي قابضك من الأرض حياً إلى

جواربي، وأخذك إلى ما عندي بغير موت...

[وذكر في ذلك روايات].»

وقال آخرون: «إنّي متوفيك وفاة موت» [وذكر أقوالاً في معنى الموت].

وقال آخرون: إنّي رافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي

إياك إلى الدنيا...

قال أبو جعفر: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إنني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، لتواتر الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم] أنه قال: (ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال) ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها واختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه». [وساق مجموعة روايات].

(٣) القرطبي في تفسيره (٤ ، ٩٩ ، ص دار إحياء التراث) ،

قال القرطبي في تفسير الآية:

«وقال جماعة من أهل المعاني منهم الضحّاك والفراء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ الآية ﴿على التقديم والتأخير لأنّ الواو لا توجب الرتبة، والمعنى إنني رافعك إليّ ومطهرّك من الذين كفروا ومتوفّيكَ بعد أن تنزل من السماء...»

وذكر أقوالاً أخرى مرّ ذكرها في ما أورده الرازي - (ثم قال): والصحيح أنّ الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحّاك...»

(٤) ابن كثير في تفسيره (٢ ، ٣٩):

ساق أقوال المفسرين - ثم قال :-

«وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا النوم وكما قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾^(١) الآية.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٢) الآية. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إذا قام من النوم: (الحمد لله

(١) الأنعام: أية ٦٠.

(٢) الزمر: أية ٤٢.

الذي أحيانا بعد ما أماتنا) وقال تعالى ﴿وَيُكْفِّرُهُمْ وَعَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...﴾^(١).

(٥) الطبرسي في تفسيره مجمع البيان (٢، ٣٠٥)،

قال الطبرسي في تفسير الآية:

وقيل في معناه أقوال:

أحدها: إن المراد به: إنني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت، عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم.

وعلى هذا القول يكون للمتوفى تأويلان،

أحدهما: إنني رافعك إليّ وأفيًا لم ينالوا منك شيئًا من قولهم: توفيت كذا واستوفيته أي: أخذته تامًا.

والآخر: إنني متسلمك، من قولهم: توفيت منه كذا: أي تسلّمته.

وثانيها: إنني متوفيك وفاة نوم... عن الربيع قال: رفعه نائمًا، ويدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾^(٢) أي يميتكم لأن النوم أخو الموت...

وثالثها: إنني متوفيك وفاة نوم عن ابن عباس وهب قال: أماته الله ثلاث ساعات، فأما النحويون فيقولون: هو على التقديم والتأخير أي إنني رافعك ومتوفيك...

(ثم قال): ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (إن عيسى بن مريم لم يموت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة)، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: (كيف أنتم إذا

(١) النساء: الآيات ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) الأنعام: آية ٦٠.

نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) رواه البخاري ومسلم في الصحيح، فعلى هذا يكون تقديره: إني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء.

النص الثالث،

سورة الكهف / الآيات ١١، ١٢، ١٨، ٢٥ :

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(١).

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾^(٢).

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٣).

هذه الآيات القرآنية تتحدث عن «أصحاب الكهف» وقد بقوا أحياء وهم نيام، وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط، واستمروا في رقدتهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا.

ولم يتحدث القرآن عن أعمارهم قبل الرقدة الطويلة، وكم بقوا بعد أن بعثوا من رقدتهم؟

وإذا كانت الحكمة الإلهية فرضت أن يبقى هؤلاء الفتية الذين فروا بدينهم هذه السنين رقوداً، ثم بعثهم الله سبحانه، فقد فرضت حكمة الله أن يبقى الإمام المهديّ هذا العمر المديد، وسوف يظهر بإذن الله تعالى ليملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(١) الكهف: آية ١١ و١٢.

(٢) الكهف: آية ١٨.

(٣) الكهف: آية ٢٥.

قد يقال،

إن أصحاب الكهف أخبر عنهم قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قلنا،

والإمام المهدي أخبر عنه نبي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١).

وكون المسألة في قصة المهدي غيباً من غيب الله تعالى، فالإيمان به خاضع لتوفر الإثباتات الشرعية، وحيث ثبت لدينا - وبكل اطمئنان - صحة ما صدر عن رسول الله ﷺ في شأن الإمام المهدي عليه السلام فلا مناص من التسليم والإذعان والتصديق.

ولا تُشكّل مسألة العمر سبباً للزبية والشك والتردد والتوقف ما دام ذلك ممكناً ضمن مسارات الحكمة الإلهية، كما حدث لعيسى والخضر والياس من أولياء الله، وكما حدث لإبليس والدجال من أعداء الله.

النص الرابع،

سورة الحجر / الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

سورة ص / الآيات ٧٩، ٨٠، ٨١.

• ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(١).

(١) النجم: آية ٤.

(٢) الحجر: الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

- صدر الأمر الإلهي إلى الملائكة بالسجود لآدم ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(١).

- فاستجاب الملائكة لأمر الله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٢).

- وتمرد إبليس على الأمر الإلهي ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

- وبرر تمرده وعصيانه بقوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤).

- وجاء الطرد الإلهي ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٥).

- طرده الله من الجنة مهيناً ذليلاً تلاحقه اللعنة الإلهية إلى يوم القيامة.

- وهنا يطلب إبليس من الله جلّ وعلا أن يمنحه البقاء في الدنيا إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

- فاستجاب الله سبحانه طلبه ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

وهكذا كان لله حكمة في ذلك...

فمتى ما اقتضت حكمة الله أن يطول «عمر نبي من الأنبياء» أو «عمر ولي من الأولياء» أو «عمر شقي من الأشقياء» منحه الله تعالى ذلك العمر مهما طال وامتد، وتبقى الإرادة المطلقة له سبحانه...

من خلال ما تقدم من نصوص قرآنية نخلص إلى القول بأن «فرضية العمر الطويل» فيما يتجاوز المؤلف فرضية تملك «شواهد قرآنية».

(١) الأعراف: آية ١١.

(٢) الحجر: آية ٣٠.

(٣) ص: آية ٧٤.

(٤) الأعراف: آية ١٢.

(٥) ص: آية ٧٧، ٧٨.

ثانياً ، آيات قرآنية فسرت - من خلال بعض تطبيقاتها وتأويلاتها - بالإمام المهدي ،

من هذه الآيات ،

(١) قوله تعالى في سورة التوبة / الآية ٣٣ ،

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِتُكَرِّهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

أ- عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِتُكَرِّهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أظهر بعد ذلك؟ قالوا: نعم، قال: كلا، فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشيماً^(١).

ب- عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِتُكَرِّهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

فقال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم [الإمام المهدي]»^(٢).

ج- محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في قوله:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

قال: «يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ [الإمام المهدي] عليه السلام»^(٣).

د- عن ابن عباس في قول الله عز وجل:

(١) الطبرسي: مجمع البيان ٩ / ٤٦٤ (كما جاء في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي ص ٩٢٧).

(٢) الصدوق: كمال الدين ٢: ٦٧٠ باب ٥٨ / حديث ١٦.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٤٢٢ / ح ٩١ (كما جاء في كتاب الغيبة للشفتي ١: ١٠٠).

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ لِيُظْهِرَهُ وَلِتُؤَكِّرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾

قال: «لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا [دخل في] الإسلام - إلى أن قال - وذلك يكون عند قيام القائم عليه السلام»^(١).

هـ - عن أبي جعفر عليه السلام - في تفسير الآية -:

«إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد عليهم السلام [عليه السلام] فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد عليه السلام»^(٢).

و- عن سعيد بن جبيرة في تفسير قوله عز وجل:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ لِيُظْهِرَهُ وَلِتُؤَكِّرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: «هو المهدي من عترة فاطمة...»^(٣).

ز- عن أبي هريرة أنه قال:

«هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عاليًا على جميع الأديان... - ثم قال الراوي - وتعام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى. وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج»^(٤).

(٢) قوله تعالى في سورة النور / الآية ٥٥ :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

(١) الاسترآبادي: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦٨٩ / ح ٩ (كما جاء في كتاب الغيبة للشفتي ١: ١٠٢).

(٢) الطبرسي: مجمع البيان، تفسير الآية ٢٢ من سورة التوبة.

(٣) بيان الشافعي ص ٥٢٨ (كما جاء في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي ف ٢٨ ص ٩٢٨).

(٤) تفسير الرازي ٦: ٢٢، في تفسير الآية ٢٢ من سورة التوبة.

أ- عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام - في معنى الآية - قال: «نزلت في القائم وأصحابه»^(١).

ب- في مجمع البيان (تفسير الآية ٥٥ من سورة النور): «واختلف في الآية فقيل: إنها واردة في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وقيل: هي عامة في أمة محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد، والمروي عن أهل البيت عليهم السلام: أنها في المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله، وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لولا يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً) - إلى أن قال الطبرسي - وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة، وإجماعهم حجة لقول النبي صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وأيضاً فإن التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز وجل لا يخلف وعده».

(٣) قوله تعالى في سورة الأنفال / الآية ٣٩،

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وقوله تعالى في سورة البقرة / الآية ١٩٣،

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

وقوله تعالى في سورة التوبة / الآية ٣٦،

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ كَافَّةٌ كَافَّةً﴾.

أ- روى الكافي بإسناده الصحيح عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر

(١) النعماني: الفيبة ٢٤٧، ب ١٢، ح ٢٥، (ط ١٤٢٢، هـ، أنوار الهدى، قم - إيران)

[الإمام الباقر عليه السلام]: قول الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾؟

فقال: «لم يجئ تأويل هذه الآية بعد، إن رسول الله صلى الله عليه وآله رخص لهم لحاجته وحاجة أصحابه، فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم لكنهم يقتلون حتى يوحد الله عز وجل، وحتى لا يكون شرك»^(١).

ب- روى زرارة وغيره عن أبي عبد الله [الإمام الصادق عليه السلام] أنه قال: «لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٢)»^(٣).

ج- عن الفضل بن عمر قال: سألت سيدي أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث طويل جاء فيه - قلت: قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٤) ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدين؟ قال: «يا مفضل لو كان ظهر على الدين كله ما كان مجوسية ولا نصرانية ولا يهودية ولا صابئة، ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان... - إلى أن قال - وإنما قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ في هذا اليوم وهذا المهدي، وهذه الرجعة وهو قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾»^(٥).

(١) الكليني: الكافي ٨: ٢٠١ / ٢٥٣ (كما في كتاب الغيبة للشفتي ١: ٩٩).

(٢) النور: أية ٥٥.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٤: ٦٦؛ (تفسير الآية ٣٩ من سورة الأنفال).

(٤) الصف: أية ٩.

(٥) الحلي: مختصر البصائر، ص ١٧٨ (كما جاء في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي ف ٢٨ ص ٩٢٩

- ٩٣٠).

(٤) قوله تعالى في سورة القصص / الآية ٥، ٦،

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

وردت بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الاستشهاد بهذه الآية في موارد معينة، كما في مسألة الإمام المهدي عليه السلام ونحوها، والظاهر أنها من باب الاستيحاء والتطبيق، باعتبار أن الآية توحى بأن سيطرة المستكبرين لا بد من أن تعقبها سيطرة المستضعفين، مما يجعل من القضية سنة إلهية، ويوحى بأن النهاية في الدنيا سوف تكون للمستضعفين الذين يكونون ورثة الأرض وخلفاء الله^(١).

أ- وقد صحّت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها، عطف الضروس على ولدها - وتلا عقب ذلك - ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾». الشّمس بالکسر: امتناع ظهر الفرس من الركوب.

والضروس بفتح وضم: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها أي: إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها كما تعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب (نهج البلاغة شرح محمد عبده، ج ٤، ص ٤٧).

انظر:

- نهج البلاغة: الباب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام / الرقم ٢٠٩.
- شواهد التنزيل ١: ٤٣١، ٤٣٢ (كما جاء في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي ف ٢٨ ص ٩٢٥).

(١) محمد حسين فضل الله: تفسير من وحي القرآن ١٧: ٢٦٥ (سورة القصص: ٦٠٥).

- خصائص الأئمة ص ٧٠ (المعجم الموضوعي ص ٩٢٥).
- مجمع البيان ٧: ٤١٤ (تفسير الآية ٥ من سورة القصص).
- شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٩ (المعجم الموضوعي ٩٢٦).
- شرح ابن ميثم البحراني ٥: ٩٨٤ / باب المختار من حكم أمير المؤمنين / الرقم ١٩٤.
- تأويل الآيات ١: ٤١٣ (المعجم الموضوعي ٩٢٦).
- البرهان ٣: ٢١٨ (المعجم الموضوعي ٩٢٦).
- البحار ٢٤: ١٦٧، ١٧٠ (المعجم الموضوعي ٩٢٦).

ب- عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ...﴾ قال: «هم آل محمد عليهم السلام [عليهم السلام] يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم».

انظر:

- غيبة الطوسي ص ١١٣.
- منتخب الأنوار ١٧ (كما جاء في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي ف ٢٨ ص ٩٢٥).
- إثبات الهداة ٥: ١٢٢ / ٢٩٨.

ملاحظة:

للتوسع في معرفة الآيات القرآنية المفسرة - تأويلاً وتطبيقاً واستيحاءً - بالإمام المهدي اقرأ:

- كتاب الغيبة للسيد أسد الله الشفني: الجزء الأول.
- المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي للكوراني: الفصل ٣٨.
- معجم أحاديث الإمام المهدي تأليف مؤسسة المعارف الإسلامية - الجزء السابع.

السُّنَدُ الدِّينِيّ مِنْ السُّنَّةِ

توفّرت مصادر الحديث على عددٍ كبيرٍ من الأحاديث والرّوايات، يمكن اعتمادها أدلّةً للبرهنة على «بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره».

ويمكن أن نصنّف هذه الأحاديث إلى منظومتين،

■ المنظومة الأولى، الأحاديث العامّة.

■ المنظومة الثانية، الأحاديث الخاصّة التي أخبرت عن غيّبة الإمام المهديّ وامتداد عمره.

المنظومة الأولى الأحاديث العامة

وهي منظومة الأحاديث والروايات التي تُشكّل بمدلولها الالتزامي - لا بمدلولها المطابقي - أدلةً يمكن اعتمادها لإثبات المدعى في بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره.

وتتمثل هذه المنظومة في العناوين التالية :

- ١- حديث «الأئمة اثنا عشر آخرهم المهديّ».
- ٢- حديث «أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حِجَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى».
- ٣- حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه...».
- ٤- حديث الثقلين.

العنوان الأول

«الأئمة اثنا عشر آخرهم المهدي»

عالجنا هذا الحديث - سندًا ومنتًا - في أكثر من فصلٍ من فصول هذه الدراسة، إلا أن سياقات البحث - هنا - تفرض استحضاره من جديد، مجردًا عن قراءاته السندية إلا من بعض الاستشهادات.

ما نثبته هنا: مراجعة عاجلة لـ «صينغ الحديث» كما دَوَّنتها المصادر المعتمدة.

أولاً: الصينغ الإجمالية المبهمة:

• «اثنا عشر أميرًا كلهم من قريش».

دَوَّنت هذه الصيغة مجموعة مصادر منها:

- ١- صحيح البخاري ٩: ٧٢٩ / ٢٠٢٤.
- ٢- سنن الترمذي (كتاب الفتن ب ٤٦ / ح ٢٢٢٣).
- ٣- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٧، ٩٠.
- ٤- الملاحم لابن المنادي ص ١١٣.
- ٥- المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢٤١.
- ٦- السنن الواردة في الفتن ٥: باب ما جاء في من يلي أمر هذه الأمة / ح ١٠.

• «اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

دَوَّنت هذه الصيغة مجموعة مصادر منها:

- ١- صحيح مسلم (كتاب الإمارة / باب الناس تبع قريش والخلافة في قريش).
- ٢- سنن أبي داود (كتاب المهدي).
- ٣- مسند الطيالسي ٣: ١٠٥ / ح ٧٦٧.

٤- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٦، ٨٧، ٩٣، ١٠٦.

٥- الفتن لنعيم بن حماد ١: ٣٩ ب/٧ ح/٢.

٦- المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢١٤ ح/ ١٧٩٢، ١٧٩٣.

٧- ٢: ٢١٥ / ١٧٩٦، ١٧٩٨، ١٧٩٩.

٨- الملاحم لابن المنادي ص ١١٣.

٩- كنز العمال ١٢: ٢٣ / ٣٣٨٥٦.

• اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل.

دوّنت هذه الصيغة المصادر التالية:

١- المستدرک للحاکم النيسابوري ٤: ٥٠١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٩٨.

٣- كنز العمال ١٢: ٢٣ / ٣٣٨٥٧.

٤- منتخب كنز العمال ٥: ٣١٢.

٥- تاريخ الخلفاء ص ٧.

٦- مجمع الزوائد ٥: ١٩٠.

٧- الدر المنثور (في تفسير قوله تعالى: وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا).

٨- ينابيع المودة ص ٢٥٨.

٩- مسند أبي يعلى ٨: ٤٤٤ ح/ ٦٥ (٥٠٢١).

• اثنا عشر قبيما كلهم من قريش.

دوّن هذه الصيغة:

الطبراني في المعجم الأوسط ٢: ٤٢٧

قراءة هذه الصيغ الجملة :

تقدمت القراءة التفصيلية لهذه الصيغ، وخلصنا من خلال تلك القراءة إلى وجود قراءتين:

١ الأولى، القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين السنة،

وأشار البحث إلى مجموعة محاولات (أربع عشرة محاولة) عبّرت عن هذه القراءة، ولم تصمد جميع تلك المحاولات أمام النقد والحاسبة: مما أسقط القراءة الأولى.

٢ الثانية، القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين الشيعة الاثني عشرية،

وقد استطاعت هذه القراءة أن تجد تطبيقاً واضحاً للمدد (١٢) في منظومة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وإذا أفينا هذا الفهم، فسوف لن نجد تفسيراً مقبولاً لتلك الأحاديث الصحيحة المدونة في أهم مصادر الحديث المعتمدة عند المسلمين.

وفي ضوء هذه النتيجة يرتفع الإجمال والإبهام في تلك الصيغ، لتكون معهدة لأحاديث أخرى صريحة كل الصراحة في مدلولاتها وتطبيقاتها كما سنرى.

ثانياً، أحاديث فسرت الإجمال في الصيغ السابقة،

ونضع هذه الأحاديث ضمن أربع مجموعات:

المجموعة الأولى،

أحاديث نصت على عدد الأئمة من أهل البيت،

وجاء هذا النص من خلال عدّة صيغ:

- «الأئمة من بعدي اثنا عشر».
- «الأئمة من بعدي اثنا عشر من أهل بيتي».
- «اثنا عشر من عترتي أو من ذريتي».
- «سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي».
- «الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة».
- «من أهل بيتي اثنا عشر محدّثاً».
- «أهل بيتي عترتي من لحمي ودمي وهم الأئمة من بعدي عدد نقباء بني إسرائيل».
- «الأئمة من بعدي من عترتي [أو من أهل بيتي] بعدد نقباء بني إسرائيل».
- «كيف تهلك أمة أنا أولها واثنا عشر من بعدي أنمتها».
- «هذا الأمر يملكه بعدي اثنا عشر إماماً تسعة من صلب الحسين».
- «اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله علمي وفهمي».
- «الأئمة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل أعطاهم الله علمي وفهمي».
- «يكون بعدي أئمة قوامون بالقسط بعدد نقباء بني إسرائيل».

هذه الصيغ المتعددة مدونة في مجموعة من المصادر الحديثية نذكر

منها:

- ١- الكافي ٦: ٢ / ح ٢ (كما في إثبات الهداة ٢: ٩ / ١٥).
- ٢- كمال الدين للصدوق ١: ٢٨١ / ح ٢٢.
- ٣- عيون أخبار الرضا ١: ٦٤ / ح ٣٢.
- ٤- الاختصاص للمفيد ص ٢٠٨.
- ٥- غيبة النعماني ٦٦ (كما في إثبات الهداة ٢: ٢٠٠ / ٦٦٠).
- ٦- إثبات الرجعة للفضل بن شاذان (كما في إثبات الهداة ٢: ٢٣٣ / ٨١٠).
- ٧- بصائر الدرجات ٥٢ / ح ١، ٢٤٠ / ح ٤.

- ٨- كفاية الأثر ٢٩، ٣٤، ٦٩، ٧٦، ٨٩، ٩١، ١٠٤، ١١٤، ١٢٩، ١٥٤ (وفي مواضع أخرى كثيرة).
- ٩- البحار ٣٦: ٣٣٠ ب ٤١ / ح ٨٨.
- ١٠- إثبات الهداة ٢ / الباب التاسع.

قراءة سنديّة في بعض أحاديث المجموعة الأولى:

الحديث الأول، الكافي ١، ٢١٥ / ح ١،

• عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال:

«لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^(١) قال المسلمون: يا رسول الله ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله، من أهل بيتي... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد:

• ثقة الإسلام الكليني،

- «شيخ المحدثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».

• محمد بن يحيى العطار،

- «أحد أعلام الشيعة الثقات، شيخ الكليني - تقدّم في أسانيد كثيرة».

• أحمد بن محمد،

- [مرّدّد بين الأشعري والبرقي وكلاهما ثقة - تقدّم ذلك].

● الحسن بن محبوب :

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● عبد الله بن غالب الأسدي :

- «فقيه، من ثقات الرواة» موسوعة طبقات الفقهاء ٥٢٢ / ٢.

● جابر [بن يزيد الجعفي] :

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات» موسوعة طبقات الفقهاء ١ / ١١٠.

● ● عن أبي جعفر عليه السلام [الإمام الباقر].

الحديث الثاني، الكافي ١ / ٥٣٢، ح ١٠.

● ● عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْجَنِّ وَالإِنْسِ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِهِ اثْنَيْ عَشَرَ وَصِيًّا....»

رجال الإسناد،

● ثقة الإسلام الكليني :

- «تقدّم في الإسناد السابق».

● علي بن إبراهيم القمي :

- «من أعلام الفقهاء الثقات صاحب التفسير المعروف - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● محمد بن عيسى بن عبيد :

- «محدّث جليل وفقه كبير، من الثقات المعتمدين» موسوعة طبقات الفقهاء

○ محمد بن الفضيل الأزدي،

- «أحد الفقهاء الذين تؤخذ عنهم الفتاوى والأحكام. موسوعة طبقات الفقهاء
١١٥٩ / ٣.

○ أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية،

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتديهم في الرواية والحديث. موسوعة
طبقات الفقهاء ١ / ١٠٨.

○ عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام.

الحديث الثالث، كمال الدين ١، ٢٤١ ب ٢٢ / ح ٦٤،

○ عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين
عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال:

«سُئِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (إِنِّي
مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي) مَنْ الْعِترَةُ؟
فَقَالَ: أَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأئِمَّةُ التَّسْعَةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ تَأْسِعُهُمْ مَهْدِيَهُمْ
وَقَائِمُهُمْ لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْضَهُ».

رجال الإسناد،

● أبو جعفر محمد بن علي الصدوق،

- «رئيس المحدثين أتفتت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد
كثيرة».

● أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني،

- «قال الصدوق عنه: كان رجلاً ثقة دينا فاضلاً رحمة الله عليه ورضوانه...
وكان من مشايخه... الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٣٤٧.

● علي بن إبراهيم القمي،

- «تقدم في الإسناد السابق».

● إبراهيم بن هاشم القمي،

- «اعتمد على حديثه الأجلء وهو من شيوخ الإجازة، وصحح العلامة جملة من الطرق هو فيها» انتهى المقال ١ / ٩٢.

● محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم، وأورعهم وأعبدهم - تقدم في أسانيد كثيرة».

● غياث بن إبراهيم الأسدي التميمي،

- «كان محدثاً ثقة من أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام لزمه شديداً وأخذ عنه الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥٩٦.

●● عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام.

مصدر آخر للحديث،

مختصر إثبات الرجعة للفضل بن شاذان ص ٤٤٨ عدد ١٥ (كما جاء في معجم أحاديث المهديّ ٤: ٢١٩).

رجال الإسناد،

● الفضل بن شاذان،

- «من كبار فقهاء الإمامية وثقاتهم - تقدم في أسانيد كثيرة».

● بقیة السند كما جاء في کمال الدین.

المجموعة الثانية :

أحاديث صرحت بأسماء بعض الأئمة :

دون هذه الأحاديث عدد كبير من الأعلام منهم:

١- الفضل بن شاذان النيسابوري (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتابه (الغيبة = إثبات الرجعة) [بواسطة كفاية المهتدي وغيره].

٢- أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار (ت/ ٢٩٠ هـ) في كتابه (بصائر الدرجات) [في مواضع كثيرة].

٣- علي بن إبراهيم القمي (كان حياً سنة ٣٠٧ هـ) في تفسيره المشهور ١: ١٩٢.

٤- ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت/ ٣٢٩ هـ) في كتابه المعروف (الكافي) الجزء الأول: ٢٠٨ - ٢١٠ / الأحاديث ٢، ٥، ٦، ٧ (وفي مواضع أخرى).

٥- محمد بن إبراهيم النعماني (معاصر للشيخ الكليني) في كتابه (غيبة النعماني) ص ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٣ (وفي مواضع أخرى).

٦- أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في عدة من كتبه:

- كمال الدين: الباب ٢١، ٢٢، ٢٤ (أحاديث كثيرة).

- عيون أخبار الرضا: الجزء ١: ٦٠ / ٢٤، ٢٥.

- الخصال ص ٤٨٠ / ٥١.

- معاني الأخبار ٧٩ / ١، ٩٠ / ١.

٧- أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي (من تلامذة الصدوق) في كتابه (كفاية الأثر) / النصوص على عدد الأئمة.

٨- الشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ) في كتابيه (الأمالي) و(الإرشاد).

٩- الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس (ت/ ٤١٢ هـ) في كتابه (الأربعين)

مخطوط، توجد نسخة منه في المكتبة الرضوية تحت الرقم ٨٤٤٣.
١٠- أبو جعفر الطوسي شيخ الطائفة (ت/٤٦٠هـ) في كتابه (الغيبة) و(الأمالي).

قراءة سنديّة في بعض أحاديث المجموعة الثانية :

الحديث الأول، كتاب الغيبة للفضل بن شاذان (كما في كفاية الأثر ١٦٨).

● ● عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسن عليه السلام قال: سألت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة بعده فقال: «الأئمة بعدي بعد نبيّاء بني إسرائيل اثنا عشر، أعطاهم الله علمي وفهمي وأنت منهم يا حسن».

رجال الإسناد :

- الفضل بن شاذان النيشابوري،
- «من كبار فقهاء الإمامية، ثقة جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- محمد بن أبي عمير،
- «تقدّم في أسانيد الحديث الثالث/ المجموعة الأولى».
- حماد بن عثمان، [الفراري]،
- «أحد الفقهاء الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه، مجموعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٨٩».
- أبو شعبه الحلبي،
- «وثقه النجاشي في ترجمة حفيده عبيد الله بن علي، ووثقه العلامة في الخلاصة، رجال النجاشي ج ٢: ٢٧/ ٦١٠، الخلاصة ١٩١/ ٤٠».

● ● عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام.

الحديث الثاني، الكافي، ١ / ٢٠٩ / ح ٥٥

عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ عَدْنِ الَّتِي غَرَسَهَا رَبِّي
بِيَدِهِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَلِیْوَالِ وَلِيَّهُ وَيُعَادِ عَدُوَّهُ، وَيُسَلِّمْ لِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ
بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ عِزَّتِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، أَنْعَاهُمْ اللَّهُ فَهَمِي وَعِلْمِي...».

رجال الإسناد،

- ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني،
- «شيخ المحدثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- عدّة من أصحابنا،
- «العدّة في إسناد الكليني تعني مجموعة من الأجلّاء الثقات - وقد تقدّم توضيح ذلك».
- أحمد بن محمد بن عيسى،
- «ثقة، شيخ القميين ووجههم وفقههم غير مدافع - تقدّم في عدّة أسانيد».
- الحسين بن سعيد الأهوازي،
- «الفقيه المحدث صاحب التصانيف الكثيرة، وأحد العلماء المبرزين، والثقات الصالحين، موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٨٩١».
- فضالة بن أيوب الأزدي،
- «محدث جليل، ثقة في الحديث، أحد الفقهاء المعتمدين، موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥٩٨».

○ أبو الممزا [حميد بن المثنى] ،

- «من أجلة الفقهاء، وقال عنه النجاشي: ثقة ثقة رجال النجاشي ج ١: ٢٢٢ / ٢٢٨، موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٣٩٢.

○ محمد بن مسلم الثقفي ،

- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام - تقدم في أسانيد كثيرة».

○ أبان بن تغلب ،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات وكان محدثاً، قارئاً، لغوياً، له عند الأئمة عليهم السلام منزلة كبيرة - تقدم في أسانيد كثيرة».

●● قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام ...

الحديث الثالث، كمال الدين ١، ٢٦٢ ب ٢٤ / ١٠

●● عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل جاء فيه:

«والأوصياء بعدي أخي علي ثم حسن ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين... إلى أن قال: ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

رجال الإسناد ،

● أبو جعفر محمد بن علي الصدوق ،

- «رئيس المحدثين، اتفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدم في أسانيد كثيرة».

● محمد بن الحسن الصفار ،

- «أحد وجوه المحدثين والفقهاء، ثقة، عظيم القدر، كثير التصانيف» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ١١٠٨.

● يعقوب بن يزيد [بن حماد]،

- «ثقة صدوق» منتهى المقال ٧ / ٣٢٨٢.

● حماد بن عيسى الجهني،

- «من الفقهاء المحدثين وهو من السنة الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصح عنهم والإقرار لهم بالفقهاء» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٩٠٥.

● عمر بن أذينة،

- «أحد وجوه الشيعة بالبصرة وشيوخهم، محدث ثقة» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥٧٨.

● (١) أبان بن أبي عيَّاش،

- «أكثر الكلمات تتجه إلى تضعيفه وإن قال عنه ابن حبان في المجروحين (١/ ٩٦): وكان من العباد الذي يسهر الليل بالقيام ويطوي النهار بالصيام».

ملاحظة،

الخدشة في أبان لا تضر بصحة هذا الحديث، فهو لم ينفرد به، فقد شاركه في الرواية إبراهيم بن عمر اليماني.

● (٢) إبراهيم بن عمر اليماني:

- «وثقه النجاشي في رجاله، ورجح العلامة في الخلاصة قبول روايته، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن حبان في (الثقات): كان من العباد الخشن، وقال في التقریب: صدوق».

انظر:

- منتهى المقال ١ / ٦١، تهذيب التهذيب ١ / ٢٢٥، التقريب ٢٢٠.

جميعاً عن:

• سليم بن قيس الهلالي:

- «ثقة في نفسه، جليل القدر، عظيم الشأن، وحكم العلامة بعدالته».

انظر:

- الخلاصة ٨٢ / ١، معجم رجال الحديث ٨ / ٥٣٩١.

• سلمان الفارسي:

- «من أجلاء الصحابة».

•• عن النبي صلى الله عليه وآله ...

المجموعة الثالثة:

أحاديث صرحت بأسماء الأئمة الاثني عشر:

دون هذه الأحاديث عدد كبير من الأعلام منهم:

١- الفضل بن شاذان النيشابوري (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتاب (الغيبة = إثبات الرجعة) [كما عن كفاية المهتدي «الأربعين» ٨ / ١٥، ١٠ / ١ / ٥٥، ٤ / ٦٩ / ١٠].

٢- أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي (ت/ ٢٧٤ هـ) في كتابه (المحاسن) ص ٣٢٢.

٣- علي بن إبراهيم القمي (كان حياً سنة ٣٠٧ هـ) في تفسيره المشهور ٢: ٤٤ / سورة الكهف.

٤- ثقة الإسلام الكليني (ت/ ٢٢٩هـ) في كتابه (الكافي) ١: ٨، ١: ٥٢٦، ٥٢٩.

٥- محمد بن إبراهيم النعماني (معاصر للكليني) في كتابه (غيبة النعماني) ٥٨ ب/٤ ح/٢.

٦- أبو جعفر الصدوق (ت/ ٢٨١هـ) في عدة من كتبه:

- من لا يحضره الفقيه ١: ٢٢٩ / ١، ٤: ١٧٧، ١٧٦.

- عيون الأخبار ٢: ١٢٩ / ١.

- الخصال ٤٧٩ / ٤٦.

- كمال الدين ١: ٢٥٢ ب/٢٢ / ٢.

١: ٢٥٨ ب/٢٤ / ٣.

٧- علي بن محمد الخزاز (من تلامذة الصدوق) في كتابه (كفاية الأثر) ٤٢، ١٥٦، ١٦٥، ١٧٧.

٨- أبو الصلاح الحلبي (ت/ ٤٤٧هـ) في كتابه (تقريب المعارف).

٩- أبو جعفر الطوسي (ت/ ٤٦٠هـ) في كتاب (الغيبة) ١٣٦ / ١٠٠، ١١١ / ١٥٠.

١٩- علي بن الحسين المسعودي (ت/ ٣٤٦هـ) في كتابه (إثبات الوصية) ص ١٢١.

قراءة سنديّة في بعض أحاديث المجموعة الثالثة :

الحديث الأول، الكافي ١، ٥٢٦ / ح ١،

●● عن أبي جعفر الثاني [الإمام الجواد] عليه السلام قال:

«أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه ابنه الحسن بن علي وهو متكئ على يد سلمان

- الحديث طويل وفيه ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام -».

رجال الإسناد،

• ثقة الإسلام الكليني،

- «شيخ المحدثين المشهور - تقدّم في أسانيد كثيرة..»

• عدّة من أصحابنا،

- «العدّة في إسناد الكليني تعني مجموعة من الأجلّاء الثقات - وقد تقدّم توضيح ذلك.»

• أحمد بن محمد البرقي،

- «أحد كبار الفقهاء والمحدثين، واسع الرواية، ثقة في الحديث، عارف بالسير والأخبار، وله باع في علم الرجال، موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٧٨٨.»

• أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري،

- «عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، شريف القدر، ثقة، أدرك الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه، وعن الأئمة: محمد الجواد، وعليّ الهادي، والحسن العسكري عليهم السلام، وقيل إنّه رأى الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه.»
موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٩١٠.

•• عن أبي جعفر الثاني [الإمام الجواد] عليه السلام.

إسناد آخر للكليني، وروى الكليني الحديث بسند آخر.

قال الكليني:

• وحدثني محمد بن يحيى [العطار]،

- «أحد أعلام الفقهاء، وشيخ الشيعة في وقته، ثقة، عين، كثير الحديث»
موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ١١٧١.

- عن محمد بن الحسن الصفار،
- «أحد وجوه المحدثين والفقهاء، ثقة، عظيم القدر - تقدم».
- عن أحمد بن أبي عبد الله [البرقي]،
- «تقدم في الإسناد السابق».
- عن أبي هاشم الجعفري،
- «تقدم في الإسناد السابق».

إسناد ثالث للصدوق، رواه الصدوق في عيون الأخبار.

- الصدوق،
- «اتفقت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره، وعظم منزلته - تقدم».
- عن أبيه علي بن الحسين بن بابويه،
- «أحد أعاضم الطائفة الإمامية وكبار محدثيها، شيخ القميين في عصره ومتقدمهم وفقههم وثقتهم، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤٨٨/٤».
- ومحمد بن الحسن بن الوليد القمي،
- «من أعاضم شيوخ الصدوق روى عنه في كتبه، وكان يعتمد عليه ويتبعه فيما يذهب إليه، موسوعة طبقات الفقهاء ١٥٧٧/٤».

جميعاً عن،

- (١) سعد بن عبد الله القمي،
- «من فقهاء الطائفة وأحد شيوخها ووجهائها الأجلاء، محدث، ثقة، واسع الأخبار، غزير العلم، كثير التصانيف، موسوعة طبقات الفقهاء ٩٢٤/٣».
- (٢) وعبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

• (٣) ومحمد بن يحيى العطار،

- «تقدّم في الإسناد السابق».

• (٤) وأحمد بن إدريس الأشمري القمي،

- «من كبار فقهاء الشيعة، وثقات محدّثيهم وأحد مشايخ الكليني، موسوعة طبقات الفقهاء ٤/١٢٥١».

جميعاً عن:

• أحمد بن أبي عبد الله البرقي،

- «تقدّم».

• [عن أبي هاشم الجعفري، «تقدّم»].

•• عن أبي جعفر الثاني عليه السلام.

إسناد رابع للصدوق،

رواه في العلل،

• عن أبيه [علي بن الحسين بن بابويه]،

- «تقدّم».

• عن سعد بن عبد الله،

- «تقدّم».

• عن أحمد بن محمد [بن عيسى]،

- «من الثقات - تقدّم».

○ عن ابن خالد البرقي،

- «تقدّم».

○ عن أبي هاشم،

- «تقدّم».

إسنادٌ خامسٌ للنعمانى،

روى الحديث في كتاب (الغيبة) بإسناده إلى أحمد بن محمد البرقي، إلا أنه إسناد فيه مجاهيل، ويمكن أن ينجبر هذا الإسناد بالأسانيد الأخرى الصحيحة.

الحديث الثاني، الكافي ٣، ٣٢٥ ب ٢٥ / ح ١٧،

●● عن عبد الله بن جندب قال: سألت أبا الحسن الماضي [الإمام موسى بن جعفر] عليه السلام عما أقول في سجدة الشكر فقد اختلف أصحابنا فيه؟ فقال:
«قل وأنت ساجد: اللهم إنِّي أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك (أنت خ ل) الله ربِّي والإسلام ديني ومحمدٌ نبيُّي وعلياً وفلاناً وفلاناً إلى آخرهم أنمّتي، بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرأ... الحديث».

رجال الإسناد،

○ ثقة الإسلام الكليني،

- «شيخ المحدثين المشهور».

● علي بن إبراهيم [القمي]،

- «من أعلام الفقهاء الثقات صاحب التفسير المعروف - تقدّم في أسانيد

كثيرة..

○ إبراهيم بن هاشم القمي [والد علي بن إبراهيم] ،

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».

○ عبد الله بن جندب [البجلي] ،

- «محدث ثقة، عابد رباني، رفيع المنزلة عند الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام».

موسوعة طبقات الفقهاء ٥١٣/٢.

●● عن موسى بن جعفر عليهما السلام ...

إِسْنَادُ آخِرٍ لِلصَّدُوقِ:

ورواه الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ج ١ ص ٢٢٩ باب سجدة

الشكر، الحديث رقم ١ بإسناده إلى عبد الله بن جندب...

●● روى عبد الله بن جندب عن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال:

«تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك

ورسلك وجميع خلقك أنك (أنت خ ل) الله ربّي، والإسلام ديني، ومحمداً

نبيي، وعلياً والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر

بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن

محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن بن علي أئمتي، بهم أتولّى، ومن

أعدائهم أتبرأ... الحديث».

في طريق الفقيه إليه (٥٤) محمد بن علي بن ماجيلويه، وقد صحح الطريق

[العلامة] في الخلاصة، وحكم [الخوئي] بضعفه في معجم الرجال (١٥١ / ١٠).

انظر:

- الموسوعة الرجالية الميسرة: الجزء الثاني ص ٥١٠، الخاتمة/ الرقم ٢١٥.
وقد تابع عددٌ من المشايخ العلامة في عدِّ رواية محمد بن علي بن ماجيلويه
صحيحة، ولا يبعد كونه من مشايخ الصدوق، لكثرة روايته عنه مترضياً
مترحماً، وفي الوسيط صرح بوثاقته.

انظر:

- تعليقة الوحيد البهبهاني: ٣٠٩.
وذكره الجزائري في خاتمة قسم الثقات، حيث استفاد عدالته من مجموعة
قرائن.

انظر:

- حاوي الأقوال ١٧٢ / ٧١٤.

الطوسي في التهذيب،

ورواه شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (تهذيب
الأحكام ٢: ٣٠٠ / ١٩٥٢ كتاب الصلاة) بإسناده إلى محمد بن يعقوب الكليني
وطريق التهذيب إلى الشيخ الكليني صحيح.

انظر:

- الموسوعة الرجالية الميسرة، الجزء الثاني، الخاتمة/ الرقم ٣٤٦.

الحديث الثالث، كتاب الفضل بن شاذان [كما في كفاية المهدي، الأربعمين،
ص ٦٩ / ح ١٠]،

● ● محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام:
«يا علي أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أنت يا علي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم - واستمر الحديث في ذكر الأئمة واحداً بعد الآخر حتى الحجّة بن
الحسن - الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، ويغيب مدّة طويلة ثم يظهر
ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.»

رجال الإسناد:

- الفضل بن شاذان،
- «من كبار فقهاء الإمامية ثقة، جليل القدر - تقدّم.»
- فضالة بن أيوب [الأزدي]،
- «محدث جليل ثقة في الحديث، فقيه... موسوعة طبقات الفقهاء ٥٩٨/٢.»
- أبان بن عثمان البجلي،
- «محدث، حافظ، فقيه، أحد الذين أجمعت الشيعة على تصحيح ما يصحّ
عنهم والإقرار لهم بالفقه» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٢٨٢.
- محمد بن مسلم،
- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات المأخوذ عنهم الحلال والحرام - تقدّم.»
- ● قال: قال أبو جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام...

الصَّدُوقُ فِي الْفَقِيهِ :

- قال أبو جعفر الصَّدُوقُ فِي كِتَابِهِ (من لا يحضره الفقيه ٤ / ١٧٧) :

«وقد وردت الأخبار الصحيحة بالأسانيد القويّة أنّ رسول الله ﷺ أوصى بأمر الله تعالى ذكره إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأوصى عليّ بن أبي طالب إلى الحسن، وأوصى الحسن إلى الحسين، وأوصى الحسين إلى عليّ بن الحسين، وأوصى عليّ بن الحسين إلى محمد بن عليّ الباقر، وأوصى محمد بن عليّ إلى جعفر بن محمد الصادق، وأوصى جعفر بن محمد إلى موسى بن جعفر الكاظم، وأوصى موسى بن جعفر إلى ابنه عليّ بن موسى الرضا، وأوصى عليّ بن موسى الرضا إلى ابنه محمد بن عليّ [الجواد]، وأوصى محمد بن عليّ إلى ابنه عليّ بن محمد [الهادي]، وأوصى عليّ بن محمد إلى ابنه الحسن بن عليّ [العسكري]، وأوصى الحسن بن عليّ إلى ابنه حجّة الله القائم بالحقّ، الذي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً...»

وقال الصَّدُوقُ: وقد أخرجت الأخبار المسندة الصحيحة في هذا المعنى في كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) في إثبات الغيبة وكشف الحيرة..

المجموعة الرابعة :

الإمام المهديّ خاتمة الأنبياء الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام :

صرّحت بذلك أحاديث كثيرة مستفيضة صحيحة دونها الأعلام الكبار في مصنفاتهم، نذكر منهم:

١- الفضل بن شاذان (ت/ ٢٦٠ هـ) في كتابه (الغيبة = إثبات الرجعة) ذكر

ذلك (كفاية المهدي ٨٢ / ١٦).

٢- عليّ بن إبراهيم القمي (كان حياً سنة ٢٠٧ هـ) في تفسيره المعروف (٢):

٤٤ / سورة الكهف).

٣- الكليني (ت/ ٣٢٩ هـ) في (الكافي ١: ٥٢٣ ب / ١٨٤ ح / ١٥).

٤- النعماني (معاصر للكليني) في كتاب (الغيبة ص ٩٤ ب / ٤ ح / ٢٥).

٥- الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ) في كتاب (من لا يحضره الفقيه ٤: ١٧٩) وفي

(كمال الدين ٢: ٣٥٠ ب / ٢٣ ح / ٤٥) وفي (الأمالي مجلس ٩١ / ح / ١٠).

وفي (عيون الأخبار ١: ٦٠ / ٢٤) وفي (الاعتقادات ص ١٠٤، ١٢٢) وفي

(الخصال ٢: ٨٠ / ٥٠).

٦- محمد بن علي الخزاز (من تلامذة الصدوق) في كتابه (كفاية الأثر ص

٢٣ ب / ٢ ح / ١، ص ٨، ب / ٣ ح / ١، ص ٣٠ ب / ٢ ح / ٣، ص ٣١ ب / ٣ ح / ٥) وفي مواقع

كثيرة).

٧- أبو جعفر الطبري (من أعلام القرن الرابع) في (دلائل الإمامة ص ٦٩،

٢٤٠).

٨- ابن عياش الجوهري (ت/ ٤٠١ هـ) في كتابه (مقتضب الأثر ٨، ٩ ح / ٧،

٨).

٩- محمد بن أحمد بن أبي الفوارس (ت/ ٤١٢ هـ) في كتابه (الأربعين،

الحديث ٤).

١٠- المفيد (ت/ ٤١٣) في (الإرشاد ٢: ٢٤٨ ب / ٥٩ ح / ٦).

١١- أبو الصلاح الحلبي (ت/ ٤٤٧ هـ) في كتابه (تقريب المعارف ١٧٧، ١٧٨،

١٨٣ ق / ٣).

١٢- الكراچكي (ت/ ٤٤٩) في كتابه (الاستصار في النص على الأئمة

الأطهار ٣١، ١٧٠).

١٣- الطوسي (ت/ ٤٦٠) في كتاب (الغيبة ١٤٠ / ١٤٢، ١٠٤ / ١٠٧، ١٥٤).

١٤- ابن شاذان (من أعلام القرن الخامس) في كتابه (مائة منقبة / ١٢٤،

منقبة ٥٨).

- ١٥- الفتال النيسابوري (ت/ ٥٠٨) في كتابه (روضة الواعظين ١: ١٠٠).
- ١٦- أبو علي الطبرسي (ت/ ٥٤٨) في كتاب (إعلام الوري ص ٤ ق ١ ف ٢).
- ١٧- الخوارزمي (ت/ ٥٦٨) في كتابه (مقتل الحسين ١: ١٤٦ ف ٧).
- ١٨- الراوندي (ت/ ٥٧٣) في (قصص الأنبياء ٢٦٠ / ٤٣٥).
- ١٩- ابن شهر آشوب (ت/ ٥٨٣) في (المناقب ١: ٢٨٢).
- ٢٠- أبو منصور الطبرسي (ت/ ٥٨٨) في (الاحتجاج ٦٨، ٦٩).
- ٢١- أبو الفتح الأربلي (فرغ من تأليف كتابه سنة ٦٨٧ هـ) في كتابه (كشف الغمة ٢: ٤٤٨).
- ٢٢- شيخ الإسلام سعد الدين الحموي الجويني (ت/ ٧٣٢) في كتابه فرائد السمطين ٢: ٢١٢، ٢١٣، السمط الثاني، ب ٦١ / ح ٥٦٢، ٥٦٤).

قراءة سنديّة في بعض أحاديث المجموعة الرابعة،

الحديث الأول، الكافي ١، ٥٣٣ ب ١٨٤ / ح ١٥،

- عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال:
«يكونُ تسعةُ أئمةٍ بعدَ الحسينِ بنِ عليٍّ تأسعُهُم قائمُهُم».

رجال الإسناد،

- ثقة الإسلام الكليني،
- «شيخ المحدثين المشهور - تقدّم».
- علي بن إبراهيم،
- «من أعلام الفقهاء الثقات - تقدّم».
- إبراهيم بن هاشم،
- «معتمد عند الأجلّاء ومن شيوخ الإجازة - تقدّم».

○ محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس وأعبدهم وأورعهم - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ سعيد بن شروان،

- «من الثقات» رجال النجاشي ج ١: ٤١٠ / ٤٧٧.

○ أبو بصير،

- [مردّد بين يحيى بن القاسم وليث البختری وكلاهما ثقة] معجم رجال

الحديث ٤٧ / ٢١.

● عن أبي جعفر عليه السلام...

- «رواه النعماني في (الغيبة ٢٥ / ٩٤) عن محمد بن يعقوب الكليني...

الحديث الثاني، كمال الدين ١، ٢٨٢، ب ٢٤ / ٣٥،

● عن علي بن الحسين [زين العابدين] عن أبيه عن علي عليه السلام قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله

على يديه مشارق الأرض ومغاربها».

رجال الإسناد،

● أبو جعفر الصدوق،

- «أتممت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدّم في أسانيد كثيرة».

● أحمد بن محمد بن يحيى العطار،

- «من مشايخ الصدوق ذكره مترضياً عليه، من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب

بصحة حديثه...» منتهى المقال ١ / ٢٥١.

• محمد بن يحيى العطار،

- «أحد أعلام الشيعة الثقات - تقدّم».

• محمد بن عبد الجبار [أبي الصهبان]،

- «ثقة صاحب ثلاثة من أئمة أهل البيت: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام».

الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / ٤٧٠٠.

• أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي [محمد بن أبي عمير]،

- «تقدّم في الإسناد السابق».

• أبان بن عثمان،

- «محدث حافظ فقيه، أجمعوا على تصحيح ما يصح عنه - تقدّم».

• ثابت بن دينار الثمالي [أبو حمزة الثمالي]،

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدّم».

الحديث الثالث، كمال الدين ١، ٢٤١ ب / ٢٢ ح / ٦٤،

- حديث صحيح الإسناد.

انظر،

- المجموعة الأولى / الحديث الثالث.

- ورواه الفضل بن شاذان في (إثبات الرجعة) تقدّم في نفس المجموعة.

٢٠٦.....الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

٧٠.....الإمام المنتظر ﷺ قراءة في الإشكاليات

الحديث الرابع، الكافي ١، ٥٢٦ / ح ١،

- حديث صحيح الإسناد.

انظروا

- المجموعة الثالثة/ الحديث الأول.
- وروى الحديث بعدة أسانيد أخرى صحيحة.

الحديث الخامس، الكافي ٣، ٣٢٥ ب ١٩١ / ح ١٧،

- حديث صحيح الإسناد.

انظروا

- المجموعة الثالثة/ الحديث الثاني.
- وروى بأسانيد أخرى صحيحة.

الحديث السادس، كتاب الفضل بن شاذان [كما في كفاية المهدي ص ٦٩،

الحديث ١٠].

- حديث صحيح الإسناد.

انظروا

- المجموعة الثالثة/ الحديث الثالث.

خلاصة العنوان الأول - المنظومة الأولى

في دراستنا لهذا العنوان (الأئمة اثنا عشر آخرهم المهدي) نخلص إلى النتائج

التالية:

النتيجة الأول،

توفّرنا على مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة أكدت على كون الأئمة بعد النبي ﷺ (اثني عشر إماماً).

وجميع الصياغات الأخرى «الخلفاء، الأمراء، النقباء، الأوصياء... إلخ» كلها تصبّ في معطى واحد وهو «الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت» وأي معطى آخر لا يملك القدرة على تقديم تفسير مقبول لتلك الأحاديث.

النتيجة الثانية،

توفّرنا على مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة أكدت أنّ (الإمام المهدي) هو خاتمة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ... وهذا يعني أنه قد وُلد بالفعل، ما دام الواقع التاريخي قد أثبت وجود الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت وهو «الحسن العسكري» ومن الطبيعي أن يكون خلفه المهدي قد وُلد، والأدلة على ذلك متوفرة، تناولها البحث بالتفصيل عند معالجة «الإشكالية الثانية = إشكالية الولادة».

النتيجة الثالثة ،

توفّرنا على مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة أكدت أنّ (الإمام المهدي) هو المؤهل لإصلاح العالم في آخر الزمان، وحسب تعبير الأخبار المتواترة عند المسلمين أنّه «يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

النتيجة الرابعة ،

إذا سلّمنا بصحة النتائج الثلاث المتقدمة فلا مناص من الإذعان والتسليم بصحة النتيجة الرابعة والتي تؤكد بقاء الإمام المهدي وامتداد عمره الشريف إلى حين الظهور.

وهكذا يمكن اعتماد «أحاديث المجموعات المتقدمة» والتي تُشكّل (العنوان الأول) دليلاً عاماً في سياق «أدلة السنة» لإثبات بقاء الإمام المهدي وامتداد عمره، ونترك الحديث عن الأدلة الخاصة إلى مباحث قادمة إن شاء الله.

العنوان الثاني «الأرض لا تخلو من حجة لله»

هذا العنوان تقدّم في مبحث سابق حينما عالجتنا «إشكالية الولادة»، ويفرض البحث اعتماده مرّة أخرى في معالجة «إشكالية العمر الطويل»، ونظرًا لتوفّر البحث المتقدّم على دراسة الأحاديث سنّداً ومنتاً، فلسنا في حاجة إلى إعادة ذلك.

ويمكن التذكير بأهمّ المصادر التي دوّنت أحاديث هذا العنوان:

١- أصول الكافي ١: ١٠١، كتاب الحجّة / باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة:

في هذا الباب روى الكليني (ثلاثة عشر حديثاً) وتضمّ عدداً من الأحاديث الصحيحة، وأمّا المخدوشة سنّداً فهي مجبورة؛ كونها مطابقة منتاً للأحاديث الصحيحة، وقد أكدّ أئمّة الجرح والتعديل أنّ الأحاديث الموهونة سنّداً تعتمد إذا طابقت متونها متون الأحاديث الصحيحة.

وفي باب لاحق تحت عنوان (لولا لم يبق في الأرض إلا رجلا لكان أحدهما الحجّة) روى الكليني «خمسة أحاديث» وهي تحمل نفس المضمون.

٢- كمال الدين: الجزء الأول / الباب الثاني والعشرون (أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله):

في هذا الباب روى أبو جعفر الصّدوق (خمسة وستين حديثاً) تحمل هذا المضمون (أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله)، وتضمّ عدداً معتداً به من الأحاديث الصحيحة، وما تبقى فهو مطابق في المتن أو قريب التطابق مع ما صحّح من متون.

٣- أخرج مجموعة من المصادر كلاماً لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله حجّة».

هذا الكلام مدون في (نهج البلاغة) حسب ما جمعه الشريف الرضي (ت/ ٤٠٤ هـ).

وهناك مصادر أخرى دوت كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعضها سبقت الشريف الرضي بكثير.

من هذه المصادر [سبق ذكرها في فصل سابق] :

- ١- المعيار والموازنة ص ٨١ للإسكافي المعتزلي (ت/ ٢٤٠ هـ).
- ٢- عيون الأخبار ص ٧ لابن قتيبة (ت/ ٢٧٦ هـ).
- ٣- تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٠٠ لليعقوبي (ت/ ٢٨٤ هـ).
- ٤- العقد الفريد ١: ٢٦٥ لابن عبد ربه (ت/ ٣٢٨ هـ).
- ٥- تهذيب اللغة للأزهري (ت/ ٣٧٠ هـ).
- ٦- قوت القلوب ١: ٢٢٧ لأبي طالب المكي (ت/ ٣٨٦ هـ).
- ٧- المحاسن والمساوي ص ٤٠ للبيهقي (ت/ ٤٥٨ هـ).
- ٨- تاريخ بغداد ٦: ٤٧٩ للخطيب البغدادي (ت/ ٤٦٣ هـ).
- ٩- المناقب ١٣ للخوارزمي الحنفي (ت/ ٥٦٨ هـ).
- ١٠- مفاتيح الغيب ٢: ١٩٢ للرازي الشافعي (ت/ ٦٠٦ هـ).
- ١١- شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٥١ لابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٥ هـ).
- ١٢- المختصر ص ١٢ لابن عبد البر (ت/ ٧٣٧ هـ).
- ١٣- شرح المقاصد ٥: ٢٤١ للتفتازاني (ت/ ٧٩٣ هـ).
- ١٤- فتح الباري ٦: ٣٨٥ لابن حجر العسقلاني (ت/ ٨٥٢ هـ).
- ١٥- شرح نهج البلاغة ٤: ٦٩١ لمحمد عبده (ت/ ١٣٢٣ هـ).

ملاحظة :

اعتمدنا في ذكر هذه المصادر على الأستاذ ثامر هاشم العميدي في كتابه (دفاع عن الكافي ١: ٤٧٩ - ٤٨٠).

الصيغة الاستدلالية،

أكد العنوان الثاني في مجموعة أحاديثه أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى في كلّ الأعصر والأزمان وأنّ افتراض خلوّ الأرض في عصرٍ من العصور من وجود حجة لله تعالى يعني افتراض الكذب في حقّ المعصوم الذي صدر عنه هذا الحديث.

فمتى ما سلّمنا بصحة الحديث وصدق المعصوم فلا يمكن أن نفترض زماناً ما تخلو الأرض فيه من حجة لله تعالى وهو الإمام، لأنّه لا تقوم الحجة لله إلا به.

ويعني هذا - بالأدلة الالتزامية - بقاء الإمام حياً ما دامت الأرض باقية، وما دام الإنسان موجوداً على الأرض.

قد يُقال، لماذا لا تقوم الحجة لله بالعلماء الصالحاء والذين لا تخلو الأرض منهم في كلّ زمان؟

نقول، لا تقوم الحجة لله على العباد إلا بإنسانٍ معصوم، ليمثّل قوله وفعله وتقريره مصدرًا من خلاله تتحدّد معالم الدين كما جاءت من عند الله تعالى، وأمّا العلماء والفقهاء وإن كانوا في قمة التقوى والصلاح فهم في معرض الخطأ والاشتباه، وفي معرض الاختلاف والتباين، بل وفي معرض المعصية والانحراف... فلا يصح أن يكون هؤلاء هم الحجة التي تحدّث عنها هذا الحديث.

العنوان الثالث

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

دوّنت هذا العنوان مصادر الحديث السنّية والشيعة، وقد تقدّم في فصل سابق كلام مفصّل ومعالجات مستوعبة.

وللتذكير نضع بين يدي القارئ هذه المصادر،
أولاً: مصادر سنّية:

- ١- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٨٢، ٢: ٤٤٦.
- ٢- مسند أبي داوود الطيالسي ص ٢٥٩.
- ٣- المعجم الكبير للطبراني ١٠: ١٠ / ٢٥٠ / ١٠٦٨٧.
- ٤- المستدرک للحاکم النيسابوري ١: ٧٧.
- ٥- حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ٢٢٤.
- ٦- سنن البيهقي ٨: ١٥٦، ١٥٧.
- ٧- الكنى والأسماء ٢: ٣.
- ٨- جامع الأصول ٤: ٧٠.
- ٩- شرح صحيح مسلم للنووي ١٢: ٤٤٠.
- ١٠- مجمع الزوائد للهيثمى ٥: ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣.

للتوسع في معرفة المصادر انظر:

- ما تقدّم في الإشكالية الثانية/ السند الديني.
- العميدي: دفاع عن الكافي ١: ٤٨٩، ٤٩٠.
- المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي (الهامش) ٧٨.

ثانياً ، مصادر شيعية ،

- ١- قرب الإسناد ٢٥١ / ١٢٦٠ لعبد الله بن جعفر الحميري (ت / ٢١٠ هـ).
- ٢- بصائر الدرجات ٢٥٩، ٥٠٩، ٥١٠ لمحمد بن الحسن الصفار (ت / ٢٩٠ هـ).
- ٣- أصول الكافي للكليني (ت / ٢٢٩ هـ).
- أ- الجزء الأول: كتاب الحجّة / باب أنه من عرف إمام زمانه لم يضره
تقدم هذا الأمر أو تأخر.
- في هذا الباب أخرج الكليني (سبعة أحاديث).
- ب- الجزء الأول، كتاب الحجّة / باب من مات وليس له إمام من أئمة
الهدى.
- في هذا الباب أخرج الكليني (أربعة أحاديث).
- ج- الجزء الأول، كتاب الحجّة / باب معرفة الإمام والرد عليه.
- في هذا الباب أخرج الكليني (أربعة عشر حديثاً).
- ٤- الإمامة والتبصرة لعلّي بن الحسين بن بابويه القمي والد الصدوق (ت /
٢٢٩ هـ) ص ٢١٩ / ٦٩ باب ١٨.
- ٥- رجال الكشي (معاصر للكليني) في ترجمة سالم بن أبي حفصه ٢٢٥ /
٤٢٨.
- ٦- كمال الدين لأبي جعفر الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) ٢ : ٤١٢، ٤١٣ ب ٢٩ /
حديث ١٠، ١١، ١٢، ١٥.

للتوسع انظروا

- ما تقدم في الإشكالية الثانية/ السند الديني.
- العميدي: دفاع عن الكافي ١: ٤٩١.

الصيغة الاستدلالية

ويتشكل الاستدلال - هنا - على النحو التالي:

أولاً

الحديث - في صيغته المتعددة - يفترض وجود إمام في كل عصر، وألا لما كان معنى لهذا التكليف الصارم، والمتحرك في كل الأزمنة، والذي يؤكد وجوب معرفة الإمام على كل إنسان ينتمي لهذا الدين، وفيما تقدم من بحوث شرحنا مفردات هذا الحديث وما تحمله من دلالات خطيرة.

ثانياً

وقد ثبت - من خلال الأدلة المتوفرة - أن آخر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هو الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام الثاني عشر في منظومة الأئمة الأطهار، وقد تكفل البحث في فصل متقدم البرهنة على ولادة هذا الإمام، ولم يدع أحد القول بوفاته، فالإتجاه الراض لل رأي الشيعي في مسألة المهدي المنتظر لا يعتمد هذه الدعوى لوضوح بطلانها وإن ردها البعض، وإنما يعتمد التشكيك في أصل الولادة، وقد أثبتنا بطلان هذا الوهم.

ثالثاً

فيتعين أن يكون الإمام محمد بن الحسن العسكري هو إمام العصر في المرحلة التاريخية التي أعقبت وفاة والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهي مرحلة ممتدة متصلة بـ «يوم الظهور» حينما يأذن الله تعالى للإمام المهدي عليه السلام أن يمارس

مسؤوليته الكبرى في تطهير الأرض من كل ظلم وجور، وانحراف وفساد، وشرك
وضلال...

رابعاً،

في ضوء ما تقدم نخلص إلى القول بأن الإمام المهدي المنتظره حي يرزق وقد
امتد به العمر حتى يأذن الله له بالظهور، وهكذا يصح أن نضع أحاديث هذا الباب
ضمن منظومة الأدلة العامة للبرهنة على بقاء الإمام وامتداد عمره الشريف.

العنوان الرابع «حديث الثقلين»

حديث الثقلين حديثٌ ثابتٌ متواترٌ دُونته أهمُّ مصادر الحديث والتفسير والتاريخ واللغة والأدب.

من أهم المصادر التي دُونته :

- ١- صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ / حديث ٢٤٠٨.
- ٢- جامع الترمذي ٥: ٦٦٢.
- ٣- مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢١٦ / ٢١٦٣٣.
- ٤- المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٨ / ٤٥٧٦.
- ٥- المعجم الكبير للطبراني ٢: ٦٥ / ٢٦٧٨.
- ٦- الطبقات الكبرى ٢: ٣٤٧.
- ٧- جامع الأصول ١: ٢٧٨.
- ٨- حلية الأولياء ١: ٣٥٥.
- ٩- إحياء الميت للسيوطي ٥٧، ٥٨.
- ١٠- مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٦٦.
- ١٢- الصواعق المحرقة ١٩٤ / الباب التاسع / الفصل الثاني.
- ١٣- التلخيص للذهبي ٣: ١٠٩.

للتوسع في معرفة المصادر انظر:

- ما تقدّم في مباحث هذا الكتاب: الإشكالية الثانية، السند الديني / الأدلة العامة - الدليل الرابع.

- كتابنا (التشيع) ص ١٤٧ - ١٤٩ ط ٧.

- رسالة «حديث الثقلين» صادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر.

نماذج من صيغ حديث الثقلين:

الصفة الأولى:

○ عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:
«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل
وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي،
وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا
كيف تخلفوني فيهما»^(١).

الصفة الثانية:

○ عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً
فينا خطيباً بقاء يدعى خمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ
وذكر ثم قال:
«أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا
تارك فيكم ثملين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله،
واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم
الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤ ط بيروت.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢ / حديث ٢٤٠٨ ط بيروت.

الصيغة الثالثة :

● عن جابر بن عبد الله قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم) فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»^(١).

الصيغة الرابعة :

● عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ -عز وجل- حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ - وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

الصيغة الخامسة :

● عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخَلَّفُونِي فِيهِمَا»^(٢).

الصيغة السادسة :

● عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) من حجة الوداع، ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال: «كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَعِثْرَتِي فَانظُرُوا كَيْفَ تَخَلَّفُونِي فِيهِمَا فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى

(١) صحيح الترمذي ٥: ٦٦٢ ط بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨٢ ط بيروت.

(٣) ابن الأثير: جامع الأصول ١: ٢٧٨ ط بيروت.

يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ».

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).

الصيغة السابعة :

① عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فَرَطُكُمْ وَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ حِينَ تَرُدُّونَ عَلَيَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ، كِتَابُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - سَبَبَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ أَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَلَا تُضِلُّوا وَلَا تَبَدِّلُوا، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَإِنَّهُ هَذَا نَبَأُنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(٢).

الصيغة الثامنة :

② عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجحفة فقال: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ: عَنِ الْقُرْآنِ، وَعِثْرَتِي»^(٣).

(١) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٩٢ ط بیروت.

(٢) أبو نعیم: حلیة الأولیاء ١: ٢٥٥ ط بیروت.

الصيفة التاسعة :

❦ عن رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم) قال:
«يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرةً
إليكم، ألا إنني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي - ثم أخذ
بيد عليّ فرفعها فقال - : هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان
حتى يردا عليّ الحوض، فأسألهما ما خلفت فيهما»^(١).

الصيفة العاشرة :

❦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه [وأله] وسلم):
«إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله ونسبي، ولن يتفرقا
حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

الصيفة الحادية عشر:

❦ عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله
قال:

«إني تارك فيكم أمرين إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وأهل بيتي
عترتي، أيها الناس اسمعوا قد بلغت إنكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم
عما فعلتم في الثقلين، والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي فلا تسبقوهم
فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم...»^(٣).

(١) ابن حجر: الصواعق المحرقة ١٩٤ ب ٩ ف ٢ ط بيروت.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد ٩: ١٦٦ ط بيروت.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٢٩٤ / ح ٣ (كما جاء في إثبات الهداة ٢ / ٢٥).

الصيغة الثانية عشر،

④ عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

الصيغة الثالثة عشر،

④ عن أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وأن مثلهما فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢).

الصيغة الرابعة عشرة،

④ روى النعماني بأسانيد متعددة عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته في مسجد الخيف في حجة الوداع: «ألا وإني مخلف فيكم الثقلين، النقل الأكبر القرآن، والنقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل ممدود بينكم وبين الله، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا سبب منه بيد الله، وسبب بأيديكم»^(٣).

الصيغة الخامسة عشرة،

● عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام في حديث أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها:

(١) الصدوق: كمال الدين ١: ٢٣٦ / ح ٥٢.

(٢) الصدوق: كمال الدين ١: ٢٢٩ / ٥٩.

(٣) نخبة النعماني ص ٢٩.

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ وَالثَّقَلُ الْأَصْفَرُ، فَأَمَّا الْأَكْبَرُ فَكِتَابُ رَبِّي، وَأَمَّا الْأَصْفَرُ فَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَاحْفَظُونِي فِيهِمَا، فَلَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا»^(١).

الصفة السادسة عشرة:

• عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل أنه قال في حجة الوداع:
«أَلَا وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، أَلَا فَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِمَا فَقَدْ نَجَا، وَمَنْ خَالَفَهُمَا فَقَدْ هَلَكَ، إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(٢).

الصفة السابعة عشرة:

• عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله:
«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي» مَنْ العترة؟
فقال: «أَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأئِمَّةُ التَّاسِعَةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ، تَأْسِعُهُمْ مَهْدِيَّهُمْ، لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَوْضَهُ»^(٣).

(١) تفسير العياشي ١: ٥ / ج ٩.

(٢) تفسير القمي ١: ١٧٢.

(٣) الكوراني: معجم أحاديث الإمام المهدي ٤: ٢١٩ / ٦٨٩.

دلالات حديث الثقلين

يحمل هذا الحديث - في صيغته المتعددة - مجموعة دلالات كبيرة ومهمة جداً، أشار إليها أستاذنا الكبير آية الله السيد محمد تقي الحكيم في كتابه القيم (الأصول العامة للفقهاء المقارن) نوجزها كما يلي:

الدلالة الأولى،

دلالتها على عصمة أهل البيت... وذلك:

أولاً،

«لاقتراهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أن صدور أي مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهواً غفلة، تُعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال...»^(١).

ثانياً،

«ولأنه اعتبر التمسك بهم عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً، كما هو مقتضى ما تُقيد به كلمة لن التأييدية، وفاقد الشيء لا يُعطيه»^(٢).

وثالثاً،

«على أن تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجويزاً للكذب على الرسول ﷺ الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع افتراقهما، وتجويز الكذب عليه متعمداً في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من

(١) محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقهاء المقارن ص ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦.

موضوعاتها وعللها منافٍ لافتراض العصمة في التبليغ، وهي ممّا أجمعت عليها كلمة المسلمين على الإطلاق...^(١).

الدلالة الثانية :

«لزوم التمسك بهما معاً لا بواحدٍ منهما منعاً من الضلالة...»^(٢).

«وبالطبع إن معنى التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها، وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عدل القرآن»^(٣).

الدلالة الثالثة :

«بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة: أي لا يخلو منهما زمانٌ من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة، يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلفٍ من أمّتي عدوٌّ من أهل بيتي [الصواعق ١٤٩])»^(٤).

ومن خلال هذه الدلالة يتّضح لنا السبب في اعتماد (حديث الثقلين) أحد الأدلة العامّة لإثبات بقاء الإمام المهديّ وامتداد عمره الشريف.

الدلالة الرابعة :

«دلّالته على تميّزهم بالعلم بكلّ ما يتصل بالشريعة وغيره، كما يدلّ على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة، ولقوله عليه السلام: (ولا تعلموهم فإنّهم

(١) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٦٧ - ١٦٨.

أعلم منكم) ^(١).

أي الروايتين أوثق؟

يذهب بعض الدارسين أن «كتب السنة التي ذكرته - يعني حديث الثقلين - بلفظ (سنّتي) أوثق من الكتب التي روتها بلفظ (وعترتي)» ^(٢).

إلا أن هذا الكلام يبدو مرتجلاً وغير دقيق؛ ولنا عليه مجموعة ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

إنّ المقارنة بين المصادر التي دوّنت حديث الثقلين وفق رواية «وعترتي» والمصادر التي اعتمدت الرواية الأخرى تكشف الفارق الكبير جداً بين المجموعتين من المصادر.

فالمجموعة الأولى من المصادر التي اعتمدت رواية «وعترتي» تبلغ عشرات المصادر من الصحاح والسّنن والمسانيد والمستدركات، ممّا أنتج تواتراً في جميع طبقات الحديث، وطرقه إلى الصحابة كثيرة، ورواياته منهم - أي الصحابة - كثيرون جداً، ورواياته في أعلى درجات الصحة ^(٣).

وأما المجموعة الثانية التي اعتمدت رواية (وسنّتي) فهي لا تكاد تبلغ أصابع اليد الواحدة، وهي مشتركة في رواية الحديثين معاً، ما عدا موطأ مالك فقد اقتصر على رواية (وسنّتي) معتمداً رواية مرفوعة ضعيفة حيث قال راوي الموطأ: عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه» [الموطأ ٢: ٢٠٨] ولعلّ الموطأ هو أقدم مصادرها في كتب الحديث، كما أنّ ابن هشام هو أقدم رواها في كتب السير، ما عدا

(١) المصدر نفسه ص ١٦٨.

(٢) أبوزهرة: الإمام الصادق ص ١٩٩.

هذين الكتابين فقد ذكرها ابن حجر في صواعقه مرسله وذكرها الطبراني فيما حكى عنه ^(١).

الملاحظة الثانية ،

أشكل أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم على رواية (وسنتي) بقوله: «أما من حيث المضمون فأنا - شخصياً - لا أكاد أفهم كيف يمكن أن تكون السنة مرجعاً يُطلب إلى المسلمين في جميع عصورهم أن يتمسكوا بها إلى جنب الكتاب، وهي غير مجموعة على عهد عليه السلام، وفيها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد...» ^(٢).

إلى أن قال: «وما دنا نعلم أنّ السنة لم تُدوّن على عهد الرسول عليه السلام، وأنّ النبي مُنزّه عن التفريط برسالته، فلا بدّ أن نفترض جعل مرجع تحدّد لديه السنة بكلّ خصائصها، وبهذا تتضح أهمية حديث الثقلين وقيمة إرجاع الأمة إلى أهل البيت فيه لأخذ الأحكام عنهم كما تتضح أسرار تأكيده على الاقتداء بهم، وجعلهم سفن النجاة تارة، وأماناً للأمة أخرى، وباب حطة ثالثة، وهكذا...» ^(٣).

الملاحظة الثالثة ،

لو سلّمنا بصحة رواية (وسنتي) فلا تعارض في المقام فكلّ ما عند أهل البيت هو من السنة، وهم أصدق الأئمة على أحاديث جدّهم رسول الله عليه السلام.

(١) المصدر نفسه ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٢، ١٧٤.

المنظومة الثانية

الأحاديث الخاصة

(رواياتٌ أُخبرت عن الغيبة وطول العمر)

توفرت مصادر الحديث على عددٍ كبيرٍ جداً من الروايات التي يمكن اعتمادها أدلةً مباشرةً على مسألة «طول العمر» عند الإمام المهدي عليه السلام.

ويمكن تصنيف هذه الروايات إلى أربع طوائف:

▣ الطائفة الأولى: «رواياتٌ أُخبرت عن مطلق الغيبة، إلا أنها غيبةٌ تمتد إلى يوم الظهور.

▣ الطائفة الثانية: رواياتٌ أُخبرت عن غيبةٍ طويلة.

▣ الطائفة الثالثة: رواياتٌ أُخبرت عن غيبتين: صغرى وكبرى.

▣ الطائفة الرابعة: رواياتٌ أُخبرت عن طول العمر في حياة الإمام المهدي.

وقد تناول البحث في معالجته للإشكالية الثانية - إشكالية الولادة - عدداً من هذه الروايات - سنداً وامتناً -.

ويأتي إن شاء الله مزيدٌ من الروايات حينما تصل النوبة إلى معالجة الإشكالية الرابعة - إشكالية الغيبة -.

ويفرض سياق البحث - هنا - وهو في صدر معالجة (إشكالية العمر الطويل) أن يستعين بنماذج من هذه الروايات بصيغها المتنوعة، لتشكل «أدلةً خاصةً» تُضاف إلى ما سبق من «أدلةٍ عامةٍ».

الرواية الأولى:

- الكافي ١: ٢٤٠ / حديث ١٥:

«عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الصادق] عليه السلام يقول:
«إِنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِكُمْ [يعني الإمام المهدي] غَيْبَةً فَلَا تُنْكِرُوهَا.»

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• ثقة الإسلام الكليني صاحب الكافي،

- «شيخ المحدثين المشهور - تقدم في أسانيد كثيرة.»

• عدة من أصحابنا،

• «العدة في إسناد الكليني تعني مجموعة من الرواة فيهم عددٌ من الأجلّاء
الثقات كما تقدم.»

• أحمد بن محمد،

- [مردّد بين الأشعري والبرقي وكلاهما ثقة] الموسوعة الرجالية الميسرة ١/
.٤٨٢

• علي بن الحكم [بن الزبير]،

- «ثقة جليل القدر» الخلاصة ٩٢ / ١٤.

• أبو أيوب الخزاز،

- [إبراهيم بن عيسى وقيل ابن عثمان وهو ثقة كبير المنزلة] رجال النجاشي
ج ١: ٩٧ / ٢٤.

• محمد بن مسلم،

- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات - تقدم.»

الرواية الثانية،

- الكافي ١: ٢٤٠ / حديث ١٩:

◉◉ عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:
«للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة...».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

◉ ثقة الإسلام الكليني،

- شيخ المحدثين المشهور.

◉ محمد بن يحيى [الطّار]،

- وأحد أعلام الفقهاء الثقات - تقدم.

◉ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب،

- ثقة عين جليل القدر - تقدم في أسانيد كثيرة.

◉ الحسن بن محبوب،

- من الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم في أسانيد كثيرة.

◉ إسحاق بن عمار،

- أحد المشاهير الأعيان ثقة، كثير الحديث، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/

٢١٠.

- ورواه النعماني في الغيبة (١/١٧٠) أيضا بإسناد صحيح.

الرواية الثالثة،

- كمال الدين ١: ٢٨٧ ب ٢٥ / حديث ٤:

◉◉ عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال

رسول الله ﷺ:

«المهدي من ولدي اسمه اسمي، وكُنيتُه كُنيتي. أشبه الناس بي خلقًا وخلُقًا، تكون له غيبةٌ وحيرةٌ حتى تضلُّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يُقبلُ كالشهابِ الثاقبِ، فيملأها قسطًا وعدلاً كما ملئتُ ظلمًا وجورًا».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

○ أبو جعفر الصدوق،

- «رئيس المحدثين المعروف».

○ (١) علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم».

○ (٢) ومحمد بن الحسن بن الوليد،

- «من أعظم شيوخ الصدوق - تقدم».

○ (٣) ومحمد بن موسى المتوكل،

- «من شيوخ الصدوق وكان يعتمد عليه - تقدم».

جميعاً قالوا حدثنا:

○ (١) سعد بن عبد الله،

- «من فقهاء الطائفة الأجلاء الثقات - تقدم».

○ (٢) وعبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدم».

⊙ (٣) ومحمد بن يحيى العطار،

- «أحد أعلام الفقهاء الثقات - تقدم».

جميعاً قالوا حدثنا:

⊙ (١) أحمد بن محمد بن عيسى،

- «شيخ القميين وفتيهم الثقة - تقدم».

⊙ (٢) وإبراهيم بن هاشم،

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».

⊙ (٣) وأحمد بن أبي عبد الله البرقي،

- «أحد كبار الفقهاء الثقات - تقدم».

⊙ (٤) ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب،

- «ثقة عين جليل القدر - تقدم».

جميعاً قالوا: حدثنا:

⊙ أبو علي الحسن بن محبوب السراذ،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم».

⊙ داوود بن الحصين،

- «كوفي ثقة، رجال النجاشي ج ١: ٢٦٧ / ٤١٩».

⊙ أبو بصير،

- «مردّد بين يحيى بن القاسم وليث البخثري وكلاهما ثقة كما تقدم».

الرواية الرابعة:

- كمال الدين ١: ٣٤١ ب ٢٢ / حديث ٢٢:

⊙⊙ عن صفوان بن مهران الجمال قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«أما والله ليفيبن عنكم مهديكم حتى ليقول الجاهل منكم، ما لله في آل محمد حاجة ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً.»

رجال الإسناد كلهم ثقات:

⊙ أبو جعفر الصدوق:

- «رئيس المحدثين المعروف.»

⊙ أحمد بن محمد بن يحيى العطار:

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحة حديثه - تقدم.»

⊙ محمد بن يحيى العطار:

- «أحد أعلام الفقهاء الثقات - تقدم.»

⊙ إبراهيم بن هاشم:

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم.»

⊙ محمد بن أبي عمير:

- «من أصدق الناس وأوثقهم وأعبدتهم - تقدم.»

⊙ صفوان بن مهران الجمال:

- «من الفقهاء الثقات الصالحين من شيوخ أصحاب الإمام الصادق وخاصة

وبطانته» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٤٧٠.

الرواية الخامسة،

- كمال الدين ١: ٣٥٠ ب ٢٢ / حديث ٤٤:

«عن زرارة قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:
«يأتي على الناس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامهم، فقلتُ له: ما يصنعُ الناسُ في
ذلك الزمان؟
قال: يَتَمَسَّكُونَ بالأمرِ الذي هُم عليه حتَّى يتبينَ لهم».

رجال الإسناد ثقات،

• أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين المعروف.

• علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم».

• عبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدم».

• أيوب بن نوح،

- «أحد المحدثين الثقات، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام» موسوعة طبقات

الفقهاء ٢ / ٨٢٢.

• محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدتهم - تقدم».

• جميل بن دراج،

- «من كبار الفقهاء ووجوه علماء الشيعة ثقة، جليل، كثير الرواية» موسوعة

طبقات الفقهاء ٢ / ٢٤٥.

• زارة بن أعين،

- «من مشاهير رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفةً بالكلام وهو ممن أجمعوا على وثافتهم وجلالتهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٤٢٢.

الرواية السادسة،

- غيبة النعماني ١٧١ / حديث ٢:

• عن إبراهيم بن عمر اليماني قال: سمعت أبا جعفر [الباقر] عليه السلام يقول:
«إن لصاحب هذا الأمر غيبتين... وسمعته يقول: لا يقوم القائم ولا أحد في عنقه بيعة...»

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• محمد بن إبراهيم النعماني،

- «من كبار علماء الإمامية ومحدثيهم عظيم القدر، شريف المنزلة» موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٥٢٣.

• أحمد بن محمد بن سعيد [بن عقدة]،

- «أحد مشاهير الحفاظ، وأعلام الحديث، وأمره في الثقة والجلالة أشهر من أن يُذكر» موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٢٠٢، الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٥٤٥.

• علي بن الحسن بن فضال،

- «من أجلة الفقهاء والمحدثين ووجه من وجوههم، ثقة، عارف بالحديث» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٠٢٢.

⊙ عبد الرحمن بن أبي نجران،

- «من أجلاء المحدثين وثقاتهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٩٦٣.

⊙ علي بن مهزيار،

- «من كبار الفقهاء وعيون المحدثين، جليل القدر، واسع الرواية، من العبّاد المجتهدين» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٠٣٩.

⊙ حمّاد بن عيسى،

- «من الفقهاء المحدثين من أصحاب الأئمة الطاهرين، من أصحاب الإجماع، وثقه النجاشي والطوسي وغيرهما» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٩٠٥.

⊙ إبراهيم بن عمر اليماني،

- «أحد شيوخ الشيعة وفقهائهم قال عنه النجاشي: شيخ من أصحابنا ثقة، وقيل روايته العلامة، وضعفه ابن الفضايري».

انظر،

- موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٢٨٨. منتهى المقال ١ / ٦١.

ملاحظة،

هناك من يتحفّظ على تضعيفات ابن الفضايري، ثم إن جرحه غير معلل، فلا يتّدم على التعديل، ولو سلّمنا بالخدشة في إبراهيم بن عمر اليماني، فلا يضرّ ذلك في اعتماد هذه الرواية ما دام متنها مطابقاً للمتون الصحيحة.

الرواية السابعة،

- كمال الدين ١ : ٥١، مقدّمة المصنّف:

●● عن عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي الحسن عليّ بن موسى

الرّضا، عن أبيه، عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبنّ القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني،
حتى يقول أكثر الناس، ما لله في آل محمد حاجة، ويشكّ آخرون في ولادته،
فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه فيزيله
عن ملتي، ويخرجه من ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل...».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين وقد اتقمت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره - تقدم.

• محمد بن موسى بن المتوكل،

- أحد مشايخ الصدوق ومن كبار المحدثين، روى عنه الصدوق مترضياً
مترحماً، وثقة العلامة في الخلاصة، وابن داود في رجاله وآخرون... ولم
يُرد فيه قدح، موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٦٤٧، منتهى المقال ٦ / ٢٨٩٨.

• عليّ بن إبراهيم القمي،

- من أعلام الفقهاء الأجلّاء الثقات - كما تقدم.

• إبراهيم بن هاشم القمي،

- من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم.

• عبد السلام بن صالح الهروي،

- ثقة، صحيح الحديث، الخلاصة ١١٧ / ٢، رجال النجاشي ج ٢: ٦٠ / ٦٤١.

الرواية الثامنة،

- علل الشرائع ١: ٢٤٦ ب ١٧٩ / حديث ٩:

• • عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام يقول - في حديث

جاء فيه -:

«إنَّ للقائم غيبةً قبلَ ظهورِهِ...»

رجال الإسناد كلَّهم ثقات،

⊙ أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين المعروف.

⊙ عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري،

- «من مشايخ الصدوق المعتبرين، روى عنه كثيراً مترضياً، وذكره الفاضل

الجزائري في خاتمة قسم الثقات» منتهى المقال ٤ / ١٨٤٣.

⊙ علي بن محمد بن قتيبة،

- «محدث فاضل، صاحب الفضل بن شاذان وراويته كتبه، اعتمد عليه أبو عمرو

الكشي في كتاب الرجال ذكره صاحب الحاوي في قسم الثقات» منتهى المقال

٥ / ٢١٠٦.

⊙ حمدان بن سليمان [التاجر]،

- «ثقة من وجوه الأصحاب» الخلاصة ٦٢ / ٢.

⊙ محمد بن الحسين [بن أبي الخطاب]،

- «ثقة، عين، جليل القدر - تقدم».

⊙ الحسن بن محبوب،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم».

⊙ علي بن رناب،

- «أحد كبار العلماء، ثقة، جليل القدر» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥٥٨.

• زرارة بن أعين،

- «من مشاهير الفقهاء الأجلاء الثقات كما تقدم».

الرواية التاسعة،

- كمال الدين ٢: ٤٠٩ ب ٢٨ / حديث ٩:

• • أبو علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي [العسكري] عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن أبيائه عليهم السلام:

«إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، فَقَالَ [عليه السلام]:

«إِنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ - فَقِيلَ لَهُ - يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَنْ الْحُجَّةُ وَالْإِمَامُ بَعْدَكَ؟

فَقَالَ: ابْنِي مُحَمَّدٌ هُوَ الْإِمَامُ وَالْحُجَّةُ بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، أَمَا إِنَّ لَهُ غَيْبَةً يُحَارُّ فِيهَا الْجَاهِلُونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمَبْطُلُونَ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَاتُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الْأَعْلَامِ الْبَيْضِ تَخْفُقُ فَوْقَ رَأْسِهِ بِنَجْفِ الْكُوفَةِ».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين المعروف.

• محمد بن إبراهيم بن إسحاق،

- «من مشايخ الصدوق، أكثر الرواية عنه مترضيًا مترحمًا» منتهى المقال ٥ /

⊙ أبو علي محمد بن همام،

- «من شيوخ الشيعة ومحدثيهم، ثقة، جليل القدر، كثير الحديث، محقق»
موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٦٥١.

⊙ محمد بن عثمان القمري،

- «السفير الثاني للإمام المهدي، له منزلة جلييلة عند الطائفة - تقدم».

⊙ عثمان بن سعيد القمري،

- «السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام، له منزلة جلييلة عند الطائفة - تقدم».

إسناد آخر،

- رواه علي بن محمد الخزاز في كفاية الأثر ص ٢٩٢.

⊙ علي بن محمد الخزاز،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم».

⊙ أبو الفضل الشيباني،

- «كان في أول عمره ثبناً ثم خلط، وجل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه - حسب النجاشي - ثم قال: رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه، رجال النجاشي ج ٢: ٢٢١ / ١٠٦٠».

- قال أبو علي الحائري في منتهى المقال: «لا يخفى أن توقف النجاشي رحمه الله يُشير إلى عدم ضعفه عنده والآفتي مدخل للواسطة، بل الظاهر أنه مجرد تورع واحتياط عن اتهامه بالرواية عن المتهمين، وإيقاعه فيما أوقعوا ذلك ووقعوهم فيه كما وقعوا فيه فتدبر» منتهى المقال ٦ / ٢٧٢٢.

● بقية الإسناد، حدثني أبو همام إلى آخر ما جاء في كمال الدين.

الرواية العاشرة،

- كمال الدين ٢: ٤٠٩ ب ٣٨ / حديث ٨:

• • موسى بن جعفر البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام

يقول - في حديث جاء فيه -:

«أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل».

رجال الإسناد يعتمد عليهم،

• أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين المعروف.

• أحمد بن محمد بن يحيى العطار،

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحة حديثه - تقدم».

• سعد بن عبد الله،

- «من الفقهاء الأجلاء النقات - تقدم».

• موسى بن جعفر البغدادي،

- «قال الوحيد البهبهاني في تعليقه: في رواية محمد بن أحمد بن يحيى عنه

وعدم استثنائه دلالة على عدالته كما مر فيه، وفي الوسيط ما يُنبئ عن حسن

حاله، انتهى المقال ٦ / ٣٠٦١.

- ورواه أيضا الخزاز في الكفاية (ص ٢٩١) كما في كمال الدين بتفاوت، وبنفس

الإسناد.

الرواية الحادية عشرة،

- كمال الدين ١ : ٢٨٧ ب ٢٥ / حديث ٥ :

•• عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«المهدي من ولدي، تكون له غيبةٌ وحيرةٌ تضلُّ فيها الأممُ. يأتي بذخيرةِ
الأنبياءِ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

رجال الإسناد كلهم ثقات، ما خلا صالح بن عقبة وأبيه، أما صالح بن عقبة
فانتهمه البعض بالكذب والغلو ونفى آخرون هذه التهمة، ويظهر من الصدوق أن
كتابه معتمد الأصحاب، ولهذا ذكر أخباره المشايخ وعملوا بها (انظر: منتهى المقال
/ ٤ (١٤٥١)).

وأما أبوه فلم أعثر له على ذكر... ومما يهون الأمر أن متن هذه الرواية مقاربٌ
لمتونٍ أخرى صحيحة الإسناد كما تقدم، فلا تضر الخدشة في إسنادها.

الرواية الثانية عشرة،

- كتاب إثبات الرجعة للفضل بن شاذان [كما ذكر في إثبات الهداة ٥ / ١٧٨]:

•• عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام عن
النبي صلى الله عليه وسلم - في حديث جاء فيه :-
«التاسع من ولد ابني الحسين الذي يظهر بعد غيبته الطويلة فيعلن أمر الله،
ويظهر دين الله، وينتقم من أعداء الله، ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت
ظُلماً وجوراً».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• الفضل بن شاذان،

- من كبار فقهاء الإمامية الأجلاء الثقات - تقدم في أسانيد كثيرة.

ملاحظة :

كتاب الفضل بن شاذان ألف قبل ولادة الإمام المهدي.

- عبد الرحمن بن أبي نجران ،
- «من أجلاء المحدثين وثقاتهم - تقدم».
- عاصم بن حميد الحنطلي ،
- «من أعيان علماء الشيعة ثقة، صدوق» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٤٧٤.
- أبو حمزة الثمالي ،
- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثالثة عشرة :

- كتاب الفضل بن شاذان [كما عن إثبات الهداة ٥ / ٦٧٩]:
- • محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسَيِّدِي الحسن بن علي عليه السلام: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟
- فقال: «إِنَّ الْإِمَامَ وَحِجَّةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِي ابْنِي سَمِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَيْبُهُ الَّذِي هُوَ خَاتَمُ حُجَجِ اللَّهِ وَآخِرُ خُلَفَائِهِ ... - إلى أن قال - أَلَا إِنَّهُ سَيُؤَلَّدُ وَيُغَيَّبُ عَنِ النَّاسِ غَيْبَةً طَوِيلَةً تَمَّ يَظْهَرُ...».

رجال الإسناد كلهم ثقات وهذا الإسناد من أقصر الأسانيد :

- الفضل بن شاذان ،
- «من كبار الفقهاء الأجلاء الثقات».

○ محمد بن عبد الجبار بن أبي الصهبان،

- «ثقة، صاحب ثلاثة من الأئمة: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام»، الموسوعة
الرجالية الميسرة ٢ / ٤٧٠٠.

الرواية الرابعة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما فيه كفاية المهتدي / الحديث ١٠):

○ محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث ذكر فيه أسماء الأئمة إلى أن
قال :-

«ثم الحجّة بن الحسن الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، ويغيب مدّة
طويلة، ثم يظهر ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

○ الفضل بن شاذان،

- «الفقيه الجليل الثقة».

○ فضالة بن أيوب،

- «محدّث جليل، ثقة في الحديث، فقيه...» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥٩٨.

○ أبيان بن عثمان،

- «محدّث حافظ فقيه، من الستة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذين أجمعت
الشيعة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه، موسوعة طبقات
الفقهاء ٢ / ٢٨٢».

○ محمد بن مسلم،

- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات - تقدّم».

الرواية الخامسة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان [على ما في كفاية المهدي / الحديث ١٩]:

• • عن أبي صفية ثابت بن دينار عن أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث ذكر فيه الإمام المهدي فقال -:

«وهو الذي يغيب مدة طويلة، ثم يظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

رجال الإسناد كلهم ثقات:

• الفضل بن شاذان،

- فقيه الجليل الثقة..

• الحسن بن محبوب،

- فقيه جليل ثقة - تقدم».

• مالك بن عطية البجلي،

- «ثقة، عظيم الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وقد أخذ العلم من الإمام الصادق عليه السلام».

موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٦١٩.

• أبو صفية ثابت بن دينار [أبو حمزة الثمالي]،

- «من خيار رجال الشيعة وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث - تقدم».

الرواية السادسة عشرة:

- كتاب الفضل بن شاذان [على ما في كفاية المهدي / حديث ٢٠]:

• • عن أبي خالد الكاهلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين بن علي

بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله تعالى طاعتهم ومودتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: «يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين أبي، ثم انتهى الأمر إلينا. - إلى أن قال - ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

• الفضل بن شاذان،

- الفقيه الجليل الثقة.

• صفوان بن يحيى،

- ثقة عين، أوثق أهل زمانه عند أهل الحديث وأعبدهم، الموسوعة الرجالية

الميسرة / ١ / ٢٨٢٨.

• إبراهيم بن أبي زياد [الكرخي]،

- روى عنه المشايخ الثلاثة في الكتب الأربعة وابن أبي عمير وصفوان بسند

صحيح وكل ذلك يشعر بوثاقته، وقد حكم بعض الأعلام بأنه أبو أيوب الخزاز

الثقة، منتهى المقال / ١ / ٢٤، الموسوعة الرجالية الميسرة / ١ / بعد ١٥٢.

• أبو حمزة الثمالي،

- «من خيار الشيعة وثقاتهم - تقدم».

• أبو خالد الكابلي،

- روى الكشي أنه من حوارى علي بن الحسين عليه السلام، وقال الفضل بن شاذان:

لم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام إلا خمسة نفر عد منهم أبا خالد

الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر» الخلاصة ١٧٧ / ٣.

- وقال في معجم الثقات: من ثقات علي بن الحسين، رواه في أصول الكافي الرقم ٩٤٢.

الرواية السابعة عشرة،

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما في إثبات الهداة ٥ / ٦٨١):

● ● أحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول:

«الحمد لله الذي لم يُخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقاً يحفظه الله تعالى في غيبته، ثم يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.»

رجال الإسناد كلهم ثقات، وهذا الإسناد من أقصر الأسانيد،

● الفضل بن شاذان،

- الفقيه الجليل الثقة.

● أحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري،

- «وافد القميين إلى الأئمة عليهم السلام لأخذ المسائل والردود منهم، وكان محدثاً ثقة، وشيخاً جليل القدر، موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٧٦٤.

الرواية الثامنة عشرة،

- كتاب الفضل بن شاذان (على ما في إثبات الهداة ٥ / ٦٨٣):

● ● إبراهيم بن محمد بن فارس الشيباني عن أبي محمد [الإمام العسكري عليه السلام]

عليه السلام وذكر حديثاً فيه أنه دخل عليه وعنده غلام فسأله عنه فقال:

«هو ابني وخليفتي من بعدي، وهو الذي يغيب غيبة طويلة، ويظهر بعد امتلاء»

الأرض جوراً وظلماً فَيَمْلأها عدلاً وقسطاً.

رجال الإسناد ثقات:

○ الفضل بن شاذان،

- الفقيه الجليل الثقة.

○ إبراهيم بن محمد بن فارس النيشابوري،

- في الخلاصة: لا بأس في نفسه، ولكن بعض من يروي عنه.

- وقال العياشي عنه: فهو في نفسه لا بأس به ولكن بعض من يروي هو عنه.

- وقال المحقق البحراني: وثقه ابن طاووس.

- في حاشية الشهيد الثاني على الخلاصة هكذا: في الكشي: ثقة في نفسه.

- ذكره في الحاوي في الثقات، ثم في الحسان.

انظر،

- منتهى المقال ١ / ٧٤.

الرواية التاسعة عشرة:

- كمال الدين ١: ٢٦١ ب ٢٤ / حديث ٥:

●● عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر [الكاظم]

عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟

فقال: وأنا القائم بالحق، لكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عز

وجل ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وهو الخامس من ولدي، له غيبة

يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها قوم، ويثبت فيها آخرون... إلى آخر

الحديث.

رجال الإسناد ثقات:

- ⊙ أبو جعفر الصدوق،
- رئيس المحدّثين المعروف.
- ⊙ أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني،
- «من مشايخ الصدوق روى عنه مترحماً مترضياً وقال عنه: كان رجلاً ثقة ديناً فاضلاً» منتهى المقال ١ / ١٥٢.
- ⊙ علي بن إبراهيم القمي،
- «من أعلام الفقهاء الأجلاء الثقات».
- ⊙ إبراهيم بن هاشم،
- «من شيوخ الإجازة المعتمدين».
- ⊙ صالح بن السندي،
- «يظهر من ابن الوليد الوثوق به وفي روايته عن جعفر بن بشير ما يدل على وثاقته».

انظر:

- منتهى المقال ٤ / ١٤٤٧.
- يونس بن عبد الرحمن: «فقيه، محدّث، مفسّر، جليل الشأن، عظيم المنزلة عند أهل البيت عليهم السلام وقد وردت عنهم أخبار كثيرة تشيد بفضله وسمو منزلته» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٢٢٦.

الرواية العشرون،

- كمال الدين ٢: ٢٨٤، ٢٨٥ ب ٢٨ / حديث ١:

⊙ ⊙ عن أحمد بن إسحاق الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه...»
- ويعد كلام ذكر ابنه وقال عنه أنه - سَمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكُنِيَهُ الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا... - إلى أن قال - والله ليفيبن غيبته لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه... إلى آخر الحديث.

رجال الإسناد ثقات،

⊙ أبو جعفر الصدوق،

- رئيس المحدثين المعروف.

⊙ علي بن عبد الله الوراق،

- روى عنه الصدوق مترحماً.

⊙ سعد بن عبد الله،

- «فقيه، جليل ثقة».

⊙ أحمد بن إسحاق،

- «محدث ثقة، شيخ جليل القدر».

الرواية الواحدة والمشرون،

- كمال الدين ٢: ٢٨١ ب ٢٧ / حديث ٥:

⊙ عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري قال:
«سمعت أبا الحسن صاحب العسكر [الإمام الهادي] عليه السلام يقول:
«الخلف من بعدي ابني الحسن [الإمام العسكري] وكيف للناس بالخلف من
بعده؟
فقلت: ولم جعلني الله فداك؟
قال: لأنكم لا ترون شخصه... الحديث».

رجال الإسناد ثقات،

- ⊙ أبو جعفر الصدوق،
- «أنفتت الكلمات على وثاقته وجلالة قدره، وعظم منزلته - تقدم في أسانيد كثيرة».
- ⊙ محمد بن الحسن [بن الوليد]،
- «من أعظم شيوخ الصدوق، كان يعتمد عليه ويتبعه فيما يذهب إليه - تقدم».
- ⊙ سعد بن عبد الله القمي،
- «من فقهاء الطائفة الأجلاء الثقات - تقدم».
- ⊙ محمد بن أحمد العلوي،
- «يظهر من النجاشي أنه من شيوخ الأصحاب، وذهب الوحيد إلى وثاقته لرواية الأجله عنه وعدم استثناء ابن الوليد إياه، وتصحيح العلامة روايات هوية طريقها».

انظر:

- منتهى المقال ٥ / ٢٤٥٤.
- الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / بعد ٤٧٨٥.
- أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري: «عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، شريف القدر، ثقة - تقدم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثانية والعشرون:

- الكافي ١: ٢٢٨ / حديث ٨:

•• عن معروف بن خربوذ عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال: «إنما نحن كنجوم السماء كلما غاب نجم طلع نجم حتى إذا أشرتم بأصابعكم ومليتم بأعناقكم غيب الله نجمكم [يعني غيبة الإمام المهدي] فاستوت بنو عبد المطلب، فلم يعرف أي من أي فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم».

رجال الإسناد ثقات:

- ثقة الإسلام الكليني:
- صاحب الكافي شيخ المحدثين المشهور.
- علي بن إبراهيم:
- «من أعلام الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم».
- إبراهيم بن هاشم:
- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».
- حنان بن سدير بن حكيم:
- «في الفهرست: ثقة له كتاب» الفهرست ٦٤ / ٢٥٤.

● معروف بن خربوذ،

- «عده الكشي من أصحاب الإجماع، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في ميزانه: صدوق شيعي» موسوعة طبقات الفقهاء / ١ / ٢٦٠.

الرواية الثالثة والعشرون،

- الكليني ١: ٢٤٠ / حديث ١٨:

●● عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام يقول: «إِنَّ لِلْقَائِمِ غَيْبَةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ... إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد كلهم ثقات ما عدا جعفر بن محمد [بن مالك] ففيه كلام يأتي،

● ثقة الإسلام الكليني،

- صاحب الكافي...

● محمد بن يحيى العطار،

- «أحد أعلام الفقهاء الثقات - تقدم».

● جعفر بن محمد بن مالك،

- «قال الطوسي: كوفي ثقة، ويضعفه قوم، وثقه المامقاني، روى عنه الشيخ النبيل الثقة أبو علي بن همام، والشيخ الجليل الثقة أبو غالب الرازي» منتهى المقال ٢ / ٥٩٣، الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ١٢٠٥.

● الحسن بن معاوية،

- «قال في معجم رجال الحديث: تقدم في إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، أنه سمع أصحابنا منه مثل أيوب بن نوح، والحسن بن معاوية، ومحمد بن

الحسين، وعليّ بن الحسن بن فضال، وفي ذلك دلالة على جلالته ومعروفيته،
معجم رجال الحديث ٥: ١٣٩ / ٣١٤٦.

● **عبد الله بن جبلة :**

- «فقيه مشهور، ومحدث ثقة عدّ من أصحاب الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام»
موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٩٧٦.

● **عبد الله بن بكير :**

- «أحد الفقهاء والمحدثين الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا
والأحكام، وكان كثير الرواية، ثقة في نقله للحديث، ممّن أجمعت الطائفة
على تصحيح ما يصحّ عنهم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥١٢.

● **زرارة بن أعين :**

- «من مشاهير رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفةً بالكلام وهو ممّن أجمعوا
على وثاقبتهم وجلالتهم - تقدّم».

ملاحظة :

الخدشة في جعفر بن محمد بن مالك لا تضرّ بصحة اعتماد الرواية ما دام
متها مطابقاً لمتون صحيحة الإسناد، وما دام له شواهد ومتابعات، هكذا قرّر رجال
الجرح والتعديل ونقاد الحديث وأئمّته.

روى الحديث نفسه أبو جعفر الصدوق في كمال الدين (٢: ٣٤٢ ب٢٣ / حديث

: (٢٤)

ورجال الإسناد كلهم ثقات ما عدا خالد بن نجيع ففيه كلام.

● **أبو جعفر الصدوق :**

- شيخ المحدثين المعروف.

● أحمد بن محمد بن يحيى العطار،

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحة حديثه».

○ سعد بن عبد الله،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات».

● أحمد بن محمد بن عيسى،

- «شيخ القميين ووجههم وفتيهم بلا مدافعة».

● عثمان بن عيسى،

- «من وكلاء الإمام الكاظم الثقات» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٠١٢.

● خالد بن نجيع،

- «في الكشي أنه من أهل الارتفاع إلا أن بعضهم عدّه ممدوحاً لأن للصدوق طريقاً إليه، منتهى المقال ٣ / ١٠٦٠».

● زرارة بن أعين،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات».

الرواية الرابعة والعشرون،

- عيون أخبار الرضا (ع) ٢: ٢٤٧ / حديث ٦:

● ● الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال:

«كأنّي بالشيعّة عند فقدم الثالث من ولدي، يطلبون المرعى فلا يجدونه، فقلت: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يغيّب عنهم، قلت: ولم ذاك؟ قال: لتلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا خرج».

رجال الإسناد ثقات:

- أبو جعفر الصدوق،
- رئيس المحدثين المعروف.
- محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني،
- «من مشايخ الصدوق أكثر من الرواية عنه مترضياً مترحماً وكناه بأبي العباس» منتهى المقال ٥ / ٢٣٩٥.
- أحمد بن محمد الهمداني،
- «استظهر في معجم رجال الحديث كونه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، وقال الطوسي: أمره [يعني ابن عقدة] في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر» الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٥٤٥، ٥٩٣.
- علي بن الحسن بن علي بن فضال،
- «من أجلة الفقهاء والمحدثين، ووجه من وجوههم، ثقة، عارف بالحديث، مسموع قوله فيه» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٠٢٢.
- الحسن بن علي بن فضال،
- «من فقهاء الشيعة المعروفين، محدث، ثقة، جليل القدر، صحب الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه، وكان خصيصاً به» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٨٧٥.

الرواية الخامسة والعشرون:

- كمال الدين ١: ١٥٢ ب ٦ / حديث ١٦:
- ● عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام يقول:
«في صاحب هذا الأمر أربع سنين من أربعة أنبياء - إلى أن قال - وأما من

عيسى فيقال: أنه مات ولم يمّت... .

رجال الإسناد كلهم ثقات،

وقد مرّ ذكرهم في أسانيد سابقة، ما خلا سليمان بن داوود [المنقري] ففيه كلام، إلا أنّ صاحب معجم رجال الحديث قد رجّح توثيق النجاشي حيث قال: «لا عبرة بتضعيفهم مع توثيق النجاشي» الموسوعة الرجالية الميسرة ١/ ٢٦١٢.

الرواية السادسة والعشرون:

- كمال الدين ٢: ٢٦٠ ب ٢٤ / حديث ٢:

⊙ عن عباس بن عامر القصباني قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر [الإمام الكاظم] عليه السلام يقول:
«صاحب هذا الأمر يقول الناس أنه لم يولد بعد».

رجال الإسناد ثقات إلا الخشاب فهو ممدوح،

⊙ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدّثين المعروف.

⊙ علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدّم في أسانيد كثيرة».

⊙ سعد بن عبد الله الأشعري،

- «من الفقهاء الأجلّاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

⊙ الحسن بن موسى الخشاب،

- «من فقهاء الإمامية المعروفين المشهورين، وقال في الوجيزة: ممدوح، موسوعة

طبقات الفقهاء ٢ / ٨٨٤، منتهى المقال ٢ / ٨٢١.

○ العباس بن عامر القصباني،

- «شيخ محدث، ثقة صدوق، كثير الحديث» موسوعة طبقات الفقهاء،
٢ / ٩٥٢.

الرواية السابعة والعشرون،

- غيبة النعماني ١٧٣ / حديث ٨:

● ● عن محمد بن مسلم الثقفي، عن الباقر أبي جعفر عليه السلام أنه سمعه
يقول:

«بِإِنِّ لِلْقَائِمِ غَيْبَتَيْنِ يُقَالُ لَهُ فِي إِحْدَاهُمَا هَلْكَ، وَلَا يُدْرَى فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكَ.»

- المتن في هذه الرواية مطابق للمتون الأخرى ذات الأسانيد الصحيحة، فلا
يضر وجود بعض المجاهيل في إسنادها، فهذا الضعف مجبوراً كما قرّر ذلك
نقاد الحديث وأئمته.

الرواية الثامنة والعشرون،

- الكافي ١: ٢٢٩ ب ١٢٨ / حديث ١٢:

● ● عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال:

- «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ يَشْهَدُ فِي إِحْدَاهُمَا الْمَوَاسِمَ يَرَى النَّاسَ وَلَا يَرَوْنَهُ.»

المتن له شواهد كثيرة في روايات أخرى صحيحة، فلا تضر الخدشة في إسناد
هذه الرواية.

الرواية التاسعة والعشرون

- كمال الدين ٢: ٢٩٠ ب ٢٨ / حديث ٤:

«عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول - في حديث له عن الخضر عليه السلام جاء فيه: «وَسَيُؤْنَسُ اللَّهُ بِهِ وَحْشَةً قَائِمَةً فِي غَيْبَتِهِ وَيَصِلُ بِهِ وَحَدَّثَهُ». رجال الإسناد بين ثقات وممدوحين:

⊙ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

⊙ المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي،

- «من مشايخ الصدوق، ترصّى عليه في المشيخة، وذكره في العيون، روى عنه التلعكبري كتب العياشي، الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / ٥٧٩٠.

⊙ جعفر بن محمد بن مسعود،

- «فاضل ممدوح» منتهى المقال ٢ / ٥٩٥.

⊙ محمد بن مسعود العياشي،

- «من كبار فقهاء الشيعة الإمامية، ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة». موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٦٤٤، الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / ٥٥٧٩.

⊙ جعفر بن أحمد بن أيوب،

- «محدث صحيح الحديث والمذهب متكلم» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٨٤٦.

⊙ الحسن بن علي بن فضال،

- «من فقهاء الشيعة الأجلاء الثقات - تقدّم».

الرواية الثلاثون:

- كمال الدين ١: ٣٠٢ ب ٢٧ / حديث ١١

◉◉ عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام عن
أبائه عن علي عليه السلام أنه قال في خطبة له على منبر الكوفة:
«اللهم إنه لا بُدَّ لأرضك من حجة لك على خلقك، يهديهم إلى دينك، ويعلمهم
علمك، لئلا تبطل حجَّتُك، ولا يضلَّ أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إِمَّا
ظاهراً لئس بالمطاع، أو مُكْتَمَ مُتْرَقِبٍ إِذَا غَابَ عَنِ النَّاسِ شَخْصُهُ فِي حَالِ
هُدَايَتِهِمْ فَإِنَّ عِلْمَهُ وَأَدَابَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مُثَبَّتَةٌ فَهَمَّ بِهَا عَامِلُونَ».

رجال الإسناد ثقات:

◉ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

◉ علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدّم».

◉ سعد بن عبد الله الأشعري،

- «من الفقهاء الأجلّاء الثقات».

◉ هارون بن مسلم الكاتب،

- «محدث، ثقة، وجه، صاحب تصانيف» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٢٠٠.

◉ سعدان بن مسلم،

- «شيخ كبير القدر، جليل المنزلة، له أصل، روى عنه جماعة من الثقات

والأعيان كصفوان، وروى عنه ابن أبي عمير بسند صحيح في الكافي (١ /

١٧٨) «الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / ٢٤٨٠».

○ مسعدة بن صدقة :

- في تعليقه الوحيد البهبهاني (٣٣٣): قال جدي: الذي يظهر من أخباره في الكتب أنه ثقة. لأن جميع ما يرويه في غاية المتانة موافق لما يرويه الثقات. ولهذا عملت الطائفة بما رواه، بل لو تتبعته وجدت أخباره أسد وأمتن من أخبار مثل جميل بن دراج وحريز بن عبد الله. منتهى المقال ٦ / ٢٩٦٧.

الرواية الواحدة والثلاثون:

- كمال الدين ٢: ٢٧٦ ب ٣٥ / حديث ٧:

●● عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال:

«أنا صاحب هذا الأمر. ولكني لست بالذي أملاًها عدلاً كما ملئت جوراً - إلي أن قال: - ذلك الرابع من ولدي، يغيبه الله في ستره ما شاء. ثم يظهره فيملاً [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

رجال الإسناد ثقات:

● أبو جعفر الصدوق:

- شيخ المحدثين المعروف.

● أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني:

- «من مشايخ الصدوق قال عنه: كان رجلاً ثقة ديناً صالحاً - تقدم».

● علي بن إبراهيم:

- «من أعلام الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدم».

○ إبراهيم بن هاشم،

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدّم».

○ الريان بن الصلت:

- «محدث فقيه، ثقة، صدوق، موسوعة طبقات الفقهاء، ٢/ ٩١٧».

الرواية الثانية والثلاثون،

- كمال الدين ٢: ٢٦٨، ٢٦٩ ب/ ٢٤ / حديث ٦:

○ عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وَأَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» فقال عليه السلام:

«النَّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ الْإِمَامُ الظَّاهِرُ، وَالْبَاطِنَةُ الْإِمَامُ الْغَائِبُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَيَكُونُ فِي الْأَثْمَةِ مِنْ يَغِيبُ؟»

قال: نعم، يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ شَخْصُهُ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُمَا يُسَهِّلُ اللَّهُ لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ، وَيُذَلِّلُ لَهُ كُلَّ صَعْبٍ، وَيُظَهِّرُ لَهُ كُلَّ كُنُوزِ الْأَرْضِ - إلى آخر الحديث».

رجال الإسناد ثقات،

○ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

○ أحمد بن زياد الهمداني،

- «ثقة دين صالح - تقدّم».

● علي بن إبراهيم :

- «من أعلام الفقهاء الثقات - تقدم».

● إبراهيم بن هاشم :

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين - تقدم».

● أبو أحمد بن زياد الأزدي [محمد بن أبي عمير] :

- «من أوثق الناس وأورعهم وأعبدتهم - تقدم في أسانيد كثيرة».

الرواية الثالثة والثلاثون :

- كمال الدين ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ب ٢٦ / حديث ١ :

● ● عن الأصبغ بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوجدته متفكراً ينكت في الأرض فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض أرغبت فيها؟

فقال: «لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، ولكن فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي هو المهدي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبية، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون - إلى آخره».

رجال الإسناد ثقات إلا الجهتي فهو ممدوح وكذلك الأصبغ.

● أبو جعفر الصدوق :

- شيخ المحدّثين المعروف.

● (١) علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق :

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم».

② (٢) محمد بن الحسن بن الوليد،

- «من الفقهاء الأعظم - تقدم».

- قال: حدثنا

② (١) سعد بن عبد الله،

- «من فقهاء الطائفة الأجلاء الثقات».

② (٢) عبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات».

② (٣) محمد بن يحيى العطار،

- «أحد أعلام الفقهاء الثقات».

② (٤) أحمد بن إدريس،

- «من كبار فقهاء الشيعة، وثقات محدثيهم، وأحد مشايخ الكليني» موسوعة

طبقات الفقهاء ٤/ ١٢٥١.

جميعاً عن:

② (١) محمد بن الحسين بن أبي الخطاب،

- «ثقة عين جليل القدر... تقدم في أسانيد كثيرة».

② (٢) أحمد بن محمد بن عيسى،

- «شيخ القميين وفقههم الثقة».

② (٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي،

- «أحد كبار الفقهاء الثقات - تقدم».

○ (٤) إبراهيم بن هاشم،

- «من شيوخ الإجازة المعتمدين».

- جميعاً عن:

○ الحسن بن علي بن فضال،

- «من فقهاء الشيعة الأجلاء الثقات - تقدم».

○ ثعلبة بن ميمون،

- «أحد وجوه الشيعة، قارئ، فقيه، ثقة، كثير العبادة. موسوعة طبقات الفقهاء

.٢٣٦ / ٢

● مالك الجهني،

- «وردت أحاديث يُستفاد منها حسن حاله ومكانته عند الإمامين الباقر

والصّادق عليهما السلام». موسوعة طبقات الفقهاء ٦١٧ / ٢.

● الحارث بن المغيرة النصرى،

- «قال عنه النجاشي: ثقة ثقة، رجال النجاشي ج ١: ٢٢٢ / ٢٥٩.

- وعن موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٢٤٩: «العالم الجليل أبو علي النصرى...»

وكان جليل القدر، كبير الشأن، رفيع المنزلة، شهدت بذلك عدّة روايات».

● الأصبغ بن نباته،

- «من كبار التابعين، كان شيخاً ناسكاً عابداً من خواص أصحاب أمير

المؤمنين عليه السلام». موسوعة طبقات الفقهاء ١ / ١٠٠.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الثاني:

الإشكال العقلي

«استحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل»

الإشكالية الثالثة - الإشكال الثاني:

نقد الإشكال العقلي

تتشكّل «الاستحالة العقلية» من خلال وجود ما يُسمّى بـ «التناقض»، فهل أنّ افتراض بقاء الإنسان هذا العمر الطويل يستبطن وجود هذا «التناقض»؟

القائلون بالاستحالة العقلية في هذا المقام يدعون أنّ هذا الافتراض يختزن في داخله بالفعل حالاً من «التناقض».

فما مدى صحّة هذه الدعوى منطقياً؟

إنّ معالجة الدعوى المذكورة تفرض أن نحدّد معنى «التناقض» من وجهة النظر المنطقي.

تعريف التناقض في الاصطلاح المنطقي،

يمكن أن نستعين بمثال توضيحي لإعطاء تعريف مبسّط للتناقض المنطقي.

إذا طرحنا هاتين القضيتين،

- الإنسان مخلوق.

- الإنسان غير مخلوق.

فهل تصدقان معاً؟

وهل تكذبان معاً؟

لا يمكن ذلك في الحالين، بل الصحيح أنّ إحدى القضيتين صادقة، والأخرى كاذبة، وهذا الاختلاف في القضيتين - صدقاً وكذباً - يُسمّى «التناقض».

ولكنّ هذا التناقض لا يتحقّق بين القضيتين إلا إذا توفّر ما يُسمّى بـ «شروط

التناقض».

وتتمثل في:

أولاً، اتحاد القضيتين في الوحدات التالية،

- ١- الموضوع.
- ٢- المحمول.
- ٣- الزمان.
- ٤- المكان.
- ٥- القوة والفعل.
- ٦- الكلّ والجزء.
- ٧- الشرط.
- ٨- الإضافة.

ثانياً، اختلاف القضيتين في الوحدات التالية،

- ١- الكم
- ٢- الكيف
- ٣- الجهة

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرّف التناقض كما يلي،

«اختلاف في القضيتين يقتضي لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة»^(١).

وفي ضوء هذا التعريف المنطقي للتناقض، نسأل مرة أخرى: هل أنّ افتراض بقاء الإنسان آلاف السنين يُنتج «تناقضاً»؟

إذا كان الأمر كذلك، فهذا الافتراض مستحيل منطقيًا وفلسفيًا.

ولكنّ المسألة - من الواضح - أنّها ليست كذلك.

فمن خلال الافتراض المذكور لا تتشكّل قضيتان متناقضتان.

يمكن أن يدعى أنّ هذا الافتراض ينتج تناقضاً وذلك بصوغ القضيتين على

النحو التالي:

- الإنسان يمكن أن يعيش آلاف السنين.

- الإنسان لا يمكن أن يعيش آلاف السنين.

هاتان القضيتان متناقضتان، فهما لا تصدقان معاً، ولا تكذبان معاً.

فإذا كانت القضية الثانية صادقة كما هو الواقع، فإنّ القضية الأولى وهي التي

تفترض «إمكان بقاء الإنسان آلاف السنين» تكون قضية كاذبة.

وبالتالي «فعمقيدة بقاء المهديّ آلاف السنين» عمقيدة باطلة عقلاً وهو المطلوب

إثباته.

إلا أنّ هذا الاستدلال يحمل خللاً واضحاً.

ولتوضيح ذلك نقول،

- الإنسان لا يمكن أن يعيش آلاف السنين.

(وذلك ضمن الظروف الطبيعية العادية).

- الإنسان يمكن أن يعيش آلاف السنين.

(وذلك ضمن الظروف الاستثنائية غير العادية كما إذا اقتضت الحكمة

الربانية ذلك).

لا نجد تناقضاً بين القضيتين.

ولعلّ المفارقة التي أوقعت هؤلاء في شبهة «التناقض» أنهم لم يفرّقوا بين ثلاثة

أنواع من «الإمكان».

- ١- الإمكان العملي.
- ٢- الإمكان العلمي.
- ٣- الإمكان المنطقي (أو الفلسفي).

وقد عالج الشهيد السيد محمد باقر الصدر هذه المسألة في (بحثه حول المهدي) معالجة علمية دقيقة، فأعطى تعريفاً واضحاً مبسطاً لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة.

فالإمكان العملي - كما أوضحه - هو «أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك أو لأي إنسان آخر فعلاً أن يحققه، فالسفر عبر المحيط والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً، فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر»^(١).

والإمكان العلمي هو ما لا يتوفر لدى العلم أي مبرر لرفضه، وإن كانت وسائله المتيسرة عاجزة بالفعل عن تحقيقه «فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، فالصعود إلى كوكب الزهرة ممكن علمياً، وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً»^(٢).

والإمكان المنطقي أو الفلسفي «أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبليّة - أي سابقة على التجربة - ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته، فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأن العقل يدرك - قبل أن يمارس أي تجربة - أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي [وبدون كسر] لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي ص ٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٦.

نقد الإشكال العقلي، استحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل. ١٣٧

فردًا وزوجًا في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيلٌ منطقيًا، ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلًا من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة وإنما هو مخالف للتجربة...^(١).

وهنا يمكن أن نخضع مسألة «امتداد عمر الإنسان آلاف السنين، إلى حالات الإمكان الثلاث،

أولاً، الإمكان المنطقي أو الفلسفي،

امتداد عمر الإنسان آلاف السنين أمرٌ «ممكن منطقيًا وفلسفيًا» لأن ذلك ليس مرفوضًا من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض.

ثانيًا، الإمكان العملي،

وأما من الناحية العملية المألوفة، فامتداد عمر الإنسان آلاف السنين ليس ميسورًا وممكنًا على نحو الإمكانيات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، كون العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة لم يوفر للإنسان هذه القدرة العملية.

ثالثًا، الإمكان العلمي،

وأما من الناحية العلمية النظرية فلا يوجد ما يبزر رفض «إمكانية امتداد عمر الإنسان آلاف السنين»^(٢).

ولنا معالجة تفصيلية لهذا الجانب الأخير حينما يتناول البحث «الإشكال

الثالث - الإشكال العلمي».

وفي ضوء هذا الطرح يمكن أن نخلص إلى النتيجة التالية :

إنّ الإيمان ببقاء «الإمام المهدي» هذا العمر الطويل لا يواجه أيّ صعوبة «عقلية» ما دام طول العمر من الأمور الممكنة منطقيًا وفلسفيًا، وإن كان ذلك لا زال في دائرة «عدم الإمكان العملي».

وربما اختلط الأمر لدى أولئك المعترضين من وجهة النظر العقلية، فلم يميّزوا بين «الإمكان المنطقي» و«الإمكان العملي» فأصدروا حكمهم باستحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل، كون ذلك غير ممكن عمليًا..

ولم يلتفتوا أنّ ذلك لا يُشكل «استحالة عقلية» ولا «استحالة علمية».

وإذا كان هذا الامتداد في «عمر الإمام المهدي» يبدو غريبًا في حدود الواقع المألوف في حياة الناس وفي حدود منجزات العلم المعاصرة، إلا أنه لا غرابة في ذلك ضمن «الإرادة الإلهية» التي صمّمت عمر «هذا القائد» المدّ من قِبَل الله تعالى لممارسة الدور التغييريّ الكبير في العالم.

كما أنّ الدور الكبير - نفسه - المناط أدائه بهذا «القائد» أمرٌ غير مألوف في حركة التاريخ، وأكثر غرابة من مسألة العمر الطويل في حياة الإنسان.

وليس من الصدفة - كما يقول السيد الصدر - : «أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد، وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافًا مضاعفة، أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح الذي نصّ القرآن الكريم على أنّه مكث في قومه ألف عامٍ إلا خمسين سنة^(١)، وقُدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد..

(١) المنكبوت: ١٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

والآخر يُمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهديّ الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام، وسيُقدَّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد. فلماذا تقبل نوحًا الذي ناهز ألف عام على أقلِّ تقدير، ولا تقبل المهديّ؟^(١).

إنَّ امتداد العمر لوليِّ الله الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام المنصوصين هو جزءٌ من المخطَّط الربانيّ في سياق الإعداد ليوم الظهور الأكبر، حيث تنتظر البشرية ذلك اليوم الذي تنطلق فيه حركة الإصلاح الكبرى في العالم «بملا الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلماً وجورًا».

ولعلنا نقرأ في الأخبار الصادرة عن المعصومين عليهم السلام ما يُشير إلى أنَّ الغيبة والتعمير، في حياة الإمام المهديّ عليه السلام يحملان من الحكم والمصالح والأسرار التي تعجز العقول عن إدراكها، وربما أوضحت الأخبار بعض هذه الأسرار.

اقرأ هذه الروايات،

١- عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال:
«صاحبُ هذا الأمرِ تغيَّبُ ولادتهُ عن هذا الخلقِ، كي لا يكونَ لأحدٍ في عنقه بيعةٌ إذا خرَّجَ، ويصلحُ الله أمره في ليلة»^(١).

٢- عن سعيد بن جبير قال: قال علي بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام:
«القائمُ منَّا تخفى ولادتهُ على الناسِ حتى يقولوا: لم يولد بعدُ ليخرُج حينَ يخرُجُ وليس لأحدٍ في عنقه بيعة»^(٢).

٣- عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال:

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٨٠ ب ٤٤ / حديث ٥.

(٣) كمال الدين ١: ٢٢٢، ٢٢٣ ب ٢١ / حديث ٦.

«يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة»^(١).

٤- عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال:
«يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عهد ولا عقد ولا بيعة»^(٢).

٥- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
«صاحب هذا الأمر ليس لأحد في عنقه عهد ولا عقد ولا بيعة»^(٣).

٦- عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام
يقول:

«إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل.
فقلت: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.
قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يا ابن الفضل: إن هذا الأمر أمر من [أمر] الله تعالى، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله ومتى علمنا أن الله عز وجل حكيم، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»^(٤).

٧- عن إسحاق بن يعقوب عن صاحب الزمان صلوات الله عليه في آخر التوقيع الوارد في جواب كتابه الذي سأل محمد بن عثمان العمري أن يوصله إليه عجل

(١) غيبة النعماني ١٩١ ب ١٠ / حديث ٤٥.

(٢) الكليني: الكافي ١: ٣٤٢ كتاب الحجّة باب في الغيبة.

(٣) المسعودي: إثبات الوصية ٢٢٣.

(٤) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٨١ - ٤٨٢ ب ٤٤ / ح ١١.

الله فرجه:

«أما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: هِيَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ»^(١) إنه لم يكن لأحد من آبائي عليه السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، واني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتني فكان الانتفاع بالشمس إذا غيبت عن الأبصار السحاب، واني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا باب السؤال عما لا يعنيكم ولا تكلفوا علم ما قد كُفيتم، وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرَج، فإن ذلك فرَجكم...»^(٢).

٨- عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «كأنني بالشبيعة عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم. فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف»^(٣).

ملاحظة ،

حينما يعالج البحث «إشكالية الغيبة» يأتي الحديث عن مزيد من الأخبار والروايات.

لماذا هذه الكثافة من الروايات؟

إن ظاهرة «الغيبة وطول العمر» من الأمور غير المألوفة؛ مما فرض وجود كثافة من الروايات التي تعالج هذا الأمر وتهيئ الذهنيات لقبوله واستيعابه، وكون الشيء غير مألوف لا يُشكّل استحالة عقلية كما أوضحنا ذلك.

(١) المائدة: آية ١٠١.

(٢) كمال الدين ٢: ٤٨٣ - ٤٨٥ ب ٤٥ / حديث ٤.

(٣) الصدوق: عمود أخبار الرضا ١: ٢٧٢ ب ٢٨ / ح ٦.

ولعل في الروايات ما يشير إلى مواجهة حالات الإنكار المحتملة .

- عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام يقول: «إِنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِكُمْ غَيْبَةً فَلَا تُنْكِرُوهَا»^(١).
- وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام يقول: «إِنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً فَلَا تُنْكِرُوهَا»^(٢).
- عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] يقول: «فِي الْقَائِمِ سُنَّةٌ مِنْ يَوْسُفَ، قُلْتُ: كَأَنَّكَ تَذْكُرُ حِيرَةَ أَوْ غَيْبَةَ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَرَّ حُجَّتَهُ»^(٣).
- عن صفوان بن مهران الجمال قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «أما والله ليغيبن عنكم مهديكم حتى يقول الجاهل منكم: ما لله في آل محمد حاجة، ثم يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤).
- عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَنْكَرَ الْقَائِمَ مِنْ وَلَدِي فَقَدْ أَنْكَرَنِي»^(٥).

(١) الكليني: الكافي ١: ٢٤٠ / ح ١٥.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٢٨ / ح ١٠.

(٣) الصدوق: كمال الدين ٢: ٢٤١ ب ٢٢ / ح ٢١.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٢٤١ ب ٢٢ / حديث ٢٢.

(٥) المصدر نفسه ٢: ٤١٢ ب ٢٩ / حديث ٨.

⑤ وعنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
 «مَنْ أَنْكَرَ الْقَائِمَ مِنْ وَلَدِي فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).
 عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام
 يقول:

«إِنَّ لَصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً لَا بَدَّ مِنْهَا، يَرْتَابُ فِيهَا كُلُّ مُبْطِلٍ...»^(٢).

⑥ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«إِنَّ ابْنِي هُوَ الْقَائِمُ مِنْ بَعْدِي، وَهُوَ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ سُنَنُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام
 بِالْتَمَعِيرِ وَالغَيْبَةِ حَتَّى تَقْسُو قُلُوبَ لَطُولِ الْأَمَدِ، فَلَا يَثْبُتُ عَلَى الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ
 كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ»^(٣).

⑦ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«مَا تُتَكْرَمُونَ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ لَصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ فِي الْعَمْرِ كَمَا مَدَّ لِنُوحٍ عليه السلام فِي
 الْعُمُرِ»^(٤).

(١) المصدر نفسه ٢: ٤١٢ ب ٢٩ / حديث ١٢.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٤٨١ ب ٤٤ / حديث ١١.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٥٢٤ ب ١٦ / حديث ٤.

(٤) الطوسي: النبهة ٤٢١ / حديث ٤٠٠.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الثالث:**الإشكال العلمي**

«افتراض هذا العمر الطويل افتراض غير علمي»

الإشكالية الثالثة - الإشكال الثالث:

نقد الإشكال العلمي
«من خلال مجموعة ملاحظات»

الملاحظة الأولى:

صحيح أنّ العلم - بوسائله الميسورة - لا زال غير قادرٍ على إعطاء الحياة هذا الامتداد الطويل، إلاّ أنّه ليس في معطياته ما يبرّر رفض هذا الافتراض.

فمن الناحية العلميّة لا نجد أيّ صعوبة في تبنيّ الفكرة، فلا يوجد حتى الآن أيّ مقولةٍ علميّةٍ تدّعي استحالة بقاء الإنسان حيّاً لمُدّةٍ طويلةٍ تتجاوز العمر المألوف.

وربّما نجد محاولاتٍ علميّةٍ تتجه لإثبات إمكانية أن يعيش الإنسان لمُدّةٍ أطول من العمر المألوف، وهذه المحاولات - ومن خلال التجارب التي أجريت على قسم من الخلايا الحيوانيّة - استطاعت أن تصل إلى فرضيّةٍ علميّةٍ تقول بإمكانية أن يتوفّر الإنسان على عمرٍ طويل، إذا أمكن أن يُوفّر لنفسه مواصفاتٍ موضوعيّةٍ تحميه من المؤثرات الخارجيّة.

وقد أكّد عددٌ كبيرٌ من العلماء بأنّ امتداد عمر الإنسان بشكلٍ يتجاوز كثيراً الأعمار المألوفة، أمرٌ غير مستحيلٍ من وجهة نظر العلم.

١- يقول هاتس سلي وانجل هارت (مديراً قسم البيئّة في أكاديمية العلوم السوفيتيّة): «إنّ أمل البشريّة في إطالة العمر اقترب من مرحلة التحقق»^(١).

٢- قال البرفسور الفرنسي شبس في كتابه (الأمل بحياة طويلة): «يستطيع الإنسان بالاستفادة من مواهبه الطبيعيّة، وقدراته التمدنيّة أن يعيش حياة أطول، وأكثر فعالية، ويؤخّر الشيخوخة سنوات أطول»^(٢).

(١) صحيفة اطلاعات الإبرانيّة، العدد ١٢٦٢١ سنة ١٣١٧ هـ، ش [على ما في (عمر المهدي بين العلم والأديان) لعلي أكبر مهدي بور ص ١٣، تعريب السيد باسم الهاشمي].

(٢) المصدر السابق، العدد ١١٧٢١، سنة ١٣٤٤ هـ، ش [على ما في عمر المهدي لعلي أكبر ص ١٤].

٣- قال الدكتور كليورد هاورز الأمريكي: «استطاع الطب أن يرفع القيود والحدود المانعة من طول عمر الإنسان بمساعدة علم التغذية، ونستطيع في هذا اليوم أن نكون أمّلين بعمرٍ طويلٍ، خلافاً لما كان عليه آباؤنا وأجدادنا»^(١).

٤- قال البرفسور إتينكر أحد المهتمين والمتخصّصين بعلم (الكريونيك = انجماد بدن الإنسان): «أعتقد أنّ التقدّم التكنيكي الذي قمنا به في (عملية انجماد بدن الإنسان) سيُمكن البشرية في القرن الواحد والعشرين من أن تعيش آلاف السنين»^(٢).

٥- كتب أحد الأطباء الانكليز: «لقد استطاع بعض العلماء أن يطيل عمر حشرة من حشرات الفواكه إلى تسعمائة ضعف من عمرها الحالي، وعلى هذا يبدو أنّنا نستطيع أن نُضاعف عمر الإنسان الطبيعي الذي هو ثمانين عاماً إلى اثنتين وسبعين ألف سنة»^(٣).

٦- ذكرت مجلة المقتطف في أحد أعدادها (ج ٣ مج ٥٩) تحت عنوان (هل يخلد الإنسان في الدنيا) هذه الفقرة: «لكنّ العلماء الموثوقين يقولون إنّ كلّ الأنسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له، وأنّه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل هو نتيجة علمية مؤيَّدة بالامتحان».

٧- جاء في كتاب (في انتظار الإمام) للعلامة الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي قوله: «إنّ جماعة من العلماء المحدثين أمثال: الدكتور ألكس كارل، والدكتور جاك لوب، والدكتور ورن لويس، وزوجته، وغيرهم قاموا بإجراء عدّة تجارب في معهد (روكفلر) بنيويورك على أجزاء مختلفة من النبات والحيوان

(١) الطريق نحو حياة جديدة ص ١٤ [كما عن عليّ أكبر مهدي بور في كتابه (عمر المهدي) ص ١٤].

(٢) مجلة دانشمند الإيرانية، السنة ٦، العدد ٦، الصفحة ١٤٧ [كما عن عليّ أكبر مهدي بور في (عمر المهدي) ص ١٤].

(٣) مجلة الهلال، آذار ١٩٣٠، العدد ٥، الصفحة ٦٠٧ [كما عن (عمر المهدي) ص ١٤، ١٥].

والإنسان، وكان من بين تلكم التجارب ما أُجريت على قطع من أعصاب الإنسان وعضلاته وقلبه وجلده وكلبته، فرُوي أنّ هذه الأجزاء تبقى حياة نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها، وما دامت لم يعرض لها عارضٌ خارجي، وأن خلايا تنمو وتتكاثر وفق ما يُقدّم لها من غذاء.

وأكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية أنّ الإنسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة إذا ما خدّر مثل بعض الحيوانات^(١).

فهذه المقولات وإن كانت لا زالت «فرضيات» إلا أنّها تُشكّل دعماً إلى حد ما لفكرة (بقاء الإمام المهديّ) حيّاً هذا العمر الطويل، ويكفي أن تُلغى هذه المقولات دعوى التناهي بين الفكرة والعلم الحديث.

الملاحظة الثانية :

يمكن أن نُعطي لمسألة امتداد عمر الإنسان قبولاً علمياً إذا حاولنا أن نفهم «التفسير الفلسفي» لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان.

هناك احتمالان في تفسير هذه الظاهرة - حسب ما أورد ذلك الشهيد الصدر في بحثه حول الإمام المهديّ -:

الاحتمال الأول :

يعتبر ظاهرة الشيخوخة قانوناً طبيعياً «يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموها أن تتصلّب بالتدريج، وتُصبح أقلّ كفاءة للاستمرار في العمل إلى أن تتعطل في لحظة معينة حتى لو عزلناها عن تأثير أيّ عامل خارجي»^(٢).

(١) الفضلي: في انتظار الإمام ص ٥٥.

(٢) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ ص ٦٧.

الاحتمال الثاني،

يُعتبرُ ظاهرة الشيخوخة خاضعة للعوامل الخارجية فهذا «التصلب وهذا التناقض في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسميّة للقيام بأدوارها الفسيولوجيّة نتيجة صراع مع عوامل خارجيّة كالميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاءٍ مكثّفٍ أو ما يقوم به من عملٍ مكثّفٍ أو أيّ عاملٍ آخر»^(١).

كتب الدكتور كيلورد هاورز الألماني يقول،

«إنّي أعتقد أنّ الشيخوخة تبدأ من كفيّة التغذية وقد أقام العلماء في كافّة أنحاء العالم آلاف الأدلّة المحكّمة يُثبتون من خلالها أنّ طول عمر الإنسان يرتبط بالتغذية، وخلصوا إلى القول: إنّ منبع قوّة الشباب مرتبطٌ بتغذيةٍ جيّدةٍ أو بغذاءٍ كامل»^(٢).

ويقول العالم الروسي إيليا ميغيتيكوف،

«يتولّد يومياً حوالي (١٣٠ تريليون) مكروب في الإنسان، إلا أنّ معظمها لا يضرّ بالبدن، وبعضها يكون ساماً فتقوم بتسميم البدن بالسّموم التي تنتجها، ويحتمل أنّها هي التي تؤثّر على شيخوخة الخلايا والأنسجة الحيّة في بدن الإنسان»^(٣).

في ضوء هذين الاحتمالين،

إذا أخذنا بوجهة النظر العلميّة الثانية في تفسير ظاهرة الشيخوخة «فهذا يعني أنّ بالإمكان نظريّاً، إذا عُرّلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن تلك المؤثّرات المعيّنة أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة، وتتغلّب عليها نهائيّاً»^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٢) جواز سفر نحو حياة جيّدة [على ما ذكر مهدي بورلي (عمر المهديّ) ص ٢٦، ٢٧].

(٣) مجلة دانشمند الإبرانيّة. السّنة ٦. العدد ١. الصفحة ١٤٤ [على ما ذكر مهدي بورلي (عمر المهديّ) ص ٢٨].

(٤) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ، ص ٦٨.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأولى، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرّن، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية، ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى أنّ الرجل قد يكون طاعناً في السن، ولكنّه يملك أعضاء ليّنة ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء.

بل إنّ العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة على أعمارها الطبيعية، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعلية قانون الشيخوخة...^(١).

ووفق هذا الاتجاه تتحرّك في مختلف أنحاء العالم نشاطات علمية مكثفة لمكافحة ظاهرة الشيخوخة.

يقول الدكتور فورونوف،

«لقد أجريت (٦٠٠) اختبار ناجح، ويمكنني أن أعلن بقاطعية أنّ بالإمكان في المستقبل القريب تجديد قوى كبار السن، والقضاء على إنحناء قاماتهم، وتأخير مرحلة الشيخوخة، وإطالة فترة قوّة وشباب الإنسان، وسيكون بالإمكان تغيير صفاته وعاداته أيضاً»^(٢).

ونشير هنا إلى مجموعة دراسات وأبحاث صادرة عن علماء متخصصين في شؤون البيئة، تناولت موضوع (إطالة العمر) ومسألة (الشيخوخة) كما وردت في البحث القيم (عمر المهدي بين العلم والأديان)^(٣):

١- (نحو حياة جديدة) للبروفسور شيس الفرنسي.

(١) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٢) تفسير الطنطاوي ١٧: ٢٢٠ (على ما في عمر المهدي ص ٢١).

(٣) علي أكبر مهدي بور: عمر المهدي بين العلم والأديان ص ٤٤.

- ٢- (الخلود) لنواتان دارينك.
- ٣- (علم إطالة العمر) لكوفلاندروسي.
- ٤- (إطالة العمر) لبارفين نيكاليجف.
- ٥- (الخلود) للبروفسور اتينكر.
- ٦- (طول عمر الحيوانات والنباتات والناس) لتارخانف.
- ٧- (عمر طويل) للبروفسور يلي بلز.
- ٨- (العمر الطويل) للدكتور س بير الفرنسي.
- ٩- (فن طول العمر) لهوفلندر.
- ١٠- (جواز سفر نحو حياة جديدة) للدكتور هاووزر الألماني.

الملاحظة الثالثة :

على أساس ما تقدّم من الملاحظتين الأولى والثانية اتضح «أن العلم من الناحية النظرية، وبقدر ما تُشير إليه اتجاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

«ويتلخّص من ذلك: إن طول عمر الإنسان وبقاءه قرونًا متعدّدة أمر ممكن منطقيًا، وممكن علميًا، ولكنه لا يزال غير ممكن عمليًا، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل»^(١).

وفي ضوء هذه النتيجة: لا نجد أي صعوبة علمية تواجه فكرة «الإمام المهدي» في غيبته وامتداد عمره، كما يدّعي الإشكالي الثالث فيما أشاره من أن افتراض هذا العمر الطويل افتراض غير علمي.

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي ص ٦٩.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الرابع:

الإشكال العقيدي

«افتراض العمر الطويل يتنافى مع الثابت العقيدي»

من الثوابت العقيدية «حتمية الموت» و«حتمية الأجل» و«نفي الخلود».

وهذا ما أكدته نصوص صريحة في القرآن:

- ① ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ . (آل عمران: ١٨٥)
- ② ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ . (النساء: ٧٨)
- ③ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ . (ق: ١٩)
- ④ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ . (الواقعة: ٦٠)
- ⑤ ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ . (الجمعة: ٨)
- ⑥ ﴿وَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ . (الزمر: ٣٠)
- ⑦ ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ . (المتافون: ١١)
- ⑧ ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ . (يونس: ١١)
- ⑨ ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ . (الزمر: ١٢)
- ⑩ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَقْبَانَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ . (الأنبياء: ٢٤)

في ضوء هذه الثوابت العقيدية لا نجد مبرراً لتشكل «عقيدة البقاء والامتداد» كما هي عقيدة المهدي عند الشيعة، استناداً إلى مقولات صادرة ممن لا يؤمن بالله تعالى، كما أن (الشيخوخة) قانون إلهي صارم لا يمكن إغاؤه أو التحكم فيه، كما تدعي تلك المقولات الباطلة والأفكار الموهومة التي تتنافى مع «المسلّمات القرآنية» و«الثوابت الدينية».

- ① ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ . (يس: ٦٨)
- ② ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ . (النحل: ٧٠)

الإشكالية الثالثة - الإشكال الرابع:

**نقد الإشكال العقيدي
«من خلال مجموعة ملاحظات»**

الملاحظة الأولى،

إنَّ الفرضية المذكورة - فرضية العمر الطويل - لا تُشكّل تنافياً مع النصوص القرآنية التي تتحدّث عن (الموت والأجل)، لأنّ (حتمية الموت) كما هو الثابت في المنظور القرآني لا تنفي (إمكانية البقاء) وامتداد الحياة المحكوم في النهاية (لقانون الموت).

والمقولات العلمية التي تتحدّث عن (إمكانية البقاء والخلود) لا تقصد المعنى الواقعي لهاتين الكلمتين، فليس في ما ثبت من تلك المقولات ما يتحدّث عن «العمر اللامحدود»، فمن الممكن أن تدعي مقولات العلماء «إمكانية امتداد العمر طويلاً، ولكن ليس إلى ما لا نهاية في الزمن.

ثمَّ إنَّ المسألة في ما هو الاعتقاد ببقاء الإمام المهديّ، ليس إنكاراً (لحتمية الموت) ليكون (النقض) في ما ساقه هؤلاء المشكّكون من الاستشهاد بآيات «الموت والأجل ونفي الخلود».

الملاحظة الثانية،

لا جدل في أنّ (الأجل) من المسلّمات الإيمانية، إلا أنّ الرؤية - المفهومية - لفكرة الأجل لا زالت في حاجة إلى الكثير من الإيضاح، وربما يُقال بأنّ (الأجل) خاضع لشروط موضوعية، وألفه كيف نفهم الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أنّ بعض الأعمال لها تأثيراتها في إطالة العمر ونقصانه.

ومن هذه الأعمال،

١ - الصدقة وأعمال البر،

• قال النبي صلى الله عليه وآله:

«تَصَدَّقُوا وَذَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْرَاضِ وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي أَعْمَالِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ»^(١).

• وقال صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدْفَعُ بِالصَّدَقَةِ الدَّاءُ وَالذَّبْيَلَةُ^(٢) وَالْحَرَقُ وَالْفَرْقُ وَالْهَدْمُ وَالْجُنُونُ، - وَعَدَّ صلى الله عليه وآله - سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ»^(٣).

• قال الإمام الباقر عليه السلام:

«الْبِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْعُمْرِ وَيُدْفَعَانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا سَبْعِينَ مِئْتَةَ سُوءٍ»^(٤).

• وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«الصَّدَقَةُ بِالْيَدِ تَقِي مِئْتَةَ السُّوءِ، وَتَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ»^(٥).

٢ - صلة الأرحام وقطيعة الأرحام:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«صَنِيعُ الْمَعْرُوفِ يَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ فِي السَّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَتَنْفِي الْفَقْرَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كَنْزٌ مِنْ كَنْوَزِ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ دَاءً أَدْنَاهَا الْهَمُّ»^(٦).

(١) المنتقى الهندي: كنز العمال ٦ / ٢٧١. كتاب الزكاة، ب ٢ (في السخاء والصدقة) ح ١٦١١٣.

(٢) الذبيلة - كجبهة مصفرة - : الطاعون والخراج (بضم الخاء) ودُمَل يظهر في بطن صاحبه فيقتله، ومرض في الجوف لفساد يجتمع فيه. والذبيلة والذبلة واحد. (هامش الكافي مصدر الرواية)
(٣) في النقيه والبحار (من الشر).

(٤) الكليني: الكافي ١ / ٨. أبواب الصدقة، ب ٢ (إن الصدقة تدفع البلاء)، ح ٢. (دار الأضواء)

(٥) الصدوق: الخصال، ص ٤٨. باب الاثنين، ح ٥٢. (منشورات جماعة المدرسين)

(٦) الكليني: الكافي ١ / ٦. أبواب الصدقة، ب ٢ (فضل الصدقة)، ح ٢. (دار الأضواء)

(٧) الصدوق: نواب الأعمال وعقابها ٥٢٠ / ٩٨٨.

○ وقال عليه السلام:

«مَنْ سَرَّهُ النَّسَاءُ فِي الْأَجْلِ، وَالزِّيَادَةُ فِي الرِّزْقِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

○ وقال عليه السلام:

«إِنَّ الْقَوْمَ لَيَكُونُونَ فَجْرَةً وَلَا يَكُونُونَ بَرَّةً، فَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ، فَتَنْمَى أَعْمَالُهُمْ وَتَطُولُ أَعْمَارُهُمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانُوا أَبْرَارًا بَرَّةً»^(٢).

○ وقال عليه السلام:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ، وَأَنْ يَبْسُطَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ...»^(٣).

○ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له:

«أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُعْجِلُ الْفَنَاءَ..»

فقام إليه عبد الله بن الكواء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين أوتكون ذنوباً تُعجلُ الفناء؟

فقال عليه السلام: «نعم، وبلكا قطيعة الرحم...»^(٤).

○ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصِلَ رَحِمَهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلَاثُ سِنِينَ، فَيُصَيِّرُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَيَقْطَعُهَا وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، فَيُصَيِّرُهَا اللَّهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٥)،^(٦).

(١) الكليني: الكافي ٢/ ١٦٠. كتاب الإيمان والكفر. ب ٦٨ (صلة الرحم). ح ١٦٦. (دار الأضواء)

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦٢. ح ٢١٦. (دار الأضواء)

(٣) المصدر نفسه: ص ١٦٤. ح ٢٩٦. (دار الأضواء)

(٤) الكليني: الكافي ٢/ ٢٤٨. كتاب الإيمان والكفر. ب ١١٢ (قطيعة الرحم). ح ١٦٦. (دار الأضواء)

(٥) الرعد: آية ٢٩.

(٦) الطوسي: الأمالي. ص ٤٨٠. مجلس ١٧. ح ١٨٠.

● وقال عليه السلام:

«صِلَةُ الرَّجِمِ تُعَمِّرُ الدِّيَارَ. وَتَزِيدُ فِي الْأَعْمَارِ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا غَيْرَ أَخْيَارٍ»^(١).

● وقال الإمام الصادق عليه السلام لميسر:

«قَدْ حَضَرَ أَجْلُكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَكُلُّ ذَلِكَ يُؤَخِّرُهُ اللَّهُ بِصِلَتِكَ لِرَحِمِكَ وَبِرِّكَ قَرَابَتِكَ»^(٢).

كما أكدت الكثير من الدراسات وجود عدة مؤشرات تساهم في إطالة عمر الإنسان منها:

- ١- الاطمئنان الروحي.
- ٢- عامل الوراثة.
- ٣- عامل التغذية.
- ٤- الاعتدال في تناول الطعام.
- ٥- عامل المحيط.
- ٦- نوع العمل.
- ٧- كثرة الحركة والمشي (الحيوية والنشاط).
- ٨- وعوامل أخرى كثيرة^(٣).

الملاحظة الثالثة:

لنفترض أن قانون (الشيخوخة والأجل) قانون صارم لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال. ولا يمكن الانفلات منه بأي صورة من الصور، وأن العلم - في حاضره ومستقبله - عاجز تماماً عن تغيير ظروف هذا القانون وشروطه.

ولكن ليس الله تعالى بقادر على أن يعطل (القانون الطبيعي) وهو الخالق

(١) المصدر نفسه: ١٨.

(٢) البحر العملي: وسائل الشيعة ٩/ ٢٨٩. كتاب الزكاة. أبواب الصدقة، ب، ٩، ج، ٩.

(٣) كتاب (أولين دانسكاد) الفارسي ٢: ٢١٢. [على ما في كتاب (عمر المهدي بين العلم والأديان) ص ٤٥ - ٥٥].

لهذا القانون، إذا اقتضت المصلحة الإلهية ذلك؟

فإنه سبحانه وتعالى قد عطّل الكثير من (القوانين الطبيعية) بالنسبة لبعض الأنبياء ﷺ لمصالح اقتضتها حكمته تعالى.

واليكم بعض الأمثلة :

المثال الأول، نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ:

اتخذ نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ قراره الحاسم في تحطيم الأصنام ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(١)، وبدأ في تنفيذ القرار ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾^(٢).

فلما جاءوا إلى المعبد ليمارسوا طقوسهم العبادية وجدوا ما حدث بالهتهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وعندما اكتشفوا أن (إبراهيم) هو الذي حطّم آلهتهم، أصدروا حكمهم في حقه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤).

وهنا تدخلت الرعاية الإلهية لإبراهيم ﷺ، فعطلت (قانون الإحراق) ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥).

فالإرادة الإلهية التي أوجدت هذا القانون هي التي عطّلته وجمّدت وأوقفت حينما اقتضت الحكمة والمصلحة الإلهية ذلك في حماية نبي من أنبياء الله تعالى.

اقرأ القصة في سورة الأنبياء: الآيات ٥١ حتى ٧٠.

(١) الأنبياء: آية ٥٧.

(٢) الأنبياء: آية ٥٨.

(٣) الأنبياء: آية ٥٩.

(٤) الأنبياء: آية ٦٨.

(٥) الأنبياء: آية ٦٩.

المثال الثاني: نبي الله موسى الكليم عليه السلام:

قرّر فرعون أن يعتمد القوة في مواجهة موسى وأتباعه، فأمر الله سبحانه نبيه أن يخرج من أرض مصر هو والجماعة التي آمنت به ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾^(١).

وصمّم فرعون على ملاحقتهم ومطاردتهم، وأوشك على الوصول إليهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَانَ﴾^(٢).

هنا دخل الرعب في قلوب أصحاب موسى ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ففرعون خلفهم والبحر أمامهم.

إلا أن نبي الله موسى وهو الواثق كل الوثوق برعاية الله وحمايته طمأنهم ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٣).

وتدخلت العناية الإلهية ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

هكذا عطّل الله سبحانه (قانون السبولة في الماء) لتفتح أمام موسى وأصحابه طرق العبور.

واستمرّ فرعون وجنوده في ملاحقتهم فاقتحموا الطرق اليابسة المفتوحة في وسط الماء ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾^(٥).

ولما خرج موسى وأصحابه، وتوسط فرعون وجنوده، أعادت القدرة الإلهية

(١) الشعراء: أية ٥٢.

(٢) الشعراء: أية ٦١.

(٣) الشعراء: أية ٦٢.

(٤) الشعراء: أية ٦٢.

(٥) الشعراء: أية ٦٤.

نقد الإشكال العقيدى، افتراض العمر الطويل يتناهى مع الثابت العقيدى، ١٦٧

إلى الماء سيولته فانطبق البحر عليهم ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
الْآخَرِينَ﴾^(١).

فالإرادة الإلهية التي أوجدت هذا القانون هي التي عطلته وجمدته وأوقفته
حينما اقتضت الحكمة والمصلحة الإلهية ذلك في حماية نبي من أنبياء الله تعالى، ثم
أعادته مرة أخرى لإهلاك الظالمين المستكبرين في الأرض..

اقرأ،

- سورة الشعراء: الآيات ٥٢ - ٦٨.

المثال الثالث، قصة أصحاب الكهف،

إنهم الفتية الذين آمنوا بربهم، وفرّوا بأنفسهم من اضطهاد الظلمة، فقد
جاءت الروايات أنّ هؤلاء الفتية كانوا في زمن ملك جبّار عاتٍ، وكان يدعو أهل مملكته
إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين يعبدون الله
عزّ وجلّ، ووكل الملك ببياب المدينة، ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج
هؤلاء بعلّة الصيد، وذلك أنهم مرّوا براعٍ في طريقهم، فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم
وكان مع الراعي كلبٌ فأجابهم الكلب وخرج معهم.

فلما أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف والكلب معهم فألقى الله عليهم النعاس^(٢).

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾^(٣) للتخلص من ظلم ذلك الحاكم الكافر الذي
يفرض على الناس عبادة الأصنام بالقهر والتعسف، ولم يكن لهؤلاء الفتية المؤمنين
قدرة على المواجهة أو العيش في ظلّ هذا الجو الضاغط [من وحي القرآن ١٤: ٢٨٠].

وحينما لجأوا إلى الكهف سألوا الله سبحانه أن يفتح لهم أبواب الفرج والرشاد

(١) الشعراء: آية ٦٥ - ٦٦.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير الميزان ١٣: ٢٧٩. في تفسير الآيات (٩ - ٢٦) من سورة الكهف.

(٣) الكهف: آية ١٠.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(١).

وهنا تدخلت العناية الإلهية فألقت عليهم النعاس، وعطلت لديهم حاسة السمع، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٢) وكما قال صاحب الكشاف: أي ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني أنماهم إنامة ثقيلة لا تنبهم بها الأصوات [تفسير الكشاف ٢: ٤٧٣].

ويستمر القرآن في سرد قصتهم الى أن يقول،

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَاقًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٣) قيل: إنهم كانوا مفتوحين الأعين حال نومهم كالأيقاظ.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾^(٤) لثلاً تأكلهم الأرض، ولا تبلى ثيابهم ولا تبطل قواهم البدنية بالركود والخمول طول المكث (من وحي القرآن ١٤: ٢٩٢).

﴿وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْفُلِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٥) أي بفناء الكهف، وكأنه في حال الاستيقاظ والحراسة.

﴿لَوْ أطلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾^(٦).

واستمروا في رقدتهم أكثر من ثلاثة قرون ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٧).

وفي القصة تفاصيل أخرى تجدونها في سورة الكهف (الآيات ٩ - ٢٦).

(١) الكهف: آية ١٠.

(٢) الكهف: آية ١١.

(٣) الكهف: آية ١٨.

(٤) الكهف: آية ١٨.

(٥) الكهف: آية ١٨.

(٦) الكهف: آية ١٨.

(٧) الكهف: آية ٢٥.

نقد الإشكال العقيدى، افتراض العمر الطويل يتناهى مع الثابت العقيدى،: ١٦٩

فالإرادة الإلهية تدخلت هنا لتعطّل قانوناً أوجدته وخلقته لمصلحة اقتضتها في حماية جماعة من عباد الله الصالحين.

المثال الرابع: قصة خروج النبي الأكرم محمد ﷺ من داره ليلة الهجرة،

أجمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وذلك بعد أن مات ناصره أبو طالب، وأخذوا من كل قبيلة بفرسانهم، وصمّموا أن يجتمعوا عليه فيضربوه بأسياضهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوة بمعادة جميع قريش.

فلما بلغ رسول الله ﷺ أنهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيها أقام علياً عليه السلام مقامه على الفراش وخرج ﷺ من داره، والمشركون يطوقون الدار، ويترصدون بكل يقظة وانتباه كل حركة، فضرب الله على أبصارهم وحسى رسوله من كيدهم وشترهم.

وصار ﷺ إلى الغار فكمن فيه، وأنت قريش فراشه فوجدوا علياً فقالوا: أين ابن عمك؟

قال: قلت له أخرج لنا فخرج عنكم.

فطلبوا الأثر فلم يفتوا عليه، وأعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار وقد عشتت عليه حماسة، فقالوا: ما في هذا الغار أحد وانصرفوا، وخرج رسول الله ﷺ متوجّهاً إلى المدينة...

تقرأ تفاصيل ذلك في كتب التاريخ والسيرة من أمثال تاريخ العقوي (ج ٢: ٢٧ - ٤٠).

وهكذا تدخلت الرعاية الإلهية، فمطلت وجمّدت وأوقفت (قانون الإبصار) عند هؤلاء المشركين المترصدين، حينما اقتضت الحكمة ذلك حماية لسيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

هذه أمثلة تؤكد تدخل (الإرادة الإلهية) في تعطيل بعض القوانين الصارمة والتي هي من صنع الله تعالى، حينما تقتضي حكمته تعالى ذلك.

وهذا اللون من التعطيل للقانون الطبيعي يُسمى في المصطلح الديني «المعجزة».

إشكالٌ يواجه هذا التفسير للمعجزة،

وهنا يُثار إشكالٌ في مواجهة هذا التفسير للمعجزة، باعتبار أن تعطيل القانون الطبيعي يختزن في داخله تجميد العلاقة الضرورية القائمة بين الظواهر الطبيعية، والتي تمّ تحديدها من خلال الأسس التجريبية والاستقرائية وهكذا ينتج لنا هذا التفسير تناقضاً علمياً واضحاً.

ولكي نعالج هذا الإشكال نحاول أن نتناول التفسير العلمي للعلاقة القائمة بين الظواهر الطبيعية، وقد برز تصوران في ذلك يمثلان وجهتي نظرٍ مختلفتين:

١ - وجهة النظر [الكلاسيكية] القديمة،

وهي وجهة نظرٍ «تفترض أن كلّ ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضرورية، والضرورة تعني أن من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى»^(١).

فمن الواضح أن العلم يكتشف (القانون الطبيعي) من خلال التجربة والملاحظة المنتظمة، فلولا حظنا ظاهرتين مثل (ظاهرة النار) و(ظاهرة الإحراق) ووجدنا أن العلاقة بينهما ثابتة ومطرّدة دائماً فإننا نستطيع أن نستدلّ بهذا الاطّراد على وجود (قانونٍ طبيعي) وهو (قانون الإحراق) بالنسبة للنار، أي أن النار سببٌ للإحراق، وهذه «السببية» ذاتية وضرورية، ولا يمكن انفصامها وتجميدها.

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهديّ من ٧٩.

ووفق هذه النظرة [الكلاسيكية] القديمة ينطلق الإشكال الذي يواجه التفسير المذكور للمعجزة، باعتبارها تعطيل للقانون الطبيعي، بما يفرضه هذا التعطيل من تجميد وفصم للعلاقة الضرورية الذاتية بين الظواهر الطبيعية، وما يترتب على ذلك من المناقضة للعلم.

٢- وجهة النظر العلمية الحديثة،

وتحاول أن تُفسّر (القانون الطبيعي) لا على أساس (العلاقة الضرورية الذاتية) بين الظواهر الطبيعية، وإنما على أساس (الاقتران) أو (التتابع المطرد) بين الظاهرتين، وهذا ما يؤكد (المنهج الاستقرائي) فهو لا يُبرهن على (علاقة ضرورية) بين الظواهر وإنما على (أطراد الاقتران)، وتفسير هذا الأطراد في الاقتران، كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة^(١).

وفي ضوء هذا التفسير أصبحت (المعجزة) بمفهومها الديني أكثر وضوحاً، ممّا كانت عليه في ظلّ التفسير [الكلاسيكي] القديم.

وهكذا لمعالجة الإشكال المذكور يمكن التنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي، واعتماد المنطق الآخر القائم على أساس (قانون الاقتران) أو (التتابع المطرد) كما يذهب إلى ذلك أستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه.

وهنا نعود لمسألة (العمر الطويل) في حياة (الإمام المهدي) لنجد تفسيرها المقبول من خلال (الإعجاز الإلهي) إذا كانت التفسيرات الأخرى غير قادرة على مقاربة الذهنية الغيبية الإيمانية.

فإذا كانت الإرادة الإلهية قد عطّلت عدداً من القوانين الطبيعية من خلال (الإعجاز) حفاظاً على حياة الأنبياء ﷺ ليمارسوا أدوارهم الرسالية الكبيرة - كما هو صريح القرآن - فما المانع أن تتدخل هذه الإرادة فتعطل (قانون الشيخوخة) و(قانون الأجل) لتمنح (الإمام المهدي) هذا العمر الطويل في سياق الإعداد الرباني ليوم الظهور.

ولا نعتقد بوجود أي صعوبة تواجه (الذهنية الإيمانية) في قبول (التفسير الإعجازي) لظاهرة (العمر الطويل) في حياة الإمام المهدي ﷺ.

فالتفسير الإعجازي لكثير من الظواهر أمرٌ مألوفٌ في الوعي الديني، ليس في الإسلام فحسب، بل في كل الديانات التي تعتمد (الإيمان بالله) أساساً في متبنياتها العقيدية.

وإذا كانت (الذهنية المادية) تجد صعوبة في قبول هذا التفسير الإعجازي، فلنا في التفسيرات العلمية السابقة ما يرضي قناعاتها.

وبهذا تلثم القناعات الدينية والمادية في قبول هذه الظاهرة - ظاهرة بقاء الإنسان آلاف السنين - والتي تجسدت بشكل واضح في حياة (الإمام المهدي) كما أكدت ذلك النصوص الدينية في كتب المسلمين.

الإشكالية الثالثة - الإشكال الخامس:**الإشكال التاريخي**

«لم يحدث التاريخ عن بقاء إنسان هذا العمر الطويل»

الإشكالية الثالثة - الإشكال الخامس:

نقد الإشكال التاريخي
«من خلال مجموعة ملاحظات»

الملاحظة الأولى:

إن الكثير من المصنّفات والمؤلّفات دونت أسماء أعداد كبيرة من المعمرين.

من هذه المصنّفات والمؤلّفات^(١):

- ١- (المعمّرون) لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت/ ٢٠٤ هـ).
- ٢- (المعمّرون والوصايا) لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت/ ٢٥٠ هـ).
- ٣- (المعارف) لابن قتيبة الدينوري (ت/ ٢٦٧ هـ).
- ٤- (مروج الذهب) لعليّ بن الحسين المسعودي (٢٣٢).
- ٥- (كمال الدين) للشيخ الصدوق (ت/ ٢٨١ هـ).
- ٦- (الفصول الأربعة) للشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ).
- ٧- (كنز الفوائد) لمحمد بن عليّ الكراچكي (ت/ ٤٤٩ هـ).
- ٨- (الغيبة) للشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠ هـ).
- ٩- (البحار) للمجلسي (ت/ ١١١٠ هـ).
- ١٠- (تفسير الجواهر ٢٤/ ٨٦) للطنطاوي - أحد العلماء المعاصرين -.
- ١١- منتخب الأثر ٢: ٢٧٣.
- ١٢- الإمام المهديّ بين الإثبات وعاصفة الشبهات.
- ١٣- الإمام المنتظر أمل المعصومين الأطهار، وقد توفّر هذا الكتاب على ذكر (٢٢٤) من أسماء المعمرين (ص ٥٦٧ - ٦٠٧).

(١) كما جاء في كتاب (عمر المهديّ بين العلم والأديان) ص ٢٣، ٢٤.

الملاحظة الثانية :

للبرهننة على مصداقية هذه الظاهرة التاريخية نطرح هذه الشواهد والأرقام:

١- آدم أبو البشر عليه السلام (عاش ٩٣٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢ / ٢٠٣ [كما عن الحكيمي في كتاب الإمام المنتظر ص ٥٦٧].
- كنز الفوائد ٢٤٥ [كما عن الحكيمي ٥٦٧].
- التوراة: سفر التكوين [كما عن مهدي بور في عمر المهدي ٦٩].

٢- إدريس عليه السلام (عاش ٩٦٥ سنة).

انظر:

- كنز الفوائد ٢٤٥ [الحكمي في الإمام المنتظر ٥٦٧].
 - إلزام الناصب ١: ٢٨٨ [الحكمي ٥٦٧].
- وهناك رأي آخر أن نبي الله إدريس عليه السلام قد رُفِعَ إلى السماء ولا زال حياً.

٣- نوح عليه السلام (عاش ٢٥٠٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٠٢ [عن الحكيمي: المنتظر ٦٠٢].

٤- سام بن نوح (عاش ٦٠٠ سنة).

انظر:

- منتخب الأثر ص ٢٧٦.

٥- إبراهيم عليه السلام (عاش ١٧٥ سنة).

انظر،

- كمال الدين ٢: ٢٠٢ [الحكيم: المنتظر ٥٦٧].

- كنز الفوائد ٢٤٥ [الحكيم: المنتظر ٥٦٧].

٦- شيث بن آدم (عاش ٩١٢ سنة).

انظر،

- التوراة: سفر التكوين، الباب الخامس، الفقرة ٨، ١١ [مهدي بور: عمر المهدي
ص ٦٩، ٧٠].

٧- عيسى عليه السلام.

وقد رفع إلى السماء بنص القرآن، وأكدت الأحاديث الصحيحة المتواترة أنه
سوف ينزل في آخر الزمان، ويصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام، ويقتل الدجال، ويكسر
الصليب كما تقدّم ذلك...

٨- أروى بن شلم (ملك ١٠٠٠ سنة).

انظر،

- كمال الدين ٢: ٢٤٠ [الحكيم: المنتظر ٥٦٨].

٩- أكثم بن صيفي الأسدي (عاش ٣٣٠ سنة).

وكان ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمن به.

انظر،

- غيبة الطوسي [الحكيم: المنتظر ٥٦٩].

- كتاب المعمرين ١٠ [الحكيم: المنتظر ٥٦٩].

- كنز الفوائد ٢٤٩ [الحكيم: المنتظر ٥٦٩].

١٠ - أصحاب الكهف.

وقد نصّ القرآن على بقائهم أحياء وهم نيام، وكلبهم بأسطّ ذراعيه بالصيد، فلبثوا في رقدتهم الأولى ﴿ثَلَاثِمِائَةَ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الكهف: الآية ٢٥.

١١ - الخضر عليه السلام...

هناك جدل بين المسلمين حول شخصيّة (الخضر) في اسمه ونسبه ونيوته، وحياته إلى الآن^(١).

وتتفق الأقوال أنه العبد الذي أشارت إليه الآية في سورة الكهف في قصة موسى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥.

وفي بقائه حيًا هناك اتجاهان،

الاتجاه الأول،

يرى أنه قد مات، ولهم في ذلك أدلة ذكرها ابن كثير في (قصص الأنبياء ص ٢٨١ - ٢٨٥).

الاتجاه الثاني،

ويرى أن الخضر لم يموت، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على بعض الروايات.

قال النووي في (تهذيبه): «قال الأكترون من العلماء هو - يعني الخضر - حيٌّ موجودٌ بين أظهرنا»^(٢).

وقال أبو عمرو بن صلاح في (فتاويه): «هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة منهم، وأنما شدّ بإنكاره بعض المحدثين»^(٣).

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ٢٦٩.

(٢) الحكيمي: المنتظر، ٥٧٨.

(٣) الإصابة ١: ١٢١ [الحكيمي: المنتظر ٥٧٨].

وقال ابن جرير الطبري: «الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض»^(١).

وقال أبو مخنف لوط بن يحيى في أول كتاب (المعمرين) له: «أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أنّ الخضر أطول آدمي عمراً»^(٢).

وروي عن الحسن البصري أنّ إلياس والخضر باقيان إلى الصيحة الأولى وأنهما يجتمعان في موسم كلّ عام^(٣).

وقال الثعلبي: «يقال: إنّ الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن»^(٤).

ما يهّمنا هنا هو التأكيد على وجود عدد غير قليل من علماء المسلمين يعتقدون ببقاء (الخضر) وهم من غير الشيعة طبعاً، وهذا يُعبّر عن كون الفكرة - بقاء الإنسان عمراً طويلاً - تُشكّل فرضيةً مقبولةً في الذهنية الإسلامية، ولا يضرّ بذلك إنكار البعض الآخر، والمنكرون لا يعتمدون (الاستبعاد العقلي) وإنما ينطلقون من التشكيك في الروايات والأخبار الواردة.

وإذا صحّ أنّ فكرة بقاء الخضر مقبولةٌ - ولو عند بعض المسلمين - فلماذا لا تكون فكرة بقاء الإمام المهديّ مقبولة ولو عند هذا البعض.

١٢ - قيم بن ثعلبة (عاش ٥٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيم: المنتظر ٥٧٣].

- كتاب المعمرين ٣١ [الحكيم: المنتظر ٥٧٣].

(١) المجلسي: البحار ١٢ / ٢٧ [الحكيم: المنتظر ٥٧٨].

(٢) الحكيم: المنتظر. ٥٧٨.

(٣) الإصابة ١: ٤٣١ [الحكيم: المنتظر ٥٧٨].

(٤) الحكيم: المنتظر. ٥٧٩.

٣١٨.....الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

الإمام المنتظر ﷺ قراءة في الإشكاليات ١٨٧

١٣- جعفر بن قرط العامري (عاش ٣٠٠ سنة وأدرك الإسلام).

انظر:

- كتاب المعمرين ٤٣ [الحكيمة: المنتظر ٥٧٤].

١٤- الحرث بن مضاى الجرهني (عاش ٤٠٠ سنة).

انظر:

- الغيبة للطوسي ٨٨.

- كتاب المعمرين ٤٢.

- تذكرة الخواص ٢٠٥.

- كنز الفوائد ٢٥١.

- [الحكيمة: الإمام المنتظر ٥٧٧].

١٥- ذو القرنين (وقد جاء في التوراة أنه عاش ٣٠٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٤ (الحكيمة: المنتظر ٥٨٠).

١٦- سليمان بن داود ﷺ (عاش ٧١٢ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٠٣.

١٧- شداد بن عاد بن أرم - صاحب الجنة (عاش ٩٠٠ سنة).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٢٦.

- الشيعة والرجعة ١: ٢٢٩ عن أخبار الدول.

[الحكيمة: المنتظر ٥٨٦].

١٨- عامر بن الضرب (عاش ٥٠٠ سنة).

انظر:

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيمة: المنتظر ٥٨٩].

١٩- عبد المسيح بن عمرو بن قيس (عاش ٣٥٠ سنة وأدرك الإسلام ولم يُسلم).

انظر:

- كتاب المعمرين ٢ [الحكيمة: المنتظر ص ٥٩١].

٢٠- عبيد بن شريد الجرهمي (عاش ٣٥٠ سنة وأدرك النبي ﷺ وحسن إسلامه).

انظر:

- كمال الدين ٢: ٢٢٢ [الحكيمة: المنتظر ٥٩٢].

٢١- عدي بن وادع الأزدي (عاش ٣٠٠ سنة وأدرك الإسلام وأسلم وغزا).

انظر:

- كتاب المعمرين ٢٨ [الحكيمة: المنتظر ٥٩٢].

٢٢- قس بن ساعدة (عاش ٦٠٠ سنة).

انظر:

- كنز الفوائد ٢٥٤ [الحكيمة: المنتظر ٥٩٧].

٢٣- كعب بن دادة النخعي (عاش ٣٠٠ سنة).

انظر،

- كتاب المعمرين ٦٦ [الحكيمة: المنتظر ٥٩٨].

٢٤- نقييل بن عبد الله (عاش ٧٠٠ سنة).

انظر،

- تذكرة الخواص ٢٠٥ [الحكيمة: المنتظر ٦٠٣].

٢٥- حسب روايات صحيحة مدونة في مصادر الحديث المعتمدة أن الدجال

كان حياً في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يخرج في آخر الزمان..

كما وردت روايات صحيحة ذكر فيها (ابن صائد أو ابن صياد) واحتمال كونه الدجال.

انظر،

- صحيح مسلم: باب خروج الدجال، باب ذكر ابن صياد.

- سنن ابن ماجه: أبواب الفتن، باب فتنة الدجال.

- سنن أبي داوود: كتاب الملاحم، باب خبر الجساسة.

- سنن الترمذي: كتاب الملاحم، خبر ابن صائد.

الملاحظة الثالثة،

ليس صحيحاً أن نرفض الفكرة - أي فكرة - لمجرد كونها تصطدم مع مألوفاتنا
الذهنية أو الاجتماعية أو التاريخية أو الطبيعية، إن مخالفة المؤلف ليس مبرراً علمياً
لرفض.

إن مسألة (الإمام المهدي) في كل خصوصياتها تأسست من خلال (نصوص
إسلامية) ثابتة، فالمنهج العلمي في البحث يفرض أن تناقش (أساسيات) الفكرة

وبكل خصوصياتها، ومتى توفّر البحث على إثبات تلك الأساسيات فلا مبرر للرفض اعتماداً على مجرد (استبعادات) وهمية - كما هي مخالفة المألوف - وإذا لم يتوفّر البحث على إثبات تلك الأساسيات فلا جدوى في إثارة هذا اللون من الإشكالات العقيمة، ولعلّ اللجوء إلى هذا النمط من التشكيكات ينطلق من شعورٍ بالعجز في محاسبة الأساسيات والمرتكزات.

ونحن في مجاراتنا لهذه الإشكالات لا يعني التأكيد على (القيمة العلمية) لها بقدر ما هو (المنهج) الذي يُحاول أن يلاحق كلّ الإثارات - مهما كانت قيمتها العلمية - للأكل الفراغات في مسار البحث.

إشكالات روائية،

لقد دوّنت مصادر الحديث عدداً من الروايات الصحيحة تؤكد أنّ الذين ولدوا في زمن الرسالة لا يمكن أن تتجاوز أعمارهم [مائة سنة]، وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحدّ، فما بعده من الأعصار أولى بذلك^(١).

وهناك طائفة أخرى من الروايات تؤكد أنّ أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وقليلٌ ممن يجوز ذلك.

ومن هذه الروايات،

١ - عن عبد الله بن عمر، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم) صلى ليلة العشاء ثم قال،
«أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّهُ إِلَى مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدٌ»^(٢).

(١) القفاري: أصول مذهب الشيعة ٢: ٨٦٦.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٣٨١.

٢- وجاء في مسند أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمر - وساق الحديث نفسه - (١).

٣- وجاء في مسند أحمد بن حنبل - أيضاً - عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم] قبل موته بقليل أو بشهر، «ما من نفس منقوسة - أو ما منكم من نفس اليوم منقوسة - يأتي عليها مائة سنة، وهي يومئذ حية» (٢).

٤- وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله) [وسلم] أنه قال قبل أن يموت بشهر، «تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منقوسة تأتي عليها مائة سنة» (٣).

٥- وجاء في جامع الترمذي عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم]، «ما على الأرض من نفس منقوسة يأتي عليها مائة سنة» (٤).

٦- جاء في جامع الترمذي عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم]، «عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة (٥).

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٨٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢١٤.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٢١٨.

(٤) جامع الترمذي، حديث ٢٢٥٠.

(٥) جامع الترمذي، كتاب الزهد / حديث ٢٢٢١.

٧- وجاء في جامع الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم]:

«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السُّتَيْنِ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(١).

٨- جاء في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم] قال:

«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السُّتَيْنِ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(٢).

٩ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری.

انظر:

الجزء الثاني: كتاب التفسير، الأحاديث ٢٥٩٧ - ٣٦٠١.

نقد الإشكال الروائي:

نلاحظ على هذا الإشكال:

أولاً،

لا يُستفاد من الأحاديث الخمسة الأولى أن أعمار هذه الأمة لا تتجاوز القرن، وغاية ما تدلّ عليه هذه الأحاديث أن الجيل الذي عاصر النبوة لا يبقى منه أحد بعد مائة سنة، ولا أولوية في المقام كما يدعي صاحب (أصول عقيدة الشيعة) لأن الأمور الواقعية التكوينية لا تخضع لأقيسة الأولويات.

ثانياً،

لا ندرى فيما إذا كانت هناك دراسة تاريخية دقيقة تثبت صدقية هذه الأحاديث بالنسبة لجيل الصحابة وهل بالفعل لم تمتد بهم الأعمار إلى الحد المذكور؟

(١) المصدر نفسه، كتاب الدعوات/ حديث ٢٢٥٠.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الأمل والأجل.

ثالثاً ،

أما بقية الأحاديث التي تؤكد أن أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، فلو سلمنا بها فهي تتحدث عن المعدل العام للأعمار، ولا تنفي وجود حالات استثنائية تتجاوز هذا الحد.

إنّ الواقع التاريخي يبرهن على وجود الكثير من تلك الحالات الاستثنائية، وكذلك الواقع المعاصر يشهد على ذلك.

رابعاً ،

ثم إن بقاء الإمام المهدي عليه السلام، كما أسلفنا محكومٌ لإرادة إلهية لا يعجزها شيء، فلا معنى لهذه الإشكالات والإثارات والاستبعادات.

مصادفة غريبة ،

في جلسات الكتابة وأنا أحمل القلم بيدي أدون أسماء المعمرين، وإذا بالهاتف يرن، رفعت السّماعه فكان المتحدث الأخ المهذب والصدیق الوفي الأستاذ موسى جعفر السّوري، - وكنت يومئذ في سوريا - وبعد تبادل كلمات الترحيب والمحبة فاجأني بقوله - وما كان يعلم طبعاً بمشروعي الكتابي - قائلاً: عند خالي أحد المعمرين وله من العمر (١٣٠ سنة) ويرغب في السلام عليكم، فتحدثت معه عبر الهاتف، واتفقنا على اللقاء، وتمّ اللقاء في منزل الأستاذ موسى جعفر فوجدته شيخاً كبيراً طاعناً في السن، إلا أنه يملك كلّ قواه العقلية والبدنية، يتحدث وفي حديثه قوة وجرأة وصفاء، ذاكرته جيدة، سمعه لا يتعب المتكلم، بصره حادّ ويقرأ من دون الحاجة إلى النظارة، وكان ممّن انخرط في الجيش العثماني.

وسهرنا ليلة ممتعة جداً مع ذكريات تاريخية كانت لازالت حاضرة في ذاكرته، فأضافت هذه التجربة رقماً عملياً حياً لأرقام التي اعتمدت فيها على ما دونه الآخرون.

الإشكالية الثالثة - الإشكال السادس:

الإشكال العملي
«ما هي الحكمة في غيبة الإمام المهدي
وطول عمره؟»

الإشكالية الثالثة - الإشكال السادس:

**نقد الإشكال العملي
«من خلال مجموعة نقاط»**

النقطة الأولى:

تساءل نقضاً؟

- ما الحكمة في بقاء نبيّ الله المسيح عيسى بن مريم حياً إلى آخر الزّمان؟
- ما الحكمة في بقاء الخضر - بناء على القول ببقائه -؟
- ما الحكمة في بقاء الدجال، وفي الروايات كما يؤكد وجوده منذ عصر النبي ﷺ؟
- ما الحكمة في غيبات عدد من الأنبياء ﷺ ما أكدت ذلك روايات كثيرة؟

١- عن زيد الشحام عن أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام قال،

«إِنَّ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ زَمَانًا...» كمال الدين ١: ١٢٦ ب ٦/٢.

رجال الإسناد كلهم ثقات،

- أبو جعفر الصدوق؛
- «شيخ المحدثين المعروف - تقدّم».
- محمد بن الحسن بن الوليد؛
- «من الفقهاء الأعظم الأجلّاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- محمد بن الحسن الصفار؛
- «فقيه ثقة جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».
- سعد بن عبد الله الأشعري؛
- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ عبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدّم في أسانيد كثيرة».

قالوا (جميعاً) حدثنا،

○ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب،

- «ثقة، عين، جليل القدر - تقدّم في أسانيد كثيرة».

○ علي بن أسباط الكوفي،

- «فقيه، محدث، ثقة، أخذ الفقه والحديث عن الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام، وروى عنهما».

- موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ١٠١٧.

○ سيف بن عميرة النخعي،

- «محدث، فقيه، ثقة كثير الرواية، أخذ العلم عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وروى عنه، وعن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام».

- منتهى المقال ٣ / ١٤١٣.

- موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٤٥٩.

○ زيد الشحام،

- «أحد الفقهاء الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام، ثقة عين» موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٤٣٣.

٢- عن أبي بصير عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:

- وذكر حديثاً طويلاً تكلم فيه عن غيبة نبي الله إبراهيم عليه السلام. كمال الدين ١:

١٣٧ ب / ٤ / حديث ٧.

رجال الإسناد كلهم ثقات،

○ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

○ (١) علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم في أسانيد كثيرة».

○ (٢) محمد بن الحسن بن الوليد،

- «من الفقهاء الأعظم الأجلء الثقات - تقدم».

قالا، حدثنا،

○ سعد بن عبد الله الأشمري،

- «من فقهاء الطائفة الأجلء الثقات - تقدم».

○ يعقوب بن يزيد بن حماد،

- «ثقة صدوق، رجال النجاشي ج ٢: ٤٢٦ / ١٢١٦».

○ محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس وأورعهم، وأعبدتهم، وأنسكهم - تقدم في أسانيد كثيرة».

○ هشام بن سالم،

- «أحد شيوخ الشيعة في الفقه والكلام، أخذ العلم عن الإمامين أبي عبد الله

الصادق عليه السلام وأبي الحسن الكاظم عليه السلام، وعُد من الفقهاء الأعلام المأخوذ

منهم الحلال والحرام والفُتيا والأحكام» موسوعة طبقات الفقهاء ٧٠٢ / ٢.

○ أبو أيوب الخزاز،

- «فقيه، محدث، ثقة، كبير المنزلة، وهو أحد الأعلام الفقهاء الذين يأخذ

عنهم الشيعة مسائل الحلال والحرام والفُتيا والأحكام» موسوعة طبقات

الفقهاء ٢ / ٢٨٩.

○ أبو بصير،

- [مرّد بين ليث البخري وهو من أجل الرواة فقهاً وعلماً ومن ثقات الشيعة وأعلامهم، ويحيى بن القاسم الأسدي وهو من كبار الفقهاء، ثقة، وجه، أحد الستة الذين أجمعت الشيعة على تصديقهم والإقرار لهم بالفقه] موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٦١٥، ٧٢٣.

٣ - عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام يقول:

«في صاحب هذا الأمر أربع سنين من أربعة أنبياء، سنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فأما من موسى فخائف يترقب، وأما من يوسف فالسجن، وأما من عيسى فيقال له: إنه مات ولم يمّت، وأما من محمد عليه السلام فالسيف، كمال الدين ١: ١٥٢ ب / ٦ حديث ١٦.

رجال الإسناد كلهم ثقات،

○ أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

● علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم».

● ومحمد بن الحسن بن الوليد،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات - تقدم».

قالا، حدثنا،

○ عبد الله بن جعفر الحميري،

- «من أجلاء الفقهاء الثقات».

○ محمد بن عيسى [مردد بين شخصيتين]،

○ أ- محمد بن عيسى بن عبيد،

«محدث جليل، وفقه كبير، كثير الرواية، حسن التصانيف، من أعيان الإمامية، ذا منزلة عظيمة عند أصحاب الأئمة عليهم السلام، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ١١٥٦.

○ ب- محمد بن عيسى بن سعد،

«شيخ القميين ووجه الأشاعرة، ثقة، منتهى المقال ٦/ ٢٨١٢.

○ سليمان بن داود المنقري،

- «وثقه النجاشي، وضعفه ابن الفضائري وتبعه العلامة والمجلسي، ولكن في المعجم قال: لا عبرة بتضعيفهم مع توثيق النجاشي» الموسوعة الرجالية الميسرة ١/ ٢٦١٢.

○ أبو بصير،

- «من أجلاء الثقات - تقدم».

٤- عن سعيد بن جبیر قال، سمعت سيد العابدین علي بن الحسين عليه السلام

يقول،

«في القائم من سنن من سبعة أنبياء، سنة من أبينا آدم عليه السلام، وسنة من نوح، وسنة من عيسى، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلوات الله عليهم، فأما من آدم ونوح فطول العمر، وأما من

إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والفتية، وأما من عيسى فاختلف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد عليه السلام فالخروج بالسيف، كمال الدين ٢: ٢٢١ ب ٢١ / حديث ٢.

٥- عن أبي بصير قال، قال أبو عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:

«إن في صاحب هذا الأمر [سننا] من الأنبياء عليهم السلام، سنة من موسى بن عمران، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلوات الله عليهم...

فأما سنة من موسى بن عمران، فخائف يترقب، وأما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى عليه السلام، وأما سنة من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأما سنة من محمد عليه السلام فيهتدي بهداه ويسير بسيرته»

كمال الدين ٢: ٢٥٠ ب ٢٣ / حديث ٤٦.

٦- عن سدير الصيرفي قال،

دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب، عليه مسح خيبري، مطوق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلي، ذات الكبد الحرى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه...

فتلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك، من آية حادثة تستنزف دمعك، وتستمطر عبرتك؟

قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه واشتد عنها خوفه...

- وتكلم كلاماً عن الإمام القائم - وغيبته وإبطائه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربة الإسلام عن أعناقهم...

فقلنا: يا ابن رسول الله كرمنا وفضلنا [وشرّفنا] بإشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدَارَ لِلْقَائِمِ مَنَّا ثَلَاثَةَ أَدَارَهَا فِي ثَلَاثَةِ مَنَ الرَّسْلِ ﷺ، قَدَّرَ مَوْلِدَهُ تَقْدِيرَ مَوْلِدِ مُوسَى ﷺ، وَقَدَّرَ غَيْبَتَهُ تَقْدِيرَ غَيْبَةِ عِيسَى ﷺ، وَقَدَّرَ إِبْطَاءَهُ تَقْدِيرَ إِبْطَاءِ نُوحٍ ﷺ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عُمَرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ - أَعْنِي الْخَضِرَ ﷺ - دَلِيلًا عَلَى عُمُرِهِ ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ». كمال الدين ٢: ٢٥٢ ب ٢٢ / حديث ٥٠.

النقطة الثانية:

إن خفاء الحكمة لا يُشكّل مبرراً علمياً للشك والرفض، والآسوف تهتز الكثير من «المسلّمات الدينيّة» في الذهنيّة الإسلاميّة حيث الغموض في معرفة «الحكم والمصالح»، رغم القناعة الإيمانيّة بتوفّر الحكمة في جميع ما صدر عن الله سبحانه...

المطلوب هو توفّر «القناعة» بصحة الأدلّة المعتمدة لإثبات المتنبّيات العقديّة والتشريعيّة، وعندها يجب التسليم، وإن اختلفت تماماً وجوه الحكمة والمصلحة.

لا يعني هذا أن يفرض على العقل «حجرٌ كامل» لكي لا ينطلق في آفاق الاكتشاف والبحث، متى توفّرت إمكانات وأدوات هذا الانطلاق، إلا أنّ العقل قد يصطدم بمناطق تمثل «الغيب المطلق» فتسقط كلّ قدرات العقل وأدواته في اكتشاف الأسباب والعلة، وفي إدراك المصالح والحكم، وهنا يُشكّل «الإيمان بالغيب» أحد مكونات «الانتماء الإيماني». قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢).

وقد أبقى الله - جلّت حكمته - مساحات في العقيدة والتشريع تتحدّى قدرات العقل البشريّ وهو سبحانه مكوّن العقل وصانعه ومبدعه.

نخلص إلى القول بأن العجز العقلي عن إدراك الحكم والمصالح والأسرار لا يبرر التشكيك فيما أثبتته الأحاديث والروايات من عقائد وأفكار وأحكام وإخبارات، نستنتج حالات التناهي مع «بديهيات العقل» فهنا يجب التوقف، لأن الله سبحانه هو الخالق المكون لهذا العقل بما يختزنه من «بديهيات» وهو تعالى وحده الذي يحدد «التكاليف والأحكام والأوامر والنواهي».

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأعراف: ٥٤)

وإذا صح أن نفهم هذا النص القرآني بكون «الخلق» تعبيراً عن «المساحات التكوينية»، وكون «الأمر» تعبيراً عن «المساحات التشريعية».

فلا يمكن أن يتشكل تناهي بين هاتين المساحتين المحكومتين له سبحانه.

بعد هذا نتساءل:

هل تشكل «عقيدة الإمام المهدي» بكل مكوناتها أي تناهي مع «ثوابت الدين» و«بديهيات العقل»؟ من الواضح جداً أنها لا تشكل ذلك، أما كونها تخالف المؤلف فلا يبرر هذا التشكيك والرفض، وأما كونها خفية الحكمة والمصالح، فهذا أيضاً لا يبرر التشكيك والرفض.

النقطة الثالثة:

بالإمكان - من خلال معالجة علمية جادة - أن نعطي تفسيراً مقبولاً لظاهرة «العمر الطويل» في حياة «الإمام المهدي» انطلاقاً من فهم المهمة الكبرى الذي تنتظر هذا الإمام.

في البدء نؤكد أن هذا النمط من المعالجات يخاطب أولئك الذين لا تتسع قناعاتهم لاعتماد «الرؤية الغيبية» والتي توفر لمن يؤمن بها الكثير من الإجابات في مواجهة أعقد الإشكالات والتساؤلات.

وهنا نعرض لمجموعة تفسيرات تتناول ظاهرة «الغيبة وطول العمر»:

التفسير الأول: التفسير الاجتماعي..

يتعرض لهذا التفسير الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (بعثه حول المهدي) حيث عالج هذه المسألة معالجة اجتماعية، واعتبر «امتداد العمر» عاملاً من عوامل نجاح العملية التغييرية المرتقبة في اليوم الموعود.

وذلك لعدة أسباب^(١)،

السبب الأول:

إن من شروط عملية التغيير الكبرى أن يتوفر القائد الممارس لها على وضع نفسي فريد مشحون بالشعور بالتفوق والإحساس بضالة الكيانات الشامخة التي أعد للقضاء عليها، ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد، وبذلك يتمكن من مواجهتها والانتصار عليها.

ولما كان حجم التغيير المعد له هذا القائد كبيراً جداً، فالحجم المطلوب من الشعور النفسي يجب أن يتناسب مع ذلك.

وحتى يتكون هذا الشعور بالتفوق يفترض أن يكون هذا الشخص المعد للتغيير ليس من مواليد تلك الحضارة التي يراد تقويضها، واستبدالها بحضارة العدل والحق؛ لأن من ينشأ في ظل حضارة مهيمنة ممتدة راسخة يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها وبالضالة أمامها.

وأما الشخص الذي توغل في التاريخ، وشهد كل الحضارات الكبيرة التي سادت العالم ثم تداعت وانهارت، فإن هذا الشخص تكون له هيبة التاريخ وقوة التاريخ، وقوة

(١) محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي، ص ٨٤ - ٨٩.

الشعور بالتفوق، وبضالة هذا العملاق الحضاري الذي هو وليد يوم من أيام التاريخ، تهيأت له أسباب فوجد، وستهيأ له الأسباب فيزول.

ولعل في قصة أصحاب الكهف التي ذكرها القرآن مثالا واضحا لهذه الحقيقة، فالفتية الذين آمنوا برَبِّهم واجهوا كيانا وثيقا حاكما مهمنا، فضاقت نفوسهم، ودب إليها اليأس، ولجأوا إلى الكهف، فأنامهم الله تعالى ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم بعثهم بعد أن كان الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه قد تداعى وسقط، وأصبح تاريخا لا يُرعب، وهكذا رأوا مصرع ذلك الباطل وانتهاه وتصاغر في أعينهم.

فإذا كانت هذه المدّة من الزمن قد أعطت هؤلاء الفتية هذا الزخم النفسي الكبير، فإنّ الشئ نفسه يتحقّق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم، والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهو مجرد نسمة.

السبب الثاني،

إنّ التجربة الطويلة التي يعيشها هذا القائد المرتقب؛ من خلال مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها، لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود.

السبب الثالث،

إنّ عملية التغيير الكبرى سوف تعتمد الإسلام أساسا ومنطلقا، وهذا يفرض أن يكون القائد المعدّ لذلك قريبا من مصادر الإسلام الأولى لتتكوّن شخصيته بعيدا عن كلّ المؤثرات الحضارية التي يقدر لليوم الموعود أن يحاربها.

وحينما يكون ذلك الشخص مولودا في كنف تلك الحضارة فإنه لا يتخلص غالبا من رواسبها ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييرية ضدها، فلكي يضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي أعدّ لاستبدالها لا بدّ أن تكون شخصيته قد بُنيت بناء

كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العامة، ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته.

ملاحظة :

نؤكد مرة ثانية: أن هذا التفسير الذي قدمه الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رحمته) يخاطب أولئك الذين لا يريدون أن يسمعوها جواباً (غيبياً)، ويطالبون بتفسير اجتماعي للموقف على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها، والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود.

والآه فإن الشهيد الصدر يؤمن كل الإيمان بأن الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) مجموعة فريدة متميزة معصومة قد تم إعدادها ربانياً، ولا يمكن التعويض عن أي واحد من أفراد هذه المجموعة، وهذا ما أشار إليه الشهيد نفسه (بحث حول المهدي ص ٤١).

التفسير الثاني: التفسير التاريخي السياسي..

يحاول هذا التفسير أن يعطي لظاهرة «الغيبية» مبرراتها من خلال «الظروف التاريخية السياسية» التي شكلت «عوامل ضاغطة» فرضت أن تبدأ «مرحلة الغيبية».

هل يمكن أن نتوفر على قراءة تاريخية سياسية قادرة على أن تعطي لهذا التفسير مصداقيته؟

تُحاول بعض الكتابات^(١) الراضية «لفكرة الغيبية» التشكيك في صحة هذا التفسير؛ بدعوى أن كل «الأوضاع السياسية» في تلك المرحلة التاريخية لا تُشكل «مبررات غيبية أو اختفاء»، و«خلاصة القراءة التاريخية السياسية التي يطرحها هؤلاء الكتاب تتمثل في المعطيات التالية:

(١) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٤٢ - ٢٤٩.

١- ارتباك الواقع السياسي في تلك المرحلة التاريخية، واهتزاز أنظمة الحكم، فكانت الهيمنة والسيطرة على شؤون الخلافة للموالي والأتراك، يُعيّنون من يشاءون ويعزلون.

٢- ونتيجة ضعف الخلافة بدأت تتشكّل دويلات مستقلة، انفصلت عن عاصمة الخلافة العباسية. كما حدث في الأندلس وشمال أفريقيا وبلاد فارس وبعض مناطق العراق.

٣- وشهدت المرحلة سلسلة من ثورات الشيعة والعلويين.
٤- في الوقت ذاته برزت ظاهرة تعاطف بعض الخلفاء العباسيين مع العلويين.

في ضوء هذه المعطيات لا يوجد أي مبرر للخوف والتقية بحيث يضطر الإمام العسكري إلى إخفاء مولوده والتكتم عليه، ولم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكري) لو كان موجوداً فعلاً أن يظهر هنا أو هناك، وأن يتحدى السلطات العباسية الضعيفة جداً، ويقيم دولته المعهودة، ويؤدي مسؤولياته في إمامة الشيعة والمسلمين^(١).

ملاحظات وتعقيبات:

ولنا حول الكلام الأنف الذكر مجموعة ملاحظات وتعقيبات نوجزها في النقاط التالية:

النقطة الأولى:

من خلال الروايات المشتهرة عن رسول الله ﷺ في شأن الإمام المهدي وما أعدّه الله له من دور كبير في إزالة كل مظاهر الظلم والجور والفساد والانحراف، وإقامة حكم الله العادل في الأرض.

(١) تطوير الفكر السياسي الشيعي ص ٢٤٩.

نقد الإشكالات العمليّة، ما هي الحكمة في غيبة الإمام المهديّ وطول عمره؟ ٢٠٥

من خلال ذلك كانت الأنظمة الحاكمة الظالمة ترصد هذه الظاهرة، وتلاحق كلّ الواقع التاريخي: خشيةً وخوفاً من ظهور ذلك «الإمام» الذي يُشكّل «التهديد الحقيقي» لتلك الكيانات السياسيّة المتسلّطة.

ولعلّ سياسة «العنف والإرهاب» التي مارستها أنظمة الحكم عبر التاريخ ضدّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وضدّ أتباعهم وشيعتهم تنطلق في بعض أسبابها من هذا الإحساس بالخوف والفرع من ظهور «الإمام المهديّ».

وفي ظلّ تلك السياسات الإرهابيّة والعنفيّة تُشكّل «الواقع الصعب» في حياة الأئمّة عليهم السلام، وفي حياة أتباعهم.

واستمرّت تعقيدات هذا الواقع في التزايد والاشتداد، ممّا فرض وضعاً قاسياً حول الأئمّة عليهم السلام.

وفي ما هذا الواقع يتحرّك في الاتجاه الصعب كانت المؤشرات التاريخيّة تؤكّد اقتراب (زمن الإمام المنتظر)، حيث يُشكّل «الثاني عشر» في منظومة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، كما تحدّثت الأخبار والروايات.

وهنا يبدأ «الهاجس المرعب» عند الأنظمة الحاكمة تتصاعد وتيرته، وتشتدّ تحسباته، ممّا فرض الكثير من الإجراءات المشدّدة حول الأئمّة عليهم السلام وحول أتباعهم.

النقطة الثانية،

ومن خلال التراءة التاريخيّة للواقع السياسيّ في المرحلة التي عاصرت الإمامين الهاديّ والعسكريّ (عليهما السلام) وبدايات (غيبة الإمام المهديّ عليه السلام) نتوفّر على المعطيات التالية:

(١) تولي السلطة السياسية في هذه المرحلة من الحكام العباسيين،

- ١- المعتصم بالله بن هارون الرشيد (ت/ ٢٢٧ هـ).
- ٢- الواثق بالله هارون ابن المعتصم بالله (ت/ ٢٣٢ هـ).
- ٣- المتوكل على الله ابن المعتصم (ت/ ٢٤٧ هـ).
- ٤- المنتصر بالله ابن المتوكل (ت/ ٢٤٨ هـ).
- ٥- المستعين بالله ابن محمد بن المعتصم (ت/ ٢٥٢ هـ).
- ٦- المعتز بالله ابن المتوكل (ت/ ٢٥٥ هـ).
- ٧- المهدي بالله ابن الواثق (ت/ ٢٥٦ هـ).
- ٨- المعتمد بالله ابن المتوكل (ت/ ٢٧٣ هـ).

(٢) ومن الصفات الواضحة لأنظمة الحكم في هذه المرحلة،

- الظلم والجور وسفك الدماء.
- اشتداد الحصار حول الأنمة (عليه السلام) والمتابعات القاسية لأتباعهم وشيعتهم، وقد برز ذلك بشكل أكثر قسوة في أيام (المتوكل العباسي).

قال الحافظ السيوطي: «في سنة ست وثلاثين ومائتين أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام [عليه السلام] وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته، وخرّب وبقي صحراء، وكان المتوكل معروفًا بالنصب»^(١).

وقال ابن الأثير: «وفي هذه السنة (٢٣٦ هـ) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام [عليه السلام]، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه»^(٢).

(٣) وفي هذه المرحلة تم تصفية عدد كبير من الشخصيات البارزة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، ومن هذه الشخصيات،

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧: ٥٥.

نقد الاشكال الصلبي، ما هي الحكمة في غيبة الإمام المهدي وطول عمره؟، ٢٠٧

- ١- الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام.
- ٢- الإمام عليّ بن محمد الهادي عليه السلام.
- ٣- الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.
- ٤- عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار عليه السلام.
- ٥- يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار.
- ٦- أحمد بن عبد الله بن موسى بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ٧- عيسى بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.
- ٨- جعفر بن محمد بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ٩- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ١٠- أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ١١- الحسين بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ١٢- يحيى بن عليّ بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ١٣- محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- ١٤- جعفر بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن

علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٥- موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

بن أبي طالب عليه السلام.

١٦- عيسى بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله

بن جعفر بن أبي طالب.

١٧- محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن

أبي الكرام بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

١٨- علي بن موسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن

علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٩- محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن الحسن بن زيد بن الحسن بن

علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٠- علي بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢١- إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٢- عبد الله بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٣- أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الحسن بن إسماعيل بن

إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٤- أحمد بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين

بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٥- عبيد الله بن عبد الله بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي

بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٦- علي بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي

بن أبي طالب عليه السلام.

٢٧- محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٨- حمزة بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله

بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

٢٩- حمزة بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن

علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٠- محمد بن الحسن بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين

بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣١- إبراهيم بن الحسن بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين

بن أبي طالب عليه السلام.

٣٢- الحسن بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي

طالب عليه السلام.

٣٣- إسماعيل بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله

بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

٣٤- محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن زيد الأكبر

بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٥- موسى بن موسى بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن

بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٦- محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب عليه السلام.

٣٧- أحمد بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي

بن أبي طالب عليه السلام.

٤) السياسة المتشددة ضد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام،

نوجز هذه السياسة فيما يلي:

١- أمر المتوكل العباسي يحيى بن هرثمة بإشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء بهدف وضعه تحت الرقابة المشددة، وخوفاً من تعاطف نفوذه في المدينة المنورة.

يقول يحيى بن هرثمة: «دخلت المدينة فضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على عليّ [الإمام الهادي] وقامت الدنيا على قدم وساق، لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً المسجد لم يكن عنده ميلٌ إلى الدنيا، فجعلت أسكتهم، وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف، وأدعية، وكتب علم فعظم في عيني...»^(١).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّ الإشخاص بسبب وشاية بعض عمال السلطة العباسية - بريجة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين -^(٢).

وكثيراً ما يقوم جلاوزة النظام بتفتيش دار الإمام الهادي عليه السلام، وبشكل مباغت، فلا يجدون غير كتب الأدعية والعلم والقرآن الكريم^(٣).

٢- ولما تولّى السلطة المعتز العباسي مارس سياسة قاسية جداً ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وعُرف بالاستبداد والظلم، وقد قُتل في عهده عددٌ كبيرٌ من العلويين^(٤).

وفي عهده مات الإمام الهادي عليه السلام مسموماً^(٥).

٢- وفي عهد المهدي العباسي قاسى الإمام الحسن العسكري عليه السلام وشيعته الكثير من الظلم والتعسف والاضطهاد ومصادرة الأموال والأموال...

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٢٠٢ (على ما في تاريخ الإسلام ٢٠٨، ٢).

(٢) المسعودي: إثبات الوصية ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) تذكرة الخواص ٢٢٢.

(٤) الأصفهاني: مقال الطالبين ص ٤٢٤.

(٥) ابن الصبّاح المالكي: النصول المهمة ٢٧٩.

وفي هذا العهد تمّ اعتقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وضيق عليه في السجن أشدّ تضيق^(١).

قال المفيد في الإرشاد:

«دخل العباسيون على صالح بن وصيف [رئيس الأمراء في خلافة المهدي] عندما حبس أبو محمد [الإمام العسكري] عليه السلام فقالوا له: ضيق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟ قد وكلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمرٍ عظيم، ثمّ أمر بإحضار المؤكّنين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار، ويقوم الليل كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمع العباسيون انصرفوا خاسئين»^(٢).

٤- وفي عهد المعتمد العباسي استمرّت سياسة القمع والإرهاب ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

وفي هذا العهد استمرّ اعتقال الإمام العسكري والتضييق عليه، وقد جرت محاولات لتصفيته وباءت بالفشل، وذلك حينما سلّم أمر الإمام إلى يحيى بن قتيبة الذي كان يضيّق على الإمام، وقيل لما سلّم إلى نحرير [من خواصّ خدم بني العباس]^(٣). ويذهب بعض الدارسين إلى أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد اغتيل بالسّم من قبل السلطة، إذ دسّ السّم له المعتمد العباسي، الذي قد أزعجه تعظيم الأمة للإمام العسكري وتقديهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين، فجمع رأيه على القتل....^(٤).

(١) الإربلي: كشف الغمّة ٢: ٤١٤.

(٢) المفيد: الإرشاد ٢: ٢٢٤.

(٣) الكليني: الكافي ١: ٢٦/٤٣٠، الإرشاد ٢: ٢٢٤، تاريخ الإسلام ٣: ٤٠٢.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣: ٤١٣ - ٤١٤.

٥- وشهدت المرحلة مجموعة ثورات ضد السلطة العباسية إلا أن جميع هذه الثورات قد باءت بالفشل، وتم القضاء عليها من قبل النظام، من هذه الثورات:

■ ثورة الزنج بقيادة علي بن محمد الذي ادعى أنه ينتسب إلى الإمام علي عليه السلام، فكذب ذلك الإمام العسكري ^(١)، وقد صحب هذه الحركة قتل ونهب وسلب واحراق، وسيطرت على عدة أمصار، وأخيراً تمكنت الدولة من القضاء عليها ^(٢).

■ حركة ابن الصوفي العلوي بقيادة إبراهيم بن محمد وقد ظهر في مصر ^(٣)، ودارت بينه وبين جيش الدولة معارك وباءت حركته بالفشل وتم القبض عليه ^(٤).

■ ثورة علي بن زيد في الكوفة (سنة ٢٥٦ هـ) وقد تمكن من الاستيلاء عليها، إلا أنه أخيراً انهزم وقتل جماعة من أصحابه ^(٥).
■ وخرج مساور الخارجي وهزم وتم قتله ^(٦).

النقطة الثالثة ،

وفي ضوء هذه القراءة التاريخية للواقع السياسي في تلك المرحلة، هل تبدو الصورة بتلك البساطة التي حاولت الأوراق المرتبكة أن تقدمها لتوحي للقارئ بتفاهة «المبّر التاريخي والسياسي» والذي شكّل أحد منتجات «الغيبية والاختفاء».

(١) الإزبلي: كشف الغمة ٢: ٤٢٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤: ٤٣٠ - ٤٤٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤: ٤٢٢.

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤٤٧.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٢٩.

المسألة ليست كذلك، فالجو السياسي الذي عاصر بدايات (الغيبة) وما سبقها كان جواً مشحوناً بتعقيدات صعبة جداً في مواجهة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وفي مواجهة «الواقع الشيعي» الذي يشكّل «الانتماء» لمدرسة الأئمة عليهم السلام ولعلّ هذا ما أكّده بعض أحاديث الغيبة، حيث أشارت إلى سببين مهمين من أسباب الغيبة: السبب الأول: لكي لا تقع في عنق الإمام المهدي بيعة لأنظمة الحكم الظالمة. السبب الثاني: لكي لا يتعرض الإمام للقتل والتصفية.

نحاول أن نذكر هنا بعض الروايات،

السبب الأول: لكي لا تقع في عنق الإمام المهدي بيعة لأنظمة الحكم الظالمة:

١- هيون أخبار الرضا ٢، ٢٤٧ / حديث ٦،

• عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال:

«كأنّي بالشيعية عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه،

فقلت: ولمّ ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنّ إمامهم يغيّب عنهم.

قلت: ولمّ ذلك؟

قال: لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا خرج».

رجال الاسناد كلّهم ثقات أو مرضيين،

• أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

- محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ،
- «من مشايخ الصدوق، أكثر من الرواية عنه مترضياً ومترحماً - تقدم».
- أحمد بن محمد الهمداني ،
- [استظهر في المعجم كونه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة وهو ثقة جليل القدر - تقدم].
- علي بن الحسن بن فضال ،
- «من أجلاء الفقهاء والمحدثين الثقات - تقدم».
- الحسن بن علي بن فضال ،
- «أحد الفقهاء الأجلاء الثقات».

٢- كمال الدين ١، ٣٠٣ ب ٢٦ / حديث ١٤ ،

○ ○ عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال:
«للقائم منّا غيبةٌ أمدها طويل... - إلى أن قال - إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه».
رجال الإسناد، يعتمد عليهم ما خلا سهيل بن زياد الأدمي، فقد ضعفه كثيرون، ووثقه آخرون لكثرة رواية الأجلاء عنه، وكونه من شيوخ الإجازة.
منتهى المقال ٣ / ١٤٠٦.

ملاحظة ،

الخدشة في الإسناد - هنا - لا تضر ما دام المتن مطابقاً لمتون صحيحة الإسناد.

٣- كمال الدين ١، ٣١٦ ب ٢٩ / حديث ٢،

◉◉ عن الحسن بن علي عليه السلام في حديث قال:
«أما علمتم أنه ما منّا أحدٌ إلا وتقع في عنقه بيعةٌ لطاغيةٍ زمانه إلا القائم
الذي يُصلي عيسى بن مريم خلفه، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُخفي ولادته ويغيب
شخصه لئلا يكون لأحدٍ في عنقه بيعةٌ إذا خرج».
الإسناد فيه كلام، إلا أن المتن قريبٌ من متون صحيحة الإسناد.

ملاحظة،

لعل المقصود بالبيعة في لسان هذه الروايات أنهم عليهم السلام يعيشون في ظل أنظمة
الجور، وتقرض عليهم سياسات الأنظمة، أما الإمام المهدي عليه السلام فلا تملك الأنظمة
الجائرة أن تخضعه لسياساتها، كونه غائباً مستتراً.

٤- كمال الدين ٢، ٤٧٩ ب ٤٤ / حديث ١،

◉◉ عن أبي بصير عن أبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:
«صاحبُ هذا الأمرِ تَعَمَى ولادته على الناسِ لئلا يكون لأحدٍ في عنقه بيعةٌ إذا
خرج».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

◉ أبو جعفر الصدوق؛

- شيخ المحدثين المعروف.

◉ محمد بن موسى بن المتوكل؛

- «من مشايخ الصدوق الثقات - تقدّم في عدّة أسانيد».

◉ محمد بن يحيى العطار؛

- «أحد الفقهاء الأعلام الثقات».

● محمد بن عيسى،

- [مشترك بين محمد بن عيسى بن سعد ومحمد بن عيسى بن عبيد وكلاهما من الثقات الأجلاء - كما تقدم].

● محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس وأورعهم وأعبدتهم وأنسكهم - تقدم في أسانيد كثيرة».

● سعيد بن غزوان،

- «ثقة روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام». رجال النجاشي ج ١: ٤١٠ / الرقم ٤٧٧.

● أبو بصير،

- «من الثقات الأجلاء - تقدم».

٥- كمال الدين ٢، ٤٨٠ ب ٤٤ / حديث ٢،

○ عن جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«يُبْعَثُ الْقَائِمُ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ لِأَحَدٍ بَيْعَةٌ».

رجال الإسناد كلهم ثقات،

● أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

● (١) علي بن الحسين بن بابويه والد الصدوق،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية - تقدم».

● (٢) ومحمد بن الحسن بن الوليد،

- «من الفقهاء الأعظم الثقات - تقدم».

كلاهما عن:

- سعد بن عبد الله،
- «من فقهاء الطائفة الأجلّاء - تقدّم».
- محمد بن عيسى،
- [ابن سعد أو ابن عبيد وكلاهما من الثقات الأجلّاء كما تقدّم].
- ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب،
- «ثقة عين جليل القدر».

كلاهما عن:

- محمد بن أبي عمير،
- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدّم».
- جميل بن صالح الأسدي،
- «ثقة وجه روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام الموسوعة الرجالية الميسرة
١ / ١٢٤٧».

٦ - كمال الدين ٢، ٤٨٠ ب ٤٤ / حديث ٣،

- ● عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة».

رجال الإسناد كلهم ثقات:

- أبو جعفر الصدوق،
- شيخ المحدثين المعروف.
- علي بن الحسين بن بابويه،

- «أحد أعظم الطائفة الإمامية».

● محمد بن عبد الله ،

- «من فقهاء الطائفة الأجلاء».

● يعقوب بن يزيد ،

- «ثقة صدوق» الموسوعة الرجالية الميسرة ٢ / ٦٤١٠.

● والحسن بن ظريف ،

- «ثقة» الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ١٤٧٤.

جميعاً عن ،

● محمد بن أبي عمير ،

- «من أوثق الناس وأصدقهم - تقدم».

○ هشام بن سالم ،

- «أحد فقهاء الشيعة الأجلاء الثقات - تقدم».

٧ - كمال الدين ٢ ، ٤٨٠ ب ٤٤ / حديث ٥ .

●● عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«صاحبُ هذا الأمرِ تغيّبُ ولادتهُ عن هذا الخلقِ، لئلا يكونَ لأحدٍ في عنقه بيعةٌ إذا خرجَ، ويصلحُ اللهُ عزَّ وجلَّ أمره في ليلة».

رجال الإسناد كلهم ثقات.

٨- غيبة النعماني ٢١١ / حديث ٢٠ ،

●● عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«يقومُ القائمُ وليسَ في عنقه بيعةٌ لأحد».

المتن مطابق للمتون السابقة.

السبب الثاني : لكي لا يتعرض للقتل والتصفية :

١ - الكافي ١ / ٣٣٧ / حديث ٥ :

○ ○ عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام يقول:
«إنَّ للفَلام [يعني المهدي] غيبةً قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم؟
قال: يخافُ وأُمى بيده إلى بطنه [يعني يخاف القتل] ثمَّ قال: يا زرارة وهو
المنتظرُ وهو الذي يُشك في ولادته».

رجال الإسناد :

- ثقة الإسلام الكليني ،
- أشهر من أن يُذكر.
- علي بن إبراهيم ،
- «من أعلام الفقهاء الأجلاء الثقات - تقدّم».
- الحسن بن موسى الخشاب ،
- «من فقهاء الإمامية المعروفين كثير العلم والحديث، موسوعة طبقات الفقهاء
٨٨٤ / ٢».
- عبد الله بن موسى ،
- «روى عنه علي بن إبراهيم في تفسيره وروى له أصحاب الكتب الأربعة»
الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٣٣٩٨.
- عبد الله بن بكير ،
- «أحد الفقهاء والمحدثين الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا

والأحكام • موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٥١٢ .

• زرارة بن أعين ،

- «من مشاهير فقهاء الشيعة وأجلّانهم وثقاتهم - تقدّم في أسانيد كثيرة» .

٢ - ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ،

• • قال: روى سعد بن عبد الله عن جماعة من أصحابنا عن عثمان بن عيسى عن خالد بن نجيع عن زرارة بن أعين، وكلّهم ثقات، وطريق الشيخ إلى سعد بن عبد الله في التهذيبين والفهرست صحيح (انظر: الموسوعة الرجالية الميسرة ٢: الخاتمة/ الرقم ١٦٥) .

٣ - الكافي ١ ، ٣٤٠ / حديث ١٨ ،

• • روى الحديث نفسه بإسناد آخر رجاله كلّهم ثقات ما خلا جعفر بن محمد بن مالك وثقه الطوسي والمماقاني وضعّفه النجاشي وآخرون ...

٤ - كمال الدين ٢ ، ٣٤٢ ب ٣٣ / حديث ٢٤ ،

• • روى الحديث نفسه بإسناد رجاله كلّهم ثقات .

• أبو جعفر الصدوق ،

- شيخ المحدثين المعروف .

• أحمد بن محمد بن يحيى العطار ،

- «من مشايخ الإجازة حكم الأصحاب بصحة حديثه - تقدّم» .

• سعد بن عبد الله ،

- «من الفقهاء الأجلّاء الثقات - تقدّم» .

- أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري،
- «من أجلاء الفقهاء والمحدثين كبير الشأن، كثير الفضل، وافر الهبة والجلالة».
- موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٧٩٢.
- عثمان بن عيسى،
- «قال الشيخ في العدة: عملت الطائفة برواياته لأجل كونه موثوقاً ومتحرزاً عن الكذب، وعده ابن شهر آشوب من ثقات أبي الحسن عليه السلام».
- الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٢٥٩٧.
- خالد بن نجيع،
- «روى عنه ابن أبي عمير بسند صحيح في طريق الصدوق إليه».
- الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٢١٢١.
- زرارة بن أعين،
- «من مشاهير الفقهاء وثقاتهم».
- - كمال الدين ٢، ٤٨١ ب ٤٤٤ / حديث ١٩،
○ ○ ورواه بإسناد آخر صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام.
- أبو جعفر الصدوق،
- شيخ المحدثين المشهور.
- عبد الواحد بن محمد بن عبدوس،
- «من مشايخ الصدوق ترضى عليه في المشيخة، وصحح حديثه في العيون، وصحح العلامة روايته في التحرير».
- الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٢٤٧١.

○ علي بن محمد بن قتيبة ،

- «محدث فاضل، اعتمد عليه أبو عمر الكشي في كتاب الرجال، موسوعة طبقات الفقهاء ٤ / ١٥١١.

○ حمدان بن سليمان ،

- «قال النجاشي: ثقة من وجوه أصحابنا، الموسوعة الرجالية الميسرة ١ / ٢٠٤٤.

○ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ،

- «ثقة عين جليل القدر».

○ الحسن بن محبوب ،

- «من الفقهاء الأجلاء الثقات».

○ علي بن رثاب ،

- «ثقة جليل القدر - تقدم».

○ زرارة بن أعين ،

- من مشاهير الفقهاء وثقاتهم».

٦ - كمال الدين ٢ ، ٤٨١ ب ٤٤ / حديث ١٠ ،

○ ○ عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للفلام غيبة قبل قيامه، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه الذبح».

رجال الإسناد ثقات ،

○ أبو جعفر الصدوق ،

- شيخ المحدثين المعروف.

○ محمد بن علي ماجيلويه :

- «من مشايخ الصدوق، روى عنه كثيراً مترضياً مترخماً، حكم العلامة بصحة طريقه هو فيه، وتابعه المشايخ في عدّ روايته صحيحة، وفي الوسيط صرح بوثاقته» منتهى المقال ٦ / ٢٧٨٠.

○ محمد بن أبي القاسم عبيد الله :

- «قال عنه النجاشي والعلامة: سيّد من أصحابنا القميين، ثقة، عالم، فقيه، عارف بالأدب والشعر» رجال النجاشي ج ٢: ٢٥١ / الرقم ٩٤٨، الخلاصة ١٥٧ / ١١١.

○ أحمد بن أبي عبد الله البرقي :

- «أحد كبار الفقهاء والمحدثين، واسع الرواية، ثقة في الحديث، عارف بالسيرة والأخبار، وله باع في علم الرجال» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٧٨٨.

○ أيوب بن نوح :

- «أحد المحدثين الثقات، رجل صالح، شديد الورع، كثير العبادة، وكيل الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، عظيم المنزلة عندهما» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٨٢٢.

○ صفوان بن يحيى :

- «أحد كبار الفقهاء، وعيون المحدثين، ورع، غزير العلم، واسع الرواية، كثير التصانيف، ذو منزلة شريفة عند الإمام الرضا عليه السلام» موسوعة طبقات الفقهاء ٣ / ٩٤٧.

○ عبد الله بن بكير :

- «أحد المحدثين والفقهاء الأعلام المأخوذ عنهم الحلال والحرام - تقدم».

• زرارة بن أعين،

- «من مشاهير الفقهاء الأجلاء الثقات».

٧ - علل الشرائع ١، ٢٤٣ / حديث ١،

• عن أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا بد للغلام من غيبة، فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل».

رجال الإسناد ثقات،

• أبو جعفر الصدوق،

- شيخ المحدثين المعروف.

• محمد بن علي ماجيلويه،

- تقدم في الإسناد السابق.

• علي بن أبي القاسم ماجيلويه،

- «ثقة، فاضل، فقيه، أديب...» رجال النجاشي ج ٢: ٨٨ / ٦٨١.

• أبو عبد الله البرقي،

- [أحمد بن أبي عبد الله البرقي - تقدم في الإسناد السابق].

• محمد بن أبي عمير،

- «من أوثق الناس وأصدقهم وأعبدهم - تقدم».

• أبان وغيره،

[أبان مشترك بين أبان بن تغلب من الفقهاء الأجلاء الثقات وكان قارئاً

مفسراً لغويًا... وأبان بن عثمان الأحمر محدث حافظ فقيه وهو من أصحاب

الإجماع] موسوعة طبقات الفقهاء ٢ / ٢٨١، ٢٨٣.

النقطة الرابعة،

من الغباء جدًّا أن نفرض أن الواقع الإسلامي في تلك المرحلة كان مهينًا لدولة الحق المرتقبة.

فكلّ المفردات التي أثارها تلك الكتابات المشكّكة لا تُشكّل ظروفًا موضوعيةً لقيام مشروع الدولة الإسلامية الكبرى المرتقبة على يد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

ولكي نكتشف مستوى السذاجة في تلك الكلمات القائلة بأنه «لم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكري) لو كان موجودًا فعلًا أن يظهر هنا أو هناك، وأن يتحدّى السلطات العباسية الضعيفة جدًّا ويقيم دولته المعهودة...» لا بدّ أن نُعطي تصورًا عامًّا عن تلك الدولة المنتظرة العالمية والتي تحتاج إلى إعدادٍ طويلٍ وإلى توفير شروط وظروف واستعدادات صعبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ
وَعَلَّمَ قَوْمَهُ الْقُرْآنَ
وَإِلَّا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الظُّهُورِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ كَاطِمِ الْقُرُونِي

الطبعة الأولى

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

مؤسسة الوفاء

تلفون: ٣٨٦٨٦٨ - صرب: ١٤٧٥ - بيروت - لبنان

الفصل الثالث عشر

كيف عاش الى هذا اليوم؟

قبل كل شيء . . . إنني أعتقد أن المناقشة والمجادلة حول موضوع طول عمر الامام المهدي (روحي له الفداء) ليست مناقشة هادفة وبناءة ، بل هي تجاهل العارِف ، ونوع من العناد ، بدليل أننا لا نجد أحداً يناقش في طول أعمار الملائكة ، أو طول عمر إبليس (لَعنه الله) أو طول عمر الخضر (عليه السلام) الذي شرب من ماء الحياة وبقي حياً من عهد النبي موسى (عليه السلام) الى يومنا هذا^(١) وإنما المناقشات

(١) لقد ورد في الحديث عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال : « إن الخضر (عليه السلام) شرب من ماء الحياة ، فهو حي لا يموت حتى يُنْفَخ في الصور ، وإنه ليحضر الموبس كل سنة ، ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين (أي : يقول آمين) وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ، ويصل به وحدته » . إكمال الدين ج ٢ ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال : « . . . وأما العبد الصالح أعني الخضر (عليه السلام) ، فإن الله - تبارك وتعالى - ما طول عمره لنبوة قدرها له ، ولا لكتاب ينزله عليه ، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الانبياء ، ولا لإمامة يلزم عباده الإقتداء بها ، ولا لبطاعة يفرضها له ، بل . . . إن الله - تبارك وتعالى - لما كان في سابق علمه أن يُقدّر من عمر القائم (عليه السلام) في أيام غيبته ما يُقدّر ، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول ، طول عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك . . . إلا لعللة الإستدلال به على

والشبهات كلها حول طول عمر صاحب الزمان (عليه السلام) !

فلماذا هذا التهريج والتجاهل والإستهزاء؟؟!! .

هل هو بدافع البغض والعداء لآل رسول الله ؟ !

أم أنه إستبعاداً لقدرة الله تعالى ؟ !

وما قيمة الإستبعاد المنبعث من الجهل - أو العناد - أمام الأمر

الواقع؟؟!! .

أتذكر عندما نزل رُؤاد الفضاء على سطح القمر ، انتشر هذا الخبر

في شرق الأرض وغربها ، وتحذت عنه جميع الإذاعات والصحف ،

وظهرت صورة رُؤاد الفضاء - ساعة نزولهم على سطح القمر - على شاشة

التلفزيون ، ونقلتها الأقمار الصناعية الى كل مكان ، وبالرغم من كل

ذلك رأيت كثيراً ممن أعرفهم يستهزؤون بهذا الحادث ويعتبرونه من أكذب

الأساطير ، حتى قال لي أحدهم : إنني أتعجب منك كيف تُصدّق هذا

الخبر ؟ ! وكيف يُمكن للنصارى والكفار أن ينزلوا على القمر ؟ !

فهل أن استبعادهم وانكارهم يمنع حقيقة الوصول الى القمر ؟ !

طبعاً .. لا .

إن طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام) حقيقة ثابتة لا مجال

= عمر القائم (عليه السلام) ، وليقطع بذلك حجة المعاندين إثنائاً يكون للناس على

الله حجة ، إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٥٧ ، وبحار الأنوار للشيخ

المجلسي ج ١ ص ٢٢٢ .

لإنكارها أو التشكيك فيها ، وإن جميع الشُّبُهات - حول هذا الموضوع - لا قيمة لها ، لأنها من قبيل التشكيك في حرارة النار ، ونور الشمس في مُتَصَفِّ النهار ، وغير ذلك من الحقائق الثابتة .

بعد هذه المقدمة ، نأتي الآن لنبحث حول موضوع طول العُمر على ضوء القرآن الكريم ومن الناحية العقائدية وعلى ضوء العلم الحديث .

طول العمر على ضوء القرآن الكريم

إذا عرضنا مسألة طول العُمر على القرآن الكريم نجد نماذج من البشر قدَّر الله تعالى لهم أن يعيشوا قروناً طويلة ، وعند ذلك يكون طول عُمَر الإمام المهدي (عليه السلام) أمراً عادياً ، بل يكون طول عمر أيِّ إنسان - قدَّر الله له أن يعيش طويلاً - أمراً عادياً .

والآن إليك نموذجاً من القرآن الحكيم :

قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ (١) .

إن هذه الآية الكريمة تقول : إن الفترة التي دعا فيها نوح (عليه السلام) الى الله تعالى هي ٩٥٠ سنة ، فكم كان عمره يوم أرسله الله نبياً ؟ وكم عاش بعد الطوفان ؟

لقد وردَ في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : « عاش نوح ألفي سنة وثلاثمائة سنة ، فمنها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

يُبعث ، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ، وخمسمائة بعدما نزل من السفينة ونصب الماء^(١) فمصر الأمصار ، وأسكن ولده البلدان .. (٢)

وفي رواية أخرى : إن نوحاً عاش ألفين وخمسمائة سنة ، وعلى كل حال فمن الواضح أن نوحاً (عليه السلام) عاش هذه القرون الطويلة بقدره الله تعالى وقد روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال : « في القائم سنة من نوح ، وهي طول العمر »^(٣).

وتتجلى القدرة الإلهية في تحقيق مشيئته وإرادته ، وإخضاع الطبيعة، في قصة النبي يونس (عليه السلام) الذي ﴿ إلتقمه الحوت وهو مُلِيم ، فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾^(٤) فالظاهر من هذه الآية أن يونس لو لم يكن من المسبحين في بطن الحوت للبث حياً في بطن الحوت الى يوم القيامة .

وأما ما ذكره بعض المفسرين من (أن بطن الحوت كان قبراً له ، أي كان يموت ويبقى جسده في بطن الحوت الى يوم يبعثون) فهو خلاف الظاهر .

(١) نصب الماء : غار الماء . مصر الأمصار : بنى المذن .

(٢) تفسير البرهان للبحراني في تفسير الآية ، نقلاً عن كتاب الكافي للشيخ الكليني .

إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٢٣ .

(٣) كتاب إكمال الدين ج ١ ص ٣٢٢ و ٥٢٤ .

(٤) سورة البصافات ، الآية ١٤٢ - ١٤٤ .

وقد ذكر الزمخشري - في تفسيره الكشاف - ان الظاهر من قوله تعالى : ﴿لَلْبُطْنُ فِي بَطْنِهِ﴾ هو لبثه فيه حياً إلى يوم القيامة ، ومثله في تفسير البيضاوي .

ولعل المعنى - والله العالم - أن النبي يونس (عليه السلام) كان يبقى حياً محبوساً في بطن الحوت - مع حياة الحوت - الى يوم القيامة ، فيستفاد من هذه الآية أن الله تعالى قادر على أن يحفظ إنساناً من الموت في مكان لا هواء فيه ولا طعام ولا شيء من لوازم الحياة والبقاء ، بل ويحفظه من الهضم في بطن الحوت وصيرورته جزءاً من جسد الحوت ، الى ملايين السنين .

أليس الله تعالى بقادر على أن يحفظ وليه من الموت ويُعمره مئات السنين ؟ ! .

طول العمر من الناحية العقائدية :

وإذا نظرنا الى موضوع العمر من الناحية العقائدية وجدناه أمراً عادياً جداً ، لأن كل مؤمن بالله يعتقد أن الأجل بيد الله تعالى ، ومعنى هذا أن الله هو الذي يُقدر الأجل لكل نفس ولكل ذي حياة ، والله قادر على إطالة الأعمار كقدرته على تعجيل الأجل ، فاذا قدر الله تعالى لأحد عباده طول العمر فمن البديهي أن يُهيئ له الأسباب المادية ، والطبيعية الموجبة لطول العمر ، ومن الممكن أن يُسغفه - للعمر الطويل - بالأموال الطبيعية وبالموارثيات معاً ، أي ما وراء الطبيعة والمادة ، ولا يستلزم من ذلك خرق الطبيعة ولا العادة ، فكما أن هناك وسائل وعوامل لِقصر

العمر وتعجيل الأجل ، كذلك هناك وسائل لإطالة العمر وتأخير الأجل ، وكلا القسمين من الوسائل في قدرة الله تعالى على حدٍ سواء .

ولتوضيح هذا المعنى نقول : من الواضح أن جسم الإنسان يتعفن ويتلاشى بعد الموت ، وتتفرق أجزاؤه وتنقلب الى ديدان ، هذا من ناحية الطبيعة ، ولكننا نجد - في مدينة القاهرة - عشرات الأجسام المحنطة - من عهد الفراعنة - التي مرّت عليها آلاف السنين وهي لا تزال متماسكة الأعضاء والأجزاء ، فلا يُقال : هذا خرق الطبيعة ، بل الطبيعة ناقضت الطبيعة ، يعني أن التحنيط يُناقض ويمانع تعفن البدن وتلاشيه .

وإن تجاوزنا مرحلة تحنيط الأجسام الى مرحلة أعلى منها ، رأينا ما يوجب الدهشة والعجب ، فقد انهدمت قبور بعض عباد الله الصالحين فوجدت أجسادهم طرية لم يطرأ عليها أيّ تغيير ، فقد وجد جثمان الشيخ الصدوق - في إحدى ضواحي طهران - وقد مرّ على وفاته حوالي تسعمائة سنة ، وكان جسده طرياً^(١) ، وفي زماننا هذا ، أرادوا نقل مرقد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان من شاطئ نهر دجلة - ببغداد - الى جوار مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي - بالمدائن - فانهار القبر وظهر الجثمان ، فكأنه مات في ذلك اليوم ولم يتغير جثمانه وملاحه أبداً ، وكانت وفاته سنة ٣٦ من الهجرة ، مع العلم أنه لم يكن مُحنطاً بالتحنيط المتعارف ،

(١) توفي الشيخ الصدوق - رضوان الله عليه - سنة ٣٨١ ، وقد جُدّد البناء الموجود على قبره سنة ١٢٣٨ هـ - ووجد جسده طرياً حين تجديد البناء . ذكر ذلك بالتفصيل الخونساري في (روضات الجنّات) والتنكابني في (قصص العلماء) ، والمامقاني في (تنقيح المقال) وغيرهم .

ولأنما بقي جسده طرياً باذن الله تعالى .

والمشهور بين المؤمنين أن مَنْ واطَبَّ على غُسل الجمعة لا يبلى جسده .

إذن : فالطبيعة شيء ، وإرادة الله فوق الطبيعة ، ومشيتته فوق المادة والماديات ، لأنه تعالى خالق الطبيعة والمادة ، يُقلِّبها كيف يشاء ويتصرَّف فيها بما يريد ، فهو الذي مَنَحَ للأشياء طبيعتها .

فمن الممكن أن الإمام المهدي (عليه السلام) يُراعي في حياته النواحي الصحيَّة ، فيتناول ما ينفع ولا يضرُّ ، فيعيش سالماً عن جميع الأمراض ، وتكون جوارحه وأجهزة جسمه نشيطة تؤدِّي وظائفها على أحسن ما يُرام ، فالشَّيب والشيوخة والضعف والذُّبول لا طريق لها الى جسمه (عليه السلام) وإنما يتمتَّع بالطراوة والنضارة ، فكأنه شاب مُتكامل القوى . . سليم الأعضاء ، كلُّ ذلك بسبب القابليَّات والإستعدادات والطاقات التي أودعها الله تعالى في جسم الإمام المهدي (عليه السلام) .

وخلاصة القول : إنَّ الله تعالى هو الحافظ للإمام المهدي (عليه السلام) وهو الذي يصونه من نوائب الدهر وحوادث الزمان ، ويمدُّ سبحانه في عُمره (عليه السلام) بما يشاء ، ويحافظ على سلامة جسمه من كلِّ مرضٍ وآفةٍ وعاهة .

طول العمر على ضوء العلم الحديث

قبل أن ندخل في هذا البحث ، لا بأس أن نذكر كلمة بالمناسبة :

من المؤسف جداً أن بعض الشباب - في المجتمع الإسلامي - يقتنعون بكلمات الغربيين - من اليهود والنصارى وغيرهم - ويتلقونها بالتصديق والقبول حتى لو كانت فوق مستوى عقولهم ومشاعرهم ، ولكنهم يترددون في قبول الحقائق الماورائية الغيبية التي تتجاوز حدود المادة والطبيعة ، ويشككون فيها .

وهذا إن دلَّ على شيء فأنما يدلُّ على الإستعمار الفكري والثقافي الذي غزى البلاد الإسلامية ، وسلب الإيمان واليقين من قلوب كثير من الشباب الغافلين ، وأحدث فجوة كبيرة وبوناً واسعاً بين هؤلاء الشباب وبين الحقائق التي لا ترتبط بالمادة .

لقد دفع الإستعمار الشباب الى الإيمان بالماديات فقط ، والى رفض المعنويات والغيبيات .

فإذا قيل : قال المستر فلان ، وقال المسيو فلان ، وكتب البروفسور فلان ، وقال الفيلسوف فلان ، والمكتشف فلان ، والدكتور فلان ، الألماني أو الفرنسي أو الأمريكي ، أو الأستاذ بجامعة كذا ، أو الكاتب اليهودي ، أو الخبير المسيحي ، أو الزعيم الوثني ، فإن أقوال هؤلاء وآراءهم ونظرياتهم تُعتبر - عند هؤلاء الشبان - حياً يُوحى ، ويتلقونها بصدور رحبة وبكل تقدير !

أما إذا قلنا : قال الله تعالى ، أو قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أو ذكرنا حديثاً أو معجزة لأحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) نُقل عنهم تصديقهم

وصعب عليهم قبوله ! .

لماذا أيها المسلمون ؟ ! .

أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عالماً حكيماً
فيلسوفاً خبيراً مُكتشفاً ، مرتبطاً بالوحي ، مُتصلاً بالمبدأ الأعلى ؟؟ ! .

لماذا لا يُقَبَلُ كلامه ولا تُصدَّقُ أقواله وأخباره !!؟؟

إذا قلنا : إنَّ عُمر الإمام المهدي أكثر من ألف ومائتي سنة قالوا :
كيف يمكن ذلك ؟ وتردّدوا فيه ، أما إذا قيل : إنَّ المستر فلان قال : إنَّ
بإمكان الإنسان أن يعيش ألوف السنين ، صدّقوه وقبلوا منه !! لماذا ؟ !

قليلاً من التفكير والانتباه .

قليلاً من الوعي واليقظة .

إننا يجب أن نفتخر بعظماء الإسلام ، بالنبي العظيم ، بالإمام علي
العظيم ، بأهل البيت العُظماء ، ويجب أن نرفض الدُخلاء الذين دَسَّ
بهم الإستعمارُ الى مجتمعاتنا وأفكارنا وأذهاننا !

يجب أن لا ننسى أنَّ المسلمين هم رجال العِلْم الحديث وأبطاله ،
وأُنهم الذين فتقوا هذه العلوم وكتبوا عنها ونشروها !

ما قيمة الغربيين ؟ ! وما قيمة أقوالهم ونظرياتهم !!؟؟

لماذا نسينا أصالتنا ومجدنا ؟ .

إذا ذكروا قولاً أو نظريةً لداروين اليهودي ، وفرويد اليهودي ،
وآينشتاين اليهودي ، وسارتر الوجودي الملحد ، وأمثالهم - ممَّن أنكروا

الخالق وجحدوا الصانع ، ورَفَضُوا جميع الأديان ، وجاؤا بنظريات
فاشلة ، مُضادَّة للإسلام - رأيت هؤلاء الشباب ، يتلقون كلمات هؤلاء
بالقبول ، ويعتبرونها من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الشك والجدل !!

ولهذا ترى كثيراً من المؤلفين يَضطَرُّون الى الإستشهاد بكلمات
الغربيين ، لإقناع الشباب بالموضوع الذي يتحدثون حوله ! .

لماذا يا أبناء الاسلام ؟ ! .

لماذا يا شباب القرآن ؟ ! .

عودوا إلى إسلامكم ، وافتخروا به على غيركم .

إرفضوا الغرب ورجاله وأفكاره ، فإنه لا يزيدكم إلا وبالاً
وانحرافاً .

والآن أعود الى حديثي عن طول العمر على ضوء العلم الحديث :

إن مسألة طول العمر من المسائل التي لم يتحقق تحديدها بالضبط ،
فاذا قالوا : فلان عاش مئات السنين أو آلاف السنين ، فليس معنى ذلك
أنه عاش الحدَّ الأقصى من العمر الممكن للبشر أن يُدركه ، لأنَّ العمر
الممكن للبشر لم يتحقق تحديده - كما تقول بذلك آخر الإكتشافات
العلمية - .

وأما الأعمار القصيرة - في هذا الزمان وقبل هذا الزمان - فليست
مقياساً تُقاس عليه الأعمار ، لأنَّ الحياة مستلزمة - غالباً - للحوادث
والكوارث والآلام التي تُسبب قِصر العمر ، كسوء التغذية وسوء التهوية

وعدم رعاية التعاليم الصحية ، والأمراض الفتاكة ، وتراكم الهموم والاحزان ، التي لها كل الأثر في هدم الحياة والعقد النفسية التي تُسبب أمراضاً خطيرة على حياة الانسان وغيرها .

وفي هذا المجال ذُكر في صفحة ٢٣٩ من مجلة المقتطف المصرية ما نصّه : (... لكن العلماء الموثوق بعلمهم^(١) يقولون : إن جميع الأنسجة الرئيسية في جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين ، إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته . »

وفي صفحة ٢٤٠ من نفس العدد تقول : «وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة أن الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين أو المائة من السنين ، بل لأن العوارض تتاب بعض أعضائه فتتلفها ، ولإرتباط بعضها ببعض تموت كلها ، فإذا استطاع العلم أن يُزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها ، لم يبق مانع من استمرار الحياة مئات السنين^(٢) . »

ولم نقرأ في كتاب أو تقرير ، ولم نسمع من أي طبيب أو حكيم أو فيلسوف أن عُمر البشر قد تمَّ تحديده ، وأنه لا يمكن أن يتجاوز عمره ذلك الحدّ ، أو أن من المستحيل أن يعيش الإنسان ألف سنة مثلاً .

(١) ليس المقصود من كلمة (العلماء) - هنا - الفقهاء وعلماء الدين ، بل المكتشفون وعلماء العلم الحديث .

(٢) مجلة المقتطف المصرية ، في الجزء الثالث الصادر في سنة ١٣٧٩ هـ . في مقال تحت عنوان « هل يُخلد الإنسان في الدنيا ؟ » .

بل نجد أن الطب الحديث يأمل في أن يجد دواءً لطول العمر ،
ومنع الشيخوخة ، وحفظ خلايا جسم الإنسان والغُدَد التي تُنشِط
الأعضاء ، والمحاولات مبذولة في هذا المجال .

نعم . . العمر الطويل - في هذا الزمان - غير مألوف ، نظراً الى
الأعمار القصيرة التي يعيشها البشر اليوم ، فاذا كان الشيء غير مألوف
عندنا فليس معناه أنه محال وغير ممكن^(١) ، فالناس - فيما مضى - كانوا
يقطعون مسافة الف كيلومتر في شهر ، واليوم يقطعون هذه المسافة في
ساعة واحدة بالطائرة ، فلو أن إنساناً كان يُخبر الناس - قبل مائة سنة -
أنه يمكن قطع هذه المسافة في ساعة واحدة لما كانوا يصدّقونه ، بل كانوا
يَسْتَبعدون ذلك ، لأنه خلاف المألوف عندهم ، ولكن الخبر صحيح .

إن المجتمعات البشريّة - اليوم - تُعرف الأشياء حسب العادة
الجارية ، لا حسب الأصول العلميّة ، وحتى الذين لهم معرفة بالأصول
العلمية لا يدعون أنهم أحاطوا بجميع الأسباب والمسببات ، بل يعترفون
أنهم لا زالوا في بداية الطريق ، ويُقرّون بأنّ الأصول العلميّة التي خَفِيت
عنهم أكثر جداً مما ظهرت لهم .

فالمقاييس العلميّة - في هذا الكون - أكثرها سبّوطة ، ولم يستطع
البشر أن يُحيط بها علمياً ، وإنما استطاع أن يُدرك أشياء ظاهرة بدون أن
يعرف أسبابها وعِللها ، فكلُّ شيء له سبب ، وذلك السبب أيضاً له

(١) رُوِيَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : « كانت اعمار قوم نوح (عليه السلام) ثلاثمائة سنة . . ثلاثمائة سنة » اكمال الدين ج ٢ ص ٥٢٣ .

سبب ، وهكذا تجد الأسباب والمسببات متسلسلة ولا تستطيع أن تعرف السبب الأول - الذي يُقال له (عِلَّةُ العِلل) - إلا أن تقول : انها قُدرة الله سبحانه وإرادته .. لا غيرها .

المُعْمَرُونَ :

في تاريخ البشر توجد أسماء كثيرين من الذين عاشوا في هذه الحياة قرونًا طويلة ، وقد تعرَّض المؤرِّخون الى ذكر أسمائهم وبعض قضاياهم ، كما أفرد بعض العلماء - في كُتُبهم - فصلاً خاصاً لهم تحت عنوان « أخبار المعمرين » وذكروا فيه بعض ما يتعلَّق بهم ، ممَّا يدلُّ على أنَّ طول العمر ليس أمراً غريباً في حياة الإنسان ، بل كان شيئاً طبيعياً في بعض الأزمنة .

ونحن نذكر - هنا - أسماء بعضهم ، مع رعاية الاختصار :

- ١ - النبي آدم (عليه السلام) عاش ٩٣٠ سنة .
- ٢ - النبي سليمان بن داود (عليهما السلام) عاش ٧١٢ سنة .
- ٣ - لقمان الحكيم عاش ٤٠٠٠ سنة وقيل ٤٠٠ سنة .
- ٤ - الربيع بن الضبع الفزاري عاش ٣٨٠ سنة .
- ٥ - شدَّاد بن عامر عاش ٩٠٠ سنة .
- ٦ - عمر بن عامر عاش ٨٠٠ سنة .
- ٧ - قس بن ساعدة الأيادي عاش ٦٠٠ سنة .
- ٨ - عزيز مصر عاش ٧٠٠ سنة .
- ٩ - الريان - والد عزيز مصر - عاش ١٧٠٠ سنة .

٣٧٨ الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٣٥٤ الذين عاشوا في الدنيا طويلا

١٠ - لقمان العادي عاش ٥٦٠ سنة^(١).

وهناك الكثيرون - ممن سجّل التاريخ أسماءهم - الذين عاشوا مئات السنين ، ولا أرى حاجة الى ذكرهم ، وقد اكتفينا بالقرآن العظيم وقصة نوح (عليه السلام) وفيها الكفاية .

(١) وإن أردت المزيد من التفصيل فراجع كتاب إكمال الدين ج ٢ ص ٥٢٣ وما بعده، وكتاب بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٥ وما بعده .

البراهين العشرة

عقلا

وجود الأمل الثاني عشر

الجزء الثالث

تأليف

آية الله السيد طيب الجزيري (مدته)

مؤسسة دار الكتاب (الجزيري)، شارع ابرم - قم

الهاتف ٧٤٢٤٢٨ الفاكس ٧٤٤٥٦٨





هوية الكتاب

اسم الكتاب: البراهين الاثنا عشر على وجود الامام الثاني عشر
المؤلف: آية الله السيد طيب الموسوي الجزائري
تحقيق: مؤسسة علوم آل محمد عليه السلام - قم
صفء الحروف: مؤسسة دارالكتاب (قسم الكمبيوتر) تليفون: ٧٤٣٣٠٠
الفلم والزتك: تيزهوش
المطبعة: امير - قم
الطبعة الاولى: شعبان المعظم ١٤١٧ هـ. ق
العدد: ١٥٠٠ نسخة
الناشر: مؤسسة دارالكتاب (الجزائري)
شارع ارم ، قم ، ايران - تليفون: ٧٤٢٤٢٨ فاكس: ٧٤٤٥٦٨

حقوق الطبع و الترجمة و التصوير محفوظة للمؤلف



الاعتراض الرابع

أن طول عمره الى الآن - وهو ألف سنة و أزيد - خلاف الطبيعة لا يقبله من أوتي لباً قوياً و عقلاً سليماً .

(الجواب) أقول : انّ عدم قبول الانسان طول عمر المهدي عليه السلام ليس الآ من أجل اتكائه على عقله و علمه الناقلين ، و هو غير صحيح ، أمّا نقصان عقله فلعدم احاطته بحقائق أشياء العالم ، و أمّا نقصان علمه فدّل عليه قوله تعالى : ﴿ و ما أوتيتم من العلم الا قليلاً ﴾^١ .

(ألان ترى) أن الانسان كان يستبعد سابقاً طيرانه في الهواء و يحسبه محالاً ، و الآن صار ممكناً .

وكذلك كان يحسب محالاً أن يسمع صوتاً من بعد آلاف كيلومترات ، و الآن صار ممكناً .

وكذلك كان يحسب محالاً أن يرى صورته من بعد شاسع ، و الآن يراها .
وكذلك كان يحسب محالاً أن يرقى الى القمر ، و الآن قد عرج اليه و الى غير ذلك من الأمثلة .

كذلك طول حياة الانسان بل كل ذي روح محالٌ بالنسبة الى عقولنا الناقصة و الحال انه غير محال في الحقيقة .

طول الحياة ممكن عقلاً

أنا لا نعلم دقيقاً ما هو سبب تحوّل الانسان و الحيوان من الطفولية الى الشباب و من الشباب الى الهرم و من الهرم الى الموت . فهل هو مجرد كثر الغداة و مرّ العشي كما قال الشاعر:

أشباب الصغير و أفنى الكبيي ر كثر الغداة و مرّ العشي

أو هو من سبب خارجي كحرارة الشمس و برودة الشتاء فمن أجل توارد الحرارة و البرودة على جسم واحد حيّ تضمحل الخليّات الى أن تفقد عملها فترد الشيخوخة ثم الموت عليها ، فلو بقي هذا الجسم على حالة واحدة بدون أن يطرأ عليه هذه المؤثرات المغتيرة لأمكن بقاءه أزيد من الحياة الطبيعية .

(و من هنا) ذهب بعض خبراء علم الحياة (بيولوجيا) الى أنّ الجسم الحيواني اذا قلّت حرارته ثم جعل في جوف كتلة من الثلج ، ثم جعل هذه الكتلة في مكان درجة حرارته تحت الصفر لكي لا تذوب ، بقي هذا الجسم كما كان على مرّ سنين ، و لا يطرأ عليه تغيّرات الطبيعة ، و يبقى الى مدة طويلة ولو بعد مرور ألف سنة أو أزيد ، فلا يفقد حياته فيقوم حياً كلما اعيدت عليه الحرارة اللازمة ، بل أنا سمعنا أنهم قد بدؤوا هذا الاختبار عملياً أيضاً في أميركا .

قال في كتاب عقائد الامامية : « قد ثبت في علم الحياة و علم منافع الأعضاء و علم الطب امكان طول عمر الانسان اذا واطب على رعاية قواعد حفظ الصحة ، و أنّ موت الانسان ليس سببه أنه عمر تسعين أو ثمانين سنة أو غيرها ، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة ، و قد تمكّن بعض العلماء من اطالة عمر بعض الحيوانات ٩٠٠ ضعف عمره الطبيعي ، فاذا اعتبرنا ذلك في الانسان و قدرنا عمره الطبيعي

٨٠ سنة يمكن اطالة عمره (٧٢٠٠٠)، و من أراد تفصيل ذلك فليراجع الى مجلة الهلال الجزء الخامس من السنة ٣٨ (ص ٦٠٧ مارس ١٩٣٠).

قد كتب الشيخ الطنطاوي الجوهري في الجزء ١٧ من تفسيره الذي سماه بالجواهر ص ٢٢٤ في تفسير قوله تعالى: ﴿ و من نعمه ننكسه في الخلق ﴾^١ مقالة نشرتها « مجلة كل شيء » تحكي عن امكان اطالة العمر و تجديد قوى الشيوخ، و انّ الدكتور فوردنوف الذي طار اسمه في كل ناحية لاكطبيب، بل كمبشّر بامكان اطالة الأعمار الى ما فوق المائة، و بامكان عود الشباب بعد إجراء تجارب ذلك في الحيوانات.

قال: قد عملت الى الآن ٦٠٠ عملية ناجحة، و أقول الآن عن اقتناع أنه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ و ازالة غبار السنين عن وجوههم - الى أن قال - إنّ المرء يولد مستعداً للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته و نظام قواه قياساً على ما نراه في الحيوانات، أليس الانسان حيواناً مثلها.

على أنه لم ينفرد في هذا الرأي فكل الذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه و يرون طلائع النور من أبحاثهم بامكان اطالة العمر - الى أن قال - و يدعم هذا الرأي ما تراه من حياة بعض الانسان الذين عاشوا أعماراً طويلة، إنّ هنري فيكس الانجليزي الذي ولد في ولاية بورك بانكلترا عاش ١٦٩ سنة، و لما بلغ كان يحارب في معركة فلورفيلد.

و جون بافن البولندي عاش ١٧٥ سنة و رأى بعينه ثلاثة من اولاده يتجاوزون المائة من أعمارهم.

و يوحنا سور الذي توفي سنة ١٧٩٧م عاش ١٦٠ سنة ، وكان بين أولاده من هو في المائة و خمس سنوات .

و طوزمابار عاش ١٥٢ سنة ، و كورتوال ١٤٤ سنة .

على أن أكثر من عاش بين البشر حديثاً على ما يعرف هو زنجي بلغ ٢٠٠ سنة ، و الإحصاءات تدلّ على أنّ أعمار الناس أطول في اسوج و نروج و انكلترا منها في فرانس و إيطاليا و كل جنوب اوروبا .

و الغرض من ذلك كله أنّ مسألة طول العمر ليس من المسائل التي وقعت موقع انكار العلماء و أرباب المذاهب و الأديان ، بل قدر كل واحد منهم من طريق فته أو من طريق دينه و مذهبه ، فكل ما كان الانسان بقواعد حفظ صحة البدن أعرف ، يكون عمره أطول .

و من هنا قال بعض الأطباء : « الموت ينشأ عن المرض لا عن الشيخوخة »^١ .

طول الحياة ثابت عقيدة

كل من كان معتقداً بقدرة الله تعالى كما وصف به نفسه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^٢ (كّرر هذا القول في القرآن ٣٥ مرة) لا يشكّ في أنّ الله سبحانه و تعالى قادرٌ على أن يطيل عمر أيّ انسان الى ما يشاء ، و لا تمنعه من ذلك قوانين الطبيعة ، لأنّه هو جاعلها و فاعلها .

١ - عقائد الامامية ج ١ ص ٢٣٨

٢ - البقرة ٢ : ٢٠

و قد نصّ القرآن بإمكان طول حياة البشر بارادة الله الى يوم القيامة حيث يقول في قصة النبي يونس عليه السلام ﴿فلولا انه كان من المستبحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون﴾^١.

و قد نطق القرآن أيضاً بوجود «عين الحياة» في هذه الدنيا، التي من شرب منها عصم من الموت الى أن يميتة الله كما قال في قصة موسى و الخضر: ﴿واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقباً﴾ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾^٢.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: «إن يوشع حمل الحوت و الخبز في المكتل فنزل ليلة على شاطئ عين تسمى «عين الحياة» و نام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء و روحه عاشت، و قيل توضع يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش و وقع في الماء»^٣.

و من هذا (أي من قدرة الله) نرى أن عديداً من الأنبياء قد عاشوا طويلاً مثل نوح النبي عليه السلام فانه قد عاش بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاماً كما نطق به القرآن الحكيم ﴿فلبت فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً﴾^٤. و قبله ثلاثمائة و خمسين سنة فعلى هذا القول يكون عمر نوح ألفاً و ثلاثمائة سنة^٥.

و منهم من هو حيّ الى الآن مثل ادريس والياس و الخضر عليهم السلام قد صرح في

١ - الصافات ٣٧ : ١٤٤

٢ - الكهف ١٨ : ٦١

٣ - تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣٩٥

٤ - العنكبوت ٢٩ : ١٤

٥ - قصص الانبياء للنعلبي ص ٥١

كتب التاريخ بحياتهم^١ .

وكذلك عيسى بن مريم الذي نطق القرآن الكريم بحياته في قوله تعالى :
 ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (الى قوله) بل رفعه الله اليه ﴾^٢ وقوله تعالى :
 ﴿ وان من أهل الكتاب الا ليؤمننّ به قبل موته ﴾^٣ .
 فبعد ثبوت الحياة لهؤلاء المعصومين لا يبقى مجالٌ للاشكال على حياة
 المهدي عليه السلام وهو أفضل منهم لأنه خاتم الوصيين لخاتم المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

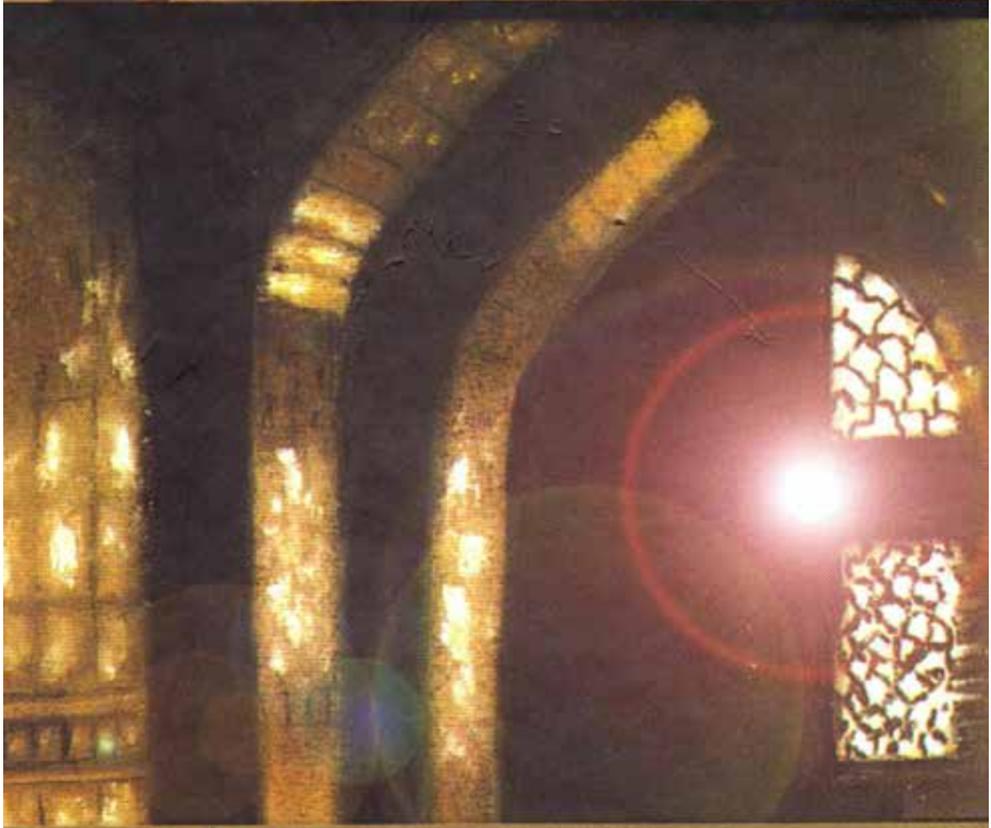
١ - المصدر ص ١٩٨ و ٢٣٠

٢ - النساء ٤ - ١٥٨

٣ - النساء ٤ : ١٥٩

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن
بن عيسى بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم بن عبد
مناف بن قصى بن كلاب بن
مؤدبه

على ضوء الأولة الأربعة



العلامة المحقق
الشيخ عبد اللطيف البغدادي

الدار الإسلامية

اسم الكتاب : الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة
المؤلف : سماحة الشيخ الخطيب عبد اللطيف البغدادي
الناشر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ الطبع: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة الليسيه اميكال مودرن
هاتف: ٠١/٥٥٣٨٦٣ - ٣٨٩١٦٦ / ٠٣ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠
WWW-DARALISLAMIA.COM INFO@DARALISLAMIA.COM

الفصل السادس

الإمام المهدي (ع) وغيبته وظهوره

إمامة المهدي عليه السلام في صباه، وطول عمره في غيبته

يا ليلة النصف من شعبان طوباكِ ربّ السماء بعين الطف يرعاكِ
مَنْ يحض فيك يفز في كل مكرمة مقره الخلد من بالذكر أحياكِ
فيكِ الزيارة للسط الشهيد غدت هذا لعمرِك من إحدى مزاياكِ
حويت أفضل ما يأتي الزمان به لَمَّا تولدَ فيكِ الحجّة الزاكي^(١)

الإمام الثاني عشر من أئمة الهدى إمامنا الحجّة المهدي عليه السلام المسمّى باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله والمكنى بكنيته (أبو القاسم محمد) وهو ابن الحسن العسكري وأمه أمّ ولد واسمها نرجس، ويقال لها صقيل ولد عليه السلام بسر من رأى ليلة الجمعة في النصف من شهر شعبان - وهي ليلة من ليال الإحياء المفضّلة - عند طلوع الفجر سنة مائتين وخمسين وخمسين من الهجرة على المشهور^(٢) في خلافة المعتمد العباسي، ولم يخلف أبوه الحسن العسكري ولدأ لا ظاهراً ولا باطنأ سواه فهو واحد لأبيه.

(١) الآيات للشيخ الخطيب عبد الرضا شريف(ره) أحد خطباء المنبر الحسيني وكان معاصرنا.
(٢) نص على ذلك شيخنا الكليني في (الكافي كما في شرحه الشافي) ج ٤ ص ٦٧١، ورواه الصدوق في (إكمال الدين) ص ٤٠٦ والطوسي في (الغيبة)، والطبرسي في كتابه (إعلام الوري) ص ٣٩٣، والمفيد في الإرشاد) وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص ٢٧٤ ونقل رواياتهم وغيرهم في ذلك المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢، ٤، ١٧، ٢٨.

٣٩٠.....الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

وكانت وفاة أبيه سنة مائتين وستين، فعلى هذا يكون عمر الإمام المهدي حين قام بالإمامة بعد وفاة أبيه خمس سنين - ونظراً إلى بقائه ﷺ حياً في غيبته حتى الآن - يكون عمره في هذا العام - الذي هو عام ألف وأربع مائة وست عشرة هجرية - ألفاً ومائة وإحدى وستين سنة، وهنا يرد سؤالان يفرض كل منهما نفسه السؤال الأول ما قد يقال:

هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي صغير لم يبلغ الحلم؟ والسؤال الثاني ما قد يقال:

وهل يجوز أن يعمر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وستين سنة؟ ولا يعلم إلى كم سيبقى في غيبته، وكم سيبقى بعد ظهوره؟

وهاتان مسألتان كلاميتان ونجيب عنهما مجملاً، أما الجواب عن السؤال الأول: هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي لم يبلغ الحلم نقول: نعم وذلك بناءً على ما هو الحق من أن أمر الإمامة والخلافة بيد الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد من الناس فيه اختيار، يجوز ذلك عقلاً ولا مانع منه مطلقاً.

وأما الجواب عن السؤال

الثاني: هل يجوز أن يعمر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة؟

نجيب عنه بمثل ما أجبنا عن السؤال الأول فنقول: لما كانت الأعمار طولها وقصرها بيد الخالق المتعال لا بيد خلقه لا مانع من أن يطول الله عمر من شاء من عباده عند اقتضاء الحكمة إلى ألوف السنين أو مئاتها إذ لا عجز في قدرته، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر/ ١١].

طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليهم السلام

ولنا أصدق شاهد وأعدل حاكم على ذلك طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليهم السلام أما نوح فيصرح القرآن المجيد في أنه لبث في قومه بعد بعثته رسولا إليهم تسعمائة وخمسين سنة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ١٤]، هذا عمره بعد بعثته بالرسالة وقبل نزول الطوفان بقومه المتمردين الظالمين، وإذا كم كان عمره حين بُعث بالرسالة؟ وكم عاش بعد

٣٩٢.....الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

إنجائه والمؤمنين معه من الطوفان؟ وكم كان مجموع عمره من ولادته إلى حين وفاته؟

تكفل بالجواب على هذه التساؤلات الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام الذي رواه شيخنا الصدوق في كتابيه (الأمالي) ص ٣٠٦، وفي (إكمال الدين) ص ٤٨٧ بسنده عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم (إلى الله) وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار، واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فرد نوح عليه السلام وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال: جئت لقبض روحك، فقال له: دعني أتحوّل من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعم، فتحوّل نوح عليه السلام ثم قال: يا ملك الموت فكأنّ ما مر بي في الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فأمض لما أمرت به فقبض روحه.

ونقله عن الصدوق القطب الراوندي في (فصوص الأنبياء)، ونقله عن المصادر الثلاثة المجلسي في (البحار) ج ١١ ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦، كما نقله أيضاً الطبرسي في (مجمع البيان).

ونقل المجلسي أيضاً في (البحار) ج ١١ ص ٢٨٧ عن القطب الراوندي في (فصوص الأنبياء) بإسناده عن عبد العظيم الحسيني قال: سمعت علي بن محمد العسكري (أي الإمام الهادي عليه السلام) يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة... الخ. فهذا ما ورد عن الإمامين الصادق والهادي عليه السلام من طرقنا في عمر نوح.

وأما ما ورد من طرق أهل السنة فقد روى السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٥ ص ١٤٣ قال: وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان عمر

نوح عليه السلام قبل أن يبعث إلى قومه، وبعد ما بعث ألفاً وسبعمائة سنة.

وقال أيضاً: وأخرج ابن جرير (أي الطبري) عن عون بن أبي شداد قال: أن الله أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة ورواه ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ٣ ص ٤٠٧ وقد نقله عن ابن أبي حاتم، وابن جرير وقال السيوطي: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (ذم الدنيا) عن أنس بن مالك قال: جاء ملك الموت إلى نوح عليه السلام فقال: يا أطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا ولذتها قال: كرجل دخل بيتاً له بابان فوقف وسط الباب ^(١) هنيئاً ثم خرج من الباب الآخر.

وقول ملك الموت له: (يا أطول النبيين عمراً يريد - على الظاهر - أطول عمراً من النبيين الذين سبقوه بالنبوة، إذ جاء بعده من كان أطول منه عمراً ومنهم الخضر عليه السلام).

والمستفاد من مجموع ما جاء في ترجمة الخضر عليه السلام أنه كان أحد أنبياء الله ورسله، وأنه هو الذي التقى به موسى بن عمران حينما كان معه فتاه وهو وصيه يوشع بن نون وذكر هذا اللقاء القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥].

وروى الصدوق في كتابه (علل الشرائع) ص ٥٩ بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عمارة عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: إن الخضر كان نبياً مرسلأ بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيدهِ والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه وكانت آيته أنه لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراً (أي بنور أخضر) وإنما سمي خضراً لذلك وكان

(١) ولعل الصحيح وسط البيت.

٣٩٤.....الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢

اسمه باليا بن ملكان بن عابر (أو عامر) بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام (أي كان بينه وبين نوح أربعة أظهر) ثم يشرح الإمام الصادق عليه السلام كيفية التفاته بموسى بن عمران وسببه، وما جرى بينهما مما ذكره القرآن المجيد، وأوضحه الإمام عليه السلام في حديثه من خرق السفينة، وقتل الغلام وإقامة الجدار، والعلل لهذه الأفعال وتأويلاتها، وإن كل ما قام به لم يفعله عن أمره وإنما فعله عن أمر الله عز وجل.

نقله عن (العلل) المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٨٦ كما أنه كان معاصراً لذي القرنين وهو أحد أصحابه المقربين لديه.

فهذا الخضر عليه السلام الذي اتفق علماء الخاصة والعامة على طول عمره، وحتى نقل ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ١ ص ٤٣٠ باب ما ورد في تعميره عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن كتاب (المعمرين) له أنه قال: أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أن الخضر عليه السلام أطول آدمي عمراً، وقال أيضاً ص ٤٣٢.

وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وآله وتعزيتة لأهل بيته وهم مجتمعون لغسله فروي من طرق صحاح، ثم ذكر بعض تلك الطرق فراجع (ذكر الأخبار) التي وردت أن الخضر كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله ثم بعده إلى الآن من ص ٤٣٥ - ٤٣٨، من الإصابة وباب (ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي صلى الله عليه وآله) ومن نقله عنه أنه رآه وكلمه من ص ٤٣٨ - ص ٤٤٧.

فالخضر عليه السلام حي موجود إلى زمن النبي صلى الله عليه وآله وقد التقى به مراراً، وجاء إلى داره بعد وفاته معزياً أهل بيته به على ما ذكره الفريقان وهو حي موجود أيضاً أيام الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ولا يموت إلى النفخ في الصور، أو حتى يسأل من الله الموت ولكن الله جل وعلا أخفاه على الناس كما أخفى أشخاصاً آخرين ومنهم الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وتدل بعض

الأخبار أنهما يجتمعان معاً ويأنس كل واحد منهما بالآخر كما سيأتي وتذكر الأخبار أيضاً سبب بقاءه طيلة هذه المدة وهو أن الله أطلعه على عين الحياة وشرب منها ولذلك أبقاه الله حياً ومن تلك الأخبار ما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم فقد روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٣٧١ بسنده عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى يُنفخ بالصور، وإنه ليأتينا فيسلم علينا فيسمع صوته ولا يُرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته. نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٢٩٩، وج ٥١ ص ١٥٢.

وروى الصدوق أيضاً في كتابه (إكمال الدين) ص ٣٦٨ بسنده عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً، فمكّن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها لم يموت حتى يسمع الصيحة، وأنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً، وكان الخضر عليه السلام على مقدمته، وكان صالحاً وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته في عين فانطلقوا وانطلق الخضر إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيا وأنساب في الماء، فلما رأى الخضر ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه، فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها، وأنت الذي خلقت لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور.

نقله عن الصدوق أيضاً المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٩٨ .

وروى القطب الراوندي في كتابه (قصص الأنبياء)، مخطوط، بسنده عن أبي جعفر (أي الباقر عليه السلام) ما يقارب هذا الحديث في مضامينه، ونقله عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٣٠٠، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل رواه الكثير من الخاصة والعامة: أن عين الحياة هي أول عين ماء خلقها الله تعالى وإنها هي التي انتهى إليها موسى بن عمران وفتاه (وهو يوشع بن نون) فغسل فيها السمكة المالحة فأحياها الله، ثم قال عليه السلام: وليس من ميت يصيب من ذلك الماء إلا أحياه الله، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين يطلب عين الحياة فوجدها الخضر وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين... الخ.

وهكذا جاءت أحاديث عديدة من طرق أخرى في أن الخضر عليه السلام أطلعه الله على عين الحياة وشرب منها فكانت السبب في بقاءه حياً إلى الآن وإلى ما شاء الله.

هنا نقول: إذا ما المانع في أن الله تعالى يُطلع الإمام المهدي أيضاً على تلك العين ويشرب منها فتكون سبباً لطول عمره من ولادته وحتى الآن وإلى ما شاء الله، والله هو مسبب الأسباب ولا يُعجزه سبب مطلقاً.

وورد أن الحكمة والعلة في إطالة عمر الخضر عليه السلام هي الاستدلال بها على إطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام على ما جاء هذا صريحاً عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له بقوله في آخره وأما العبد الصالح الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طَوَّلَ عُمرَهُ لنبوة قدرها له، ولا لكتاب يُنزلُهُ عليه ولا لشريعة ينسخ بها شريعة مَنْ كان قبله من الأنبياء ولا لإمامة يُلزم عباده الإقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إنَّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طَوَّلَ عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك

إلا لعله الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لثلا يكون للناس على الله حجة، راجع الحديث في (إكمال الدين) ص ٣٤٠ - ص ٣٤٤، ونقله عنه، وعن كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢١٩، ورواه أيضاً الطبرسي في (إعلام الوري) ص ٤٠٦ .

وأما عيسى بن مريم فإن اليهود كانت تدعي أنها قتلتها، وكذلك النصارى تظن أن اليهود قد قتلتها بالصلب، ولكن القرآن المجيد يرد إدعاء كل من اليهود والنصارى ويصرح بالتأكيد بأنه لم يقتل ولم يُصلب، بل أن الله رفعه إليه قال تعالى حاكياً زعم اليهود بقتلهم له: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أي أن الله ألقى شبهه على غيره وقتلوا ذلك الغير دونه، ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي سَلَكٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ﴿١٥٧﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ [النساء/ ١٥٧ - ١٥٩]، والذي يعطيه ظاهر هذه الآيات، وبالأخص الآية الأخيرة أنه حي عند الله وإنه لن يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب فعيسى حي موجود منذ ولد وحتى الآن، وينزله الله من السماء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام ويكون من أصحابه ويصلي خلفه كما جاء ذلك في الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين وإليك تفسير الآية الأخيرة ومعناها:

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ .

كلمة (إن) بمعنى ما النافية والمبتدأ محذوف منها ويدل عليه الكلام في سياق النفي والتقدير وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به كقوله تعالى في آية أخرى ﴿ وَإِنْ يَنْكُرْهُ إِلَّا وَاَرِدْهَا ﴾ [مريم/ ٧١] .

وتقديرها وإن أحد منكم إلا واردة، والضمير في قوله: به وقوله:

ولكن المراد من التوفي هل هو الموت؟ وهذا غير معلوم لأن معنى التوفي هو أخذ الشيء أخذاً تاماً، وإنما يستعمل في بعض الآيات بمعنى الموت، لأن الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه، وقد أطلق سبحانه في القرآن المجيد لفظ التوفي على النوم كما أطلقه على الموت في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ [الإنعام/ ٦٠]، أي يقبض أرواحكم عند النوم بالليل، و(يعلم ما جرحتم) أي ما كسبتم بالنهار، ومنها قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ أَلَّتْ فِيهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر/ ٤٢].

أي أن الله تعالى يأخذ النفس ويقبضها عند موتها، والتي لم تمت يتوفاها الله أي يأخذها في منامها، (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يبقبها محفوظة عنده، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، أي يرجعها بعد النوم إلى البدن إلى وقت أجلها المسمى عنده.. الخ.

فالتوفي معناه أخذ الشيء واستلامه، وذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا وَارْتُكِبْ عَلَیْهِ السِّبْطَ ﴾ [آل عمران/ ٤٦] عدة أقوال: أحدها أن المراد به إني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت، وهذا وارد عن الحسن وكعب، وابن جرير، وابن زيد، والكلبي، ومطر الوراق، وغيرهم، ويكون معنى التوفي أما إني قابضك ورافعك إلى السماء واقياً لم ينالوا منك شيئاً كقولهم: توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً، وإني متسلمك كقولهم: توفيت منه كذا أي تسلمته، وهذا قول لبعض المفسرين وهو المشهور.

والقول الثاني: متوفيك وفاة نوم ورافعك إليّ (أي إلى كرامتي) في النوم، وهذا وارد عن الربيع وغيره كثير قالوا: رفعه نائماً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ أي يقبض أرواحكم عند نومكم، وكان

٤٠٠ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢
رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: أحمد الله الذي أحيانا بعد أن أماتنا،
وشبه ﷺ النوم بالموت في عدة أحاديث.

والقول الثالث: إني متوفيك وفاة موت، وهذا وارد عن ابن عباس،
ووهب بن منبه ولكنهما قالوا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه
إليه. راجع تفسير الآية في (مجمع البيان) ج ١ ص ٤٤٩، و(مفاتيح الغيب) ج ٢
ص ٤٦٤، و(الدر المنثور) ج ٢ ص ٣٦، و(تفسير ابن كثير) ج ١ ص ٣٦٦
وغيرها.

وتصريح القولين الأولين للمفسرين أن عيسى حي لم يمت وأنه رفع إلى
السماء أما حالة اليقظة، أو في حالة النوم هذا التصريح تزيده (بالإضافة إلى
ظاهر الآيات - الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين التي تنص على أن عيسى
حي لم يمت، ومن تلك الأحاديث قول النبي ﷺ: إن عيسى بن مريم لم
يتمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة.

رواه الطبرسي في (مجمع البيان) م ١ ص ٤٤٩ ونقله عنه المجلسي في
(البحار) ج ١٤ ص ٣٤٤.

ومنها ما رواه السيوطي في (الدر المنثور) ج ٤ ص ٢٣٩ قال: وأخرج ابن
شاهين عن خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وإدريس
واثنان في الأرض الخضر والياس . . . الخ.

ورواه بن حجر العسقلاني في (الإصابة) من طريق آخر ج ١ ص ٤٣٩ في
باب، ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي ﷺ وفي هذا الباب روى أحاديث كثيرة
في من رآه وكلمه، ومجيئه إلى أهل البيت معزياً لهم بوفاة النبي ﷺ وتصريح
القول الثالث للمفسرين الوارد عن ابن عباس، ووهب، أيضاً يدل على حياته
حيث إنهما قالوا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، وقال

السيد محمد السيد حسين الحكيم ٤٠١

الفخر الرازي في (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٤٦٤ : وقد ثبت الدليل أنه حي، وورد الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم أنه يتوفاه بعد ذلك .

المصباح العجايب

مِنَ النَّظَرِيَّةِ إِلَى التَّطْبِيقِ

تأليف الأستاذ الدكتور
محمد بن عبد الله بن محمد



السيد نذير حسيني

الطبعة الثانية

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

اسم الكتاب: المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق

المؤلف: السيد نذير يحيى الحسني

الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م

الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٤ م

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٤ م



الشبهة الرابعة: طول العمر

من الشبهات التي أثيرت أمام مسألة حياة الإمام هي طول عمره الشريف وقابلية خلايا جسمه على الاستمرار والمداومة والعبور إلى مئات بل الآلاف من السنين، وعدم خضوعها إلى قانون الشيخوخة الصارم الذي لا يستثنى أحداً كما نشاهده عياناً.

وهذه الشبهة أصبحت ملاذاً ومرتعاً خصباً لكل أولئك الذين آمنوا بالمهدي ولم يؤمنوا بوجوده، بل أصبحت علماً يُرفع للتشهير بمن يؤمن بالموجود والموعود معاً، فاكتمنى أولئك بالمهدي بالموعود ووضعوا أمام أعينهم حجاباً كي لا يؤمنوا بالمهدي الموجود.

وقد تطرح هذه الشبهة على مستويين: نظري، وعقلي، وبالتدبر والمناقشة لم تستقر على مستوى من تلك المستويات.

أما على المستوى النظري، فإن العلم قد أخضع خلايا الكائن الحي إلى تجارب متعددة، واستطاع أن يتوصل إلى أن بإمكان العلم التلاعب بحياة تلك الخلايا إيجاباً أو سلباً، وهذا ما أقره الاستاذ (ريمند بول) وهو أحد أساتذة جامعة جونز هبكتس في الولايات المتحدة الأمريكية عندما قال:

«يظهر من بعض التجارب العلمية أن أجزاء جسم الإنسان يمكن أن تحيا إلى أي وقت أريد، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الانسان إلى مائة سنة وقد لا يوجد مانع من إطالتها إلى ألف سنة».

وهذا إنما يكشف عن صدق النظرية القائلة، بأن خلايا جسم الإنسان إنما

تتصرم نتيجة الاحتكاك بالعوامل الخارجية وليس كما قيل إن هذه الخلايا تحمل بذرة فناؤها فيها، فإذا استطاع العلم أن يوفر لخلايا الكائن الحي الموانع التي تمنع العوامل الخارجية من التأثير فيها، يمكن إطالة عمر تلك الخلايا واستمرارها. أما على المستوى العملي، فإننا نجد مجموعة كبيرة من الناس على مرّ العصور استطاعوا البقاء في هذه الدنيا لفترات طويلة جداً، فمن يؤمن بالله والقرآن يكفيه أن يطالع حياة نوح ولقمان والخضر وعيسى وغيرهم من الأنبياء الذين عمّروا طويلاً.

وأما من لا يؤمن بذلك فلا يستطيع ان ينكر الوقائع الخارجية التي تنقل من قبل العلماء من الطرف الآخر، فقد صدر كتاب بعنوان «حقائق أغرب من الخيال» جاء فيه:

«توفي (بيريرا) في عام ١٩٥٥م في وطنه الأم مونتريال في سن ١٦٦ عاماً وقد شهد على عمره أصدقاؤه وسجلات مجلس البلدية، وبيريرا نفسه الذي استطاع أن يتذكر بوضوح كبير معركة (كاراجينا) التي حدثت عام ١٨١٥م وفي نهاية حياته أحضر إلى نيويورك حيث فحصه جمع من الأطباء المختصين... وجدوه محتفظاً بضغظ دم رجل شاب ونبض شرياني صحيح وقلب جيد وعقل شاب»^(١).

وجاء في الكتاب أيضاً أن (توماس بار) عاش ١٥٢ عاماً، وهذا مصداق من مصاديق كثيرة جداً متحققة، حتى أن بعض العلماء ألف كتاباً بعنوان «المعمرون» ذكر فيه أعمار تجاوزت خمسمائة سنة، ألا وهو السجستاني صاحب كتاب السنن.

فإذا كان الأمر متحققاً على مستوى النظرية والتطبيق فلماذا الاستنكار في

(١) حقائق أغرب من الخيال: ص ٢٤، نشر مؤسسة الايمان، بيروت، ودار الرشيد، دمشق.

قضية رجل أريد له أن يُغيّر وجه المعمورة من الفساد والظلم إلى القسط والعدل.

واخيراً ننقل ما كتبه الرازي في الموضوع إذ قال:

قال بعض الأطباء، العمر الإنساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والآية تدل على خلاف قولهم والعقل يوافقها فإن البقاء على التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته وإلا لما بقي، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن لأن المؤثر فيه إن كان واجب الوجود فظاهر الدوام وإن كان غيره فله مؤثر وينتهي إلى الواجب وهو دائم فتأثيره يجوز أن يكون دائماً فإذا البقاء ممكن في ذاته، فإن لم يكن فلعارض، لكن العارض ممكن العدم وإلا لما بقي هذا المقدار، لوجود العارض المانع فظهر أن كلامهم على خلاف العقل والنقل^(١).



المهدي

بينه

تأليف

آية الله العظمى المرعوم
السيد صدر الدين الصدر
"قدس الله سره"

مكتبة المهمل

طاعة - نشر - توزيع
مبنى العلامة - ابيّة - علميّة
قرطاجية - مجلّد
الصفوحات

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

المهدي وطول عمره

قد ثبت بحسب الاخبار المتقدمة ان المهدي المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان ويملاً الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو ابو القاسم محمد بن الحسن العسكري وانه قد ولد ليلة النصف من شعبان سنة مائتين وست وخمسين ولازم ذلك طول عمره الشريف وانه قد مضى عليه حتى الآن اكثر من الف ومائة سنة والله اعلم بزمان ظهوره وأوان وفاته وطول العمر كذلك وان كان خلاف العادة الجارية بين الناس الا انه من الامور الممكنة بحسب النواميس الطبيعية وقد دل الدليل على طول عمره الشريف وحياته حتى يظهر وبعبارة اخرى ان طول عمره من الامور الممكنة وقد دل الدليل عليها فلا بد من القبول والاذعان .

تذكرة الامة ، قال : وعامة الامامية على ان الخلف الحجة موجود وانه حي يرزق ويحتجون على حياته بأدلة منها ان جماعة طالت اعمارهم كالخضر والالياس فانه لا يدري كم لهما من السنين وانهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا وفي التوراة ان ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون الفا وخمسمائة وقال محمد بن اسحق عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في حجر آدم وعناق امه وقتله موسى بن عمران وابوه سبحان وعاش الضحاك وهو بيورسب الف سنة وكذلك طهمورث واما من الانبياء فخلق كثير بلغوا الالف وزادوا عليها كأدم ونوح وشيث ونحوهم وعاش قينان

تسعمائة سنة وعاش مهلائيل ثمانمائة سنة وعاش نقيل بن عبد الله سبعمائة وعاش سطيح الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة وعاش عامر بن الضرب خمسمائة سنة وكان حاكم العرب وكذا يتم الله بن ثعلبة وكذا سام بن نوح وعاش الحرب ابن مضاض الجرهمي اربعمائة سنة وهو القائل كان لم يكن بين الجحون الى الصفا وكذا ارفخشد وعاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة وعاش كعب بن جمخة (جسمه خ) الدوسي ثلاثمائة وتسعين سنة وعاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة في خلق يطول ذكرهم . انتهى .

مطالب السؤل ، قال : واما عمره فانه ولد في ايام المعتمد على الله خاف فاخفى والى الآن فلم يمكن ذكر ذلك اذ من غاب وانقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته وقدرة الله واسعة وحكمه والطفه بعباده عظيمة عامة ولوازم عظماء العلماء ان يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا الى ذلك سبيلا ولاقلب طرف تطلعهم اليه حسيرا وحده كليا واملا عليهم لسان عجزهم عن الاحاطة به وما اوتيتهم من العلم الا قليلا وليس يسدع ولا استغرب تعميم بعض عباد الله المخلصين ولا امتداد عمره الى حين فقد مد الله تعالى اعمار جمع كثير من خلقه من اصفياه واوليائه ومن مطروديه واعدائه فمن الاصفياء عيسى (ع) ومنهم الخضر وخلق آخرون ممن الانبياء طالت اعمارهم حتى جاز كل واحد منهم الف سنة او قاربها كنوح (ع) وغيره واما من الاعداء المطرودين فابليس والدجال ومن غيرهم كماد الاولى كان فيهم من عمره ما يقارب الالف وكذلك لقمان صاحب اليد وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعبير بعض خلقه فأبي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الى ان يظهر فيعمل ما حكم الله له به . انتهى .

طول عمر الانسان

لا اشكال في ان رعاية قوانين حفظ الصحة وما قرره الشرع والطب في معيشة الانسان وتدرجه في الحياة لها دخل عظيم في صحة مزاجه وطول عمره وهكذا العكس ولذا نرى ان الوفيات في هذا الزمان في بعض الممالك اقل من السابق والمعمرين فيها اكثر من ذي قبل ، وما هو الا لشدة مراعاة مقررات حفظ الصحة فعلا اكثر من السابق ومن هنا استت شركات مهمة تضمن حياة الانسان الى امد معلوم وزمان معين تحت مقررات خاصة وحدود معينة جارية على قوانين حفظ الصحة ، ونرى اثرها بالوجدان خارجا ولو لم يكن لها اثر لما توجه اليه العقلاء .

اذا كانت رعاية قوانين حفظ الصحة ومقرراتها توجب صحة الانسان وطول عمره فكلما ازدادت كانت الصحة اتم والعمر اطول وما نشاهده بالوجدان من اختلاف الصحة وطول الاعمال وقصرها باختلاف كيفية المعيشة والمكان الذي يعيش فيه اعدل شاهد واصدق حاكم على ما قلنا .

فلو فرض اجتماع موجبات الصحة واسباب حال الانسان من كل وجه طال عمره الى ما شاء الله واصول هذه الاسباب والموجبات ثلاثة :

الاول : يكون الانسان حيث كان مادة صرفة في صلب ابيه وساعة اتقاله الى رحم امه ونموه في بطنها ورضاعه في حجرها فان رعاية الوالدين لاسباب الصحة في هذا الدور هو الحجر الاول لحفظ صحة ولدهما فكم من ولد وابن غالته المنية في طفولته او زمان شبابه وليس هناك سبب الا مرض الاب او الام او عدم محافظتهما على اسباب حفظ

الصحة وترك مراعاتها لموجباتها فالجناية في امثال المقام من الوالدين ومسؤولية حرمان الولد من الحياة الطبيعية عليهما وليت الآباء والامهات فرضوا على انفسهم هذه الرعاية واخرجوها عن المسؤولية .

الثاني : الهواء الذي يستنشقه والطعام الذي يأكله والمائعات التي يشربها والالبسة التي يلبسها والمحيط والمكان الذي يعيش فيه فان رعاية موجبات الصحة ومقرراتها في كل واحد من هذه الامور الخمسة من حيث الكم والكيف والعمر والسن والقوة والضعف والزمان والمكان من اهم ما يدخل في موجبات صحة الانسان وطول عمره فكلم من انسان اخترمته المنية ومات قبل اوانه الطبيعي وفقد الحياة المحبوبة عند كل ذي حياة بالذات لعدم مراعاة ما ذكرنا في احد هذه الامور الخمسة وقد صرح جماعة من الاطباء والدكاترة بان اكثر الذين يموتون ليس بالاجل الطبيعي بل لعوارض خارجية نشأت من عدم رعاية مقررات حفظ الصحة في احد هذه الامور وقد نقل كلمات بعضهم حضرة الفاضل فريد وجدي افندي في دائرة المعارف .

الثالث : العوارض الخارجية والحوادث الكونية والواردات القهرية من الحر والبرد الخارجين عن المتعارف او من الآلام والاسقام او من المصائب والمؤلمات او من الهموم والغموم أو من الاعمال والحركات فان لها الاثر التام في حفظ صحة الانسان وانحرافها وطول عمره وقصره فكلم من انسان قتله الحر والبرد او أماته شدة الألم والسقام او سلب حياته وقع المصائب والمؤلمات او ابلى جديده تأثير الهموم والغموم أو انحزل جسمه من شدة الاعمال والحركات ، ولولا ذلك لعاش طويلا .

لو فرض الانسان رعاية مقررات حفظ الصحة في الاصول الثلاثة المتقدمة فما هو المانع من ان يعيش الى ما شاء الله ويتعم في هذه الحياة مئات من السنين بل ألوفا . اني كلما افكر في هذا الموضوع

وأراجع بعض الكتب المناسبة لا أرى مانعا ودليلا يدل على الخلاف بل ربما كان الواجد ان يشهد بوجود المقتضى فضلا عن عدم المانع .

ان استمرار الحياة والقوى المودعة في الانسان لم تزل غامضة خفية والطب مع رقيه اليوم لم يقف عليها تماما ولم يعرف حقيقتها على ما هي عليها كما صرح به بعض اجابنا من الاطباء .

قال : وطالما دعيت الى عيادة مريض فرأيتة بحسب القواعد الطبية قريبا من الموت بل احتمال حياته واحد في المائة فخرجت من عنده وانا آيس من حياته وعدته ثانيا بعد ساعات او في اليوم الثاني فرأيتة صحيحا واحتمال الموت فيه واحد في المائة وربما دعيت الى عيادة مريض فشاهدت عكس الاول . نعم ، ان طول عمر الانسان مئات من السنين خلاف العادة بمعنى ان اجتماع موجبات حفظ الصحة من جميع الجهات والخصوصيات التي اشرنا اليها سابقا امر نادر جدا ولم يتفق لغالب الناس في غالب الامكنة في غالب الازمنة ولكن لو فرض اجتماعها فطول العمر بلغ ما بلغ جاريا على وفق العادة والنواميس الطبيعية والمخالفة انما هي في اجتماع الاسباب لا في موجبات طول العمر .

وانت اذا احطت خبرا بما ذكرنا ووقفت على ما سيأتي من مقال المقتطف تعرف ان قوله سبحانه وتعالى في سورة الصافات في ذيل قصة يونس على نبينا وآله وعليه السلام (فلولا انه كان من المسيحين للبعث في بطنه الى يوم يبعثون) جرى مجرى العادة وانه يمكن ان يعيش الانسان بل الحيوان في قعر البحر الى يوم البعث كيف لا وان الله على كل شيء قدير .



٥١٥

أخبار الميقات

مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ٢٤٤ هـ

وَيَلِيهِ كِتَابُ

الْبَيَانِ فِي أَخْبَارِ صَاحِبِ الزَّهْرَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلْكَاتِبِ الشَّافِعِيِّ ٦٥٨ هـ

مُؤَسَّسَةُ النُّشْرِ الْإِسْلَامِيِّ

التَّابِعَةُ لِجَمَاعَةِ الْمُدَرِّسِينَ بِعُيُونِ الْمَشْرِفَةِ

البيات

في أخبار صاحب الزمان عليه السلام

تأليف

الحافظ أبي عبد الله محمد بن يوسف
النوفلي القرشي الكنجي الشافعي

التوفي سنة ٦٥٨ هـ

الباب الخامس والعشرون*

في الدلالة على جواز بقاء المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ حياً باقياً
منذ غيبته الى الآن

ولا امتناع في بقاءه بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من اولياء الله تعالى وبقاء الدجال وابليس الملعونين من اعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه ثم انكروا جواز بقاء المهدي وها انا ابين بقاء كل واحد منهم فلا يسمع بعد هذا لعاقل انكار جواز بقاء المهدي عليه السلام.

وانما انكروا بقاءه من وجهين «احدهما» طول الزمان «والثاني»: انه في سرداب من غير أن يقوم احد بطعامه وشرابه وهذا ممتنع عادة.

قال مؤلف الكتاب محمد بن يوسف بن محمد الكنجي: بعون الله نبتدي. واياه نستكفي وماتوفيقي إلا بالله جلاله:

أما عيسى عليه السلام، فالدليل على بقاءه قوله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» (١) ولم يؤمن به احد منذ نزول هذه الآية الى

(١) سورة النساء الآية ١٥٩.

يومنا هذا، ولا بد ان يكون ذلك في آخر الزمان.

وأما السنة فإرواه مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب بإسناده عن النواس بن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال. قال: فينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (١) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين (٢). وإيضاً ما تقدم من قوله صلى الله عليه وآله: «كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم» (٣).

وأما الخضر والياس: فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر والياس باقيان يسيران في الأرض.

وإيضاً: فأرواه مسلم في صحيحه كما أخبرنا الحافظ محمد بن أبي جعفر القرطبي والعدل الحسن بن سالم بن علي، وغيرهما بدمشق قالوا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن صدقة، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر، أخبرنا أبو أحمد محمد، أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، حدثني عمرو الناقد، والحسن الحلواني، وعبد بن حميد قالوا: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبو صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أبا سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب

(١) اليهوديتين: بالدال المهملة والمعجمة وهما ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٨ ص ٦٧ ضمن حديث (كنز العمال ١٨٧: ٨، فيض القدير ١٧: ٦)

(أ)

(٣) ثم سبق هذا الحديث في الباب السابع من هذا الكتاب (مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٣٦ و ج ٣: ٣٦٧، تذكرة

الخواص: ٣٦٤ (أ)).

المدينة فينتهي الى بعض السباح التي تلي المدينة، فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو: من خير الناس - فيقول له: اشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه، فيقول الدجال: رأيتم ان قتلت هذا ثم أحبيته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ماكنت فيك قط أشد بصيرة من الآن، قال: ف يريد الدجال أن يقتله ثانيا فلا يسلط عليه.

قال ابواسحاق - وهو ابراهيم بن محمد بن سعد - : يقال أن هذا الرجل هو الخضر.

قلت: هذا لفظ مسلم في صحيحه (١) كما سقناه سواء.

واما الدليل على بقاء الدجال: اخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن بركات ابن ابراهيم، قال: اخبرنا المقري ابوالفضل عتيق بن ابي الفضل بن سلامة السلماني، قال: اخبرنا محدث الشام الحافظ ابوالقاسم بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر، اخبرنا فقيه الحرمين ابوعبدالله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي، اخبرنا ابوالحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي اخبرنا ابو احمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، اخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، اخبرنا الحافظ ابوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، حدثنا عبدالوارث بن عبدالصمد بن عبدالوارث، وحجاج بن الشاعر، وكلاهما عن عبدالصمد. واللفظ لعبدالوارث بن عبدالصمد. قال: حدثني ابي عن جدي عن الحسين بن ذكوان، حدثنا ابن بريدة، حدثنا عامر بن بن شراحيل الشعبي - شعب همدان - انه سأل فاطمة بنت قيس اخت الضحاك بن قيس وكانت من

المهاجرات الأول. فقال: حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسديه الى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لافعلن فقال لها: أجل حدثني فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فاصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما تأيمت (١) خطبني عبدالرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وخطبني رسول الله صلى الله عليه وآله على وليه اسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من احبني فليحب اسامة. فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: امري بيدك فانكحني من شئت. فقال: انتقلي الى أم شريك - وأم شريك امرأة غنية من الانصار عظيمة النفقة في سبيل الله تنزل عليها الضيفان - فقلت: سأفعل. قال: لا تفعلي إن أم شريك كثيرة الضيفان، فاني اكره أن يسقط عنك خارك وينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي الى ابن عمك عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم - وهو رجل من بني فهر - فهر قريش - وهو من البطن الذي هي منه - فانتقلت اليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي - منادي رسول الله صلى الله عليه وآله - ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: ليلزم كل انسان مصلاة ثم قال: هل تدرون لم جمعتمكم؟ فقالوا: الله ورسوله اعلم. قال: اني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتمكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت احدثكم عن المسيح الدجال.

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم ارفوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما انت؟ قالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة؟ قالت: ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق. قال: لما سممت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانه قال: انطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان رأيناه خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا: ويلك ما انت؟ قال: قد قدرتم على خبري فاخبروني ما انتم؟ قلنا: نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (١) فلعب بنا الموج شهراً، ثم ارفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في اقرها فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما انت؟ فقالت: انا الجساسة قلنا: ما الجساسة؟ قالت: اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فاقبلنا اليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانه فقال: اخبروني عن نخل بيستان قلنا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال: اسألكم عن نخلها هل يثمر؟ فقلنا له: نعم. قال: أما انه يوشك ان لا يثمر، قال: اخبرني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال: اما ان ماءها يوشك أن يذهب، قال: اخبروني عن عين زغر (٢)

(١) الغلظة: شهوة الضراب، وغلم العير: هاج من شدة، واستعماله في البحر من باب الاستعارة أي هاج

وجاوز حده المعتاد.

(٢) عين زغر: بزاي وغين معجمتين وراء مهملة بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

قالوا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ هل يزرع اهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها، قال: اخبروني عن نبي الاميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج مهاجراً من مكة ونزل يشرب قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فاخبرناه انه ظهر على من يليه من العرب فاطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: اما ان ذلك خير لهم أن يطيعوه واني مخبركم عني انا المسيح الدجال، واني اوشك أن يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية إلا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما اردت ان ادخل واحدةً مهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وان على كل نقب (١) منها ملائكة يحرسونها، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة الأهل كنت احدثكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. فانه اعجبني حديث تميم انه وافق الذي كنت احدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا انه في الشام أو بحر اليمن لابل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو؟ وأومى بيده الى المشرق قال: فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله. قلت: هذا حديث صحيح متفق على صحته، وهذا سياق مسلم وهو صريح في بقاء الدجال.

واما صاحب الكشف الخفي في مناقب المهدي (٢) فقد استدل على

(١) النقيب: الطريق.

(٢) نقل عنه السيد ابن طاووس أيضاً في الطرايف وعنه في البحار ج ٥١ ص ١٠٥ وثمة تعريف بفهرسة احاديثه

وجود الدجال بحديث ابن الصياد وانه رآه الرسول صلى الله عليه وآله وحلف عمر وقال: والله انك الدجال. وهو حديث صحيح متفق عليه، لكن لا يدل على وجود الدجال لأن الرسول صلى الله عليه وآله لم يجزم على ابن الصياد انه الدجال بدليل قوله صلى الله عليه وآله لعمر ان يكنه فلا تسلط عليه، وان لم يكنه فلا خير لك في قتله، واما يمين عمر فانه كان على غلبة الظن، والذي يدل على ان ابن الصياد لم يكن هو الدجال انه اخبر صلى الله عليه وآله انه مكتوب بين عينيه «ك ف ر» ولم ينقل عن ابن الصياد ذلك.

والجمع بين الحديثين عندي هو ما اخبرني به الحافظ مفتي الشام ابو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان المعروف بابن الصلاح بدمشق، والحافظ مؤرخ العراق ابو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار ببغداد بالمدرسة الشريفة، قالوا: اخبرنا الشيخ المقرئ ابو الحسن بن محمد بن علي الطوسي قراءة عليه، ونحن نسمع بنيسابور اخبرنا ابو عبدالله محمد بن الفضل، اخبرنا ابو الحسين عبدالغافر، اخبرنا ابو احمد محمد اخبرنا ابو اسحاق ابراهيم، اخبرنا ابو الحسين مسلم، حدثني زهير بن حرب واسحاق بن منصور قالوا: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك، عن ابي الزناد، عن الاعرج، عن ابي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

فلا وجه للجمع بينهما عندي الا هذا وان يكن ابن الصياد أحد

الدجالين فيجب حملهُ على هذا لئلا يلزم النقض في كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَنَّهُ رَأَى ابْنَ الصِّيَادِ قَالَ: أَخْبَرَنِي تَمِيمُ الدَّارِيُّ أَنَّهُ رَأَاهُ.

وأما الذي استدل على وجود الدجال بحديث ابن الصياد فقد زل ولم يكن علم الحديث من فنه وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ «لَيْسَ مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلَقَ اكْبَرَ مِنَ الدَّجَالِ» (١).

وأخبرنا محمد بن أحمد الحافظ الإمام بجامع دمشق وغيره، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر، أخبرنا أبو أحمد محمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم، أخبرنا أبو الحسين مسلم الحافظ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا يحيى بن حمزة عن الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد الله عن عمه أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ.

قلت: هذا حديث متفق على صحته وهذا سياق مسلم (٢).
وأما الدليل على بقاء إبليس اللعين فأبي الكتاب نحو قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ» (٣)
وأما بقاء المهدي عليه السلام: فقد جاء في الكتاب والمسنة.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٨ ص ٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ج ١٨ ص ٨٥.

(٣) سورة الاعراف الآية ١٥.

أما الكتاب: فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عز وجل: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (١) قال: هو المهدي من عتره فاطمة عليها السلام.

وأما من قال: إنه عيسى عليه السلام فلا تنافي بين القولين إذ هو مساعد للإمام على ما تقدم.

وقد قال مقاتل بن سليمان ومن شاعره من المفسرين في تفسير قوله عز وجل: «وَأَنَّهُ لَعَلَّمٌ لِّلسَّاعَةِ» (٢). قال: هو المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان وبعد خروجه يكون قيام الساعة وأماراتها.

وأما السنة: فما تقدم في كتابنا من الأحاديث الصحيحة الصريحة.

وأما الجواب عن طول الزمان: فنحن حيث النص والمعنى.

أما النص: فما تقدم من الأخبار على أنه لا بد من وجود الثلاثة في آخر الزمان وانهم ليس فيهم متبوع غير المهدي، بدليل أنه إمام الأمة في آخر الزمان وإن عيسى عليه السلام يصلي خلفه كما ورد في الصحاح ويصدق في دعواه والثالث هو الدجال اللعين وقد ثبت أنه حي موجود.

وأما المعنى في بقائهم لا يخلو من أحد قسمين، أما أن يكون بقاؤهم في مقدور الله أو لا يكون، ومستحيل أن يخرج عن مقدور الله، لأن من بدأ الخلق من غير شيء وأفناه ثم يعيده بعد الفناء لا بد أن يكون البقاء في مقدوره.

وإذا ثبت أن البقاء في مقدوره تعالى فلا يخلو أيضاً من قسمين، أما أن

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٦١ .

يكون راجعاً الى اختيار الله تعالى او الى اختيار الامة، ولا يجوز ان يكون الى اختيار الامة لأنه لو صح ذلك منهم لصح من احدنا ان يختار البقاء لنفسه ولولده، وذلك غير حاصل لنا غير داخل تحت مقدورنا، فلا بد من أن يكون راجعاً الى اختيار الله سبحانه، ثم لا يخلو بقاء هؤلاء الثلاثة من قسمين ايضاً، اما ان يكون لسبب اولاً يكون لسبب فان كان لغير سبب كان خارجاً عن وجه الحكمة، وما خرج عن وجه الحكمة لا يدخل في افعال الله تعالى، فلا بد من أن يكون لسبب تقتضيه حكمة الله تعالى.

قلت: وسنذكر بقاء كل احد منهم على حدته.

أما بقاء عيسى عليه السلام: لسبب وهو: قوله تعالى «وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» ولم يؤمن به منذ نزول هذه الآية الى يومنا هذا احد فلا بد أن يكون هذا في آخر الزمان.

واما الدجال اللعين: لم يحدث حدثاً منذ عهد النبي رسول الله (ص) انه خارج فيكم الأعور الدجال وان معه جبال من خبز تسير معه الى غير ذلك من آياته، فلا بد أن يكون ذلك في آخر الزمان لا محالة.

واما الامام المهدي عليه السلام: مذ غيبته عن الابصار الى يومنا هذا لم يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما تقدمت الاخبار في ذلك، فلا بد أن يكون ذلك مشروطاً بآخر الزمان، فقد صارت هذه الاسباب لاستيفاء الأجل المعلوم، فعلى هذا اتفقت اسباب بقاء الثلاثة لصحة أمر معلوم في وقت معلوم وهما صالحان نبي وامام، وطالح عدوانه وهو الدجال، وقد تقدمت الاخبار من الصحاح بما ذكرناه في صحة بقاء الدجال مع صحة بقاء عيسى عليه السلام فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام؟! مع كون بقائه باختيار الله تعالى ودخل تحت مقدوره سبحانه وهو آية الرسول (ص)، فعلى هذا هو

أولى بالبقاء من الاثنى الاخرين، لأنه اذا بقي المهدي عليه السلام كان امام آخر الزمان يملأ الارض قسطاً وعدلاً على ما تقدمت الأخبار فيكون بقاءه مصلحة للمكلفين ولطفاً لهم في بقائه من عند رب العالمين.

والدجال اذا بقي فبقاؤه مفسدة للعالمين، لما ذكر من ادعائه الربوبية وفتكه بالامة، ولكن في بقائه ابتلاء من الله تعالى ليعلم المطيع منهم والعاصي والمحسن من المسيء والمصلح من المفسد وهذا هو الحكمة في بقاء الدجال.

واما بقاء عيسى عليه السلام فهو سبب ايمان اهل الكتاب للآية والتصديق بنسبته سيدنا محمد سيد الانبياء وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وآله ويكون بياننا لدعوى الامام عند اهل الايمان ومصداقاً لما دعا اليه عند اهل الطغيان، بدليل صلاحته خلفه ونصرته إياه (١) ودعائه إلى الملة المحمدية التي هو امام فيها فصار بقاء المهدي عليه السلام اصلاً، وبقاء الاثنى فرعاً على بقائه، فكيف يصح بقاء الفرعين مع عدم بقاء الاصل لهما؟!، ولو صح ذلك لصح وجود المسبب من دون وجود السبب، وذلك مستحيل في العقول.

وانما قلنا ان بقاء المهدي اصل لبقاء الاثنى لأنه لا يصح وجود عيسى عليه السلام بانفراده غير ناصر لملة الاسلام وغير مصدق للامام، لأنه لو صح ذلك لكان منفرداً بدولة ودعوة، وذلك يبطل دعوة الاسلام من حيث اراد ان يكون تبعاً فصار متبوعاً، واراد ان يكون فرعاً فصار اصلاً، والنبي صلى الله عليه وآله قال: لانبي بعدي، وقال صلى الله عليه وآله: الحلال ما

(١) في المحظوظة: وتصديقه اياه وفي الهامش في نسخة: وبيعته اياه.

احل الله على لساني الى يوم القيامة، والحرام ما حرم الله على لساني الي يوم القيامة، فلا بد من ان يكون عوناً وناصرأ ومصدقا واذا لم يجد من يكون له عوناً ومصدقا لدعواه لم يكون لوجوده تأثير، فثبت ان وجود المهدي عليه السلام اصل لوجوده، وكذلك الدجال اللعين لا يصح وجوده في آخر الزمان ولا يكون للامة امام يرجعون اليه ووزير يعولون عليه، لأنه لو كان الأمر كذلك لم يزل الاسلام مقهوراً ودعوته باطلا، فصار وجود الامام اصلا لوجوده على ما قلنا. واما الجواب عن انكارهم بقاءه في سرداب (١) من غير احد يقوم بطعامه وشرابه فعنه جوابان:

احدهما: بقاء عيسى عليه السلام في السماء من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه وهو بشر مثل المهدي عليه السلام فكما جاز بقاءه في السماء والحالة هذه فكذلك المهدي عليه السلام في السرداب.

فان قلت: إن عيسى عليه السلام يغذيه رب السماء من خزائن غيبه.
قلت: لا تفنى خزائنه بانضمام المهدي عليه السلام اليه في غذائه.
فان قلت: ان عيسى عليه السلام خرج عن طبيعة البشرية، قلت: هذه دعوى باطلة لأنه تعالى قال لأشرف الأنبياء «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» (٢).
فان قلت: اكتسب ذلك من العالم العلوي قلت: هذا يحتاج الى توقيف ولا سبيل اليه.

والثاني: بقاء الدجال في الدير على ما تقدم بأشد الوثاق مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد، وفي رواية في بئر موثوق، واذا

(١) لم تقل الشيعة ببقائه في سرداب وقد رد عليه الاربلي في كشف الغمة كما سيأتي.

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠

كان بقاء الدجال ممكناً على الوجه المذكور من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه فما المانع من بقاء المهدي مكرماً من غير الوثاق؟! اذ الكل في مقدور الله تعالى فثبت انه غير ممتنع شرعاً ولا عادة (١) هذا آخر ابواب كتاب البيان وهذا آخر الباب الخامس والعشرين (٢) منه، (٣) والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم.

(١) قال علي بن عيسى الاربلي في كتابه كشف الغمة ص ٣٣٠ هذه الابحاث لا نشيت لنا حجة ولا تقطع الخصم ولا تضره لما يرد عليها من الإيرادات، وتطويله في البات بقاء المسيح عليه السلام وابليس والدجال فهي مثل الضروريات عند المسلمين فلا حاجة الى التكلف لتقريرها، والجواب المختصر ما ذكرته آنفاً وهو ان النقل قد ورد به من طرق المؤلفات والتخالف واعتق لا يبيحه فوجب التقطع به فأما قوله ان المهدي عليه السلام في سرداب وكيف يمكن بقاؤه من غير أحد يقوه بضعده وشرابه فهذا قول عجيب وتصور غريب فإن الذين انكروا وجوده عليه السلام لا يوردون هذا والذين يقنون بوجوده لا يقنون انه في سرداب، بل يقولون انه حي موجود يحل ويرتحل ويضوف في الارض بيوت ونجم وخدم وحشم وأهل وخيل وغير ذلك ويتقنون قصصاً في ذلك واحاديث يطون شرحها».

(٢) في المخطوطة: من الكتاب المذكور. وبعده مايلي: والحمد لله أولاً وآخراً بيد اخير الفقير علي بن المرحوم زين العابدين البارحيني البزدي بسرعة الكتابة في مدة يومين والحمد لله على التوفيق. في الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٧ في مشهد الحسين عليه السلام.

(٣) اى هنسانه ما هو مطبوع من كتاب البيان ويظهر من كلام تلميذ المؤلف الشيخ الجليل علي بن عيسى الاربلي رحمه الله ان هناك اخباراً ذكرها المؤلف بعد هذا الكلام فقد قال في ص ٣٣٠ من كتابه كشف الغمة «ثم ذكر اى المؤلف بعد هذه الابحاث خبر سفيح (١) وأنا اذكر منه موضع الحاجة اليه ومقتضاه انه يذكر الذي جدد الملك (٢) وقايع وحوادث تجري وزلازل

(١) سفيح: اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي وهو من غسان، ولد وليس له مفصل ولا عظم الاجمجة فكان يدرج كما يدرج الثوب ويقال ان وجهه كان في صدره، وكان في عصره من اشهر الكهان واخباره في السير والتاريخ كثيرة، وهو من المعمرين ولد زمن سيل العرم ومات يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله.

وكانت الملوك تفرع اليه في تفسير الحوادث واخبار الملاحم، وهو صاحب تفسير الحوادث الغربية التي كانت ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله فسرها لابن اخته عبد المسيح بن بقلبة الغساني حين قدم عليه الشام من قبل كسرى حين اضطرب لارتجاس ايوانه وسقوط اربع عشرة شرفة منه في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وآله والخبز طويل ومسطور في كتب السيرة والتاريخ.

(٢) هو ذو جدد علس بن البشير بن الحارث بن فيس بن صبي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قبل من اقبال حمير، وهو اول من غنى باليمن ولذلك لقب بسببه، لأن الجدد حسن الصوت.

من قن، ثم انه ذكر خروج المهدي عليه السلام وانه يملأ الارض عدلاً وتطيب الدنيا واهلها في ايام دولته عليه السلام، وروي عن الحافظ محمد بن النجار انه قال هذا حديث من طولات المشاهير الذي كذا ذكره الحافظ في كتبهم ولم يخرج في الصحيح آخر البيان في حديث صاحب الزمان عليه السلام والذي ذكره الاربي رحمه الله قد لا يساعد عليه السياق فان المؤلف ختم كلامه صريحاً كعادة المؤلفين في نهاية كتبهم ومنهم المؤلف في كتابه (كفاية الطالب) ولعله ألحق به بعد نهايته أخباراً هي اني الاربي فذكرها.

وانعاماً للفائدة نذكر خبر سطوح حسب ما ورد في كتاب بحار الانوار ج ١٣ «في باب نادرفيما اخبر به الكهنة واضرابهم» فقد جاء روى البرسي في مشارق الانوار عن كعب بن اخرث قال: ان ذا جندن الملك ارسل الى سطوح لأمرشك فيه، فلما قدم عليه اراد ان يجرب علمه قبل حكمه فخبأ له ديناراً تحت قدمه، ثم أذن فدخل فقال له الملك: ما خبأت لك يا سطوح؟ فقال سطوح: خلفت بالبيت والحرم، والحجر الأصم، واللبل اذا اظلم والصبح اذا تبسم وبكل فصيح وأبكم لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم. فقال الملك: من اين علمك هذا يا سطوح؟ فقال: من قبل اخري جني ينزل معي اتى نزلت.

فقال الملك: اخبرني عما يكون في الدهور؟

فقال سطوح: اذا غارت الاخبار، وقادت الاشرار، وكذب بالاقدار، وحمل المال بالاوقار ونشمت الأضراس لحامل الأوزار، وقطعت الارحام وظهرت الطعام المستحلي الحرام في حرمة الاسلام، واختنفت الكلمة ونشرت الذمة، وقلت الحرمة، وذلك عند طلوع الكوكب والذي يُفزع العرب، وله شبهة الذنب، فهناك تنقطع الأقطار، وتُجف الانهار وتختلف الأعصار وتغلو الاسعار في جميع الاقطار، ثم تقبل البربر بالرايات الصفر على البراذين البترحتى ينزلوا مصر، فيخرج رجل من ولد صخر، فيبدل الرايات السود بالاحمر فيبيح المحرمات، ويترك النساء بالتدابا معنقات، وهو صاحب نهب الكوفة فرب بيضاء الساق مكشوفة، على الطريق مردوفة، بها الخيل محفوفة، قتل زوجها، وكثر عجزها، واستحل فرجها فعندها يظهر ابن النبي المهدي وذلك اذا قتل المظلوم بئرب وابن عمه في الحرم، وظهر الختي فوافق الوشمي فعند ذلك يقبل المشوم بجمعه الظلوم، فتظاهر الروم بقتل القروم، فعندها ينكشف كسوف اذا جاء الزخوف وصف الصفوف، ثم يخرج ملك من صنعاء اليمن، ابيض كالقطن اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه عمر الفتن، فهناك يظهر مباركا زكيا وهاديا مهديا وسيداً علويًا فيفرح الناس اذا أتاهم بمن الله الذي هداهم، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء، ويفرق الاموال في الناس بالسواء، ويفعد السيف فلا يسفك الدماء، ويعيش الناس في البشر والهناء، ويغسل بماء عدله عين الدهر من القذى، ويرد الحق على اهل القرى، ويكثر في الناس الضيافة والقرى، ويرفع بعده الغواية والعمى كأنه كان غباراً فاجلي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، والا ايام هناء وهو علم للساعة بلا امتراء (١ هـ).

أمل الإنسان

الإمام المهدي ﷺ في الفكر الإسلامي الأصيل



الكتاب: أمل الإنسان، الإمام المهدي ﷺ في الفكر الإسلامي الأصيل

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة: الأولى 2014م - 1435 هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

الفصل الرابع

طول عمر الإمام المهديّ

محتويات الفصل:

- 1 - المبحث الأول: الحاجة إلى الإمامة سبباً من أسباب طول عمره .
- 2 - المبحث الثاني: تحليل دقيق لطول عمر الإمام المهديّ .
 - 1 - كيف تأتى للمهديّ هذا العمر الطويل؟
 - 2 - المعجزة والعمر الطويل.
 - 3 - العلم وعمر الإمام الحجّة .
 - 4 - إثبات طول عمره من حيث كونه حجّة.

تمهيد

«إن فلسفة طول العمر الذي منحه الله تبارك وتعالى لهذا المعصوم كانت من أجل أن نضهم أن البشرية باتت تفتقر لمن يجدر به أن يقوم بهذا الأمر، فالأنبياء لم يكتب لهم النجاح، ولم يكن هناك أحد بعد الأنبياء وكبار الأولياء وآباء الإمام الموعود، لم يكن أحد بعدهم، فلو كان المهدي الموعود ذهب مثل سائر الأولياء إلى جوار ربه، فلم يبق في أوساط البشر أحد ليبسط العدل بهذا الشكل. وهذا الإنسان أذخر للقيام بمثل هذا الأمر»⁽¹⁾، وهو يشير إلى حقيقة الاشتباه والإشكال الذي يردُّ على مسألة طول عمر الإمام عليه السلام، وهو ما سوف نقوم بعرضه في هذا الفصل من الكتاب.

المبحث الأول: الحاجة إلى الإمامة سبباً من أسباب طول عمره عليه السلام

«يعترض مخالفو الشيعة بأنه وفقاً لاعتقاد هذه الطائفة، يجب أن يكون عمر الإمام الغائب ما يقرب من اثني عشر قرناً، في حين أن الإنسان لا يستطيع أن يعمر هكذا.

الجواب: الاعتراض هذا مبني على الاستبعاد، وأن العمر الطويل كهذا يستبعد، لكن الذي يطالع الأخبار الواردة عن الرسول الأعظم عليه السلام في خصوص

(1) صحيفة الإمام، ج 12، ص 385.

الإمام الغائب، وكذا سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام سيلاحظ أنّ نوع الحياة للإمام الغائب تتّصف بالمعجزة، خرقاً للعادة، وطبيعيّاً أنّ خرق العادة ليس بالأمر المستحيل ولا يمكن نفي خرق العادة عن طريق العلم مطلقاً.

لذا لا تنحصر العوامل والأسباب التي تعمل في الكون في حدود مشاهدتنا والتي تعرّفنا عليها، ولا نستطيع نفي عوامل أخرى وهي بعيدة كلّ البعد عنا ولا علم لنا بها، أو أننا لا نرى آثارها وأعمالها، أو نجهلها، من هذا يتّضح إمكان إيجاد عوامل في فرد أو أفراد من البشر بحيث تستطيع تلك العوامل أن تجعل الإنسان يتمتّع بعمر طويل جداً قد يصل إلى الألف أو آلاف من السنوات، فعلى هذا فإن عالم الطب لم ييأس حتى الآن من كشف طرق لإطالة عمر الإنسان.

وهذا الاعتراض من الذين يعتقدون بالكتب السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام وفقاً لكتبهم السماوية، ويقرّون المعجزات وخرق العادات التي كانت تتحقّق بواسطة أنبياء الله تعالى، بشكل يثير الإعجاب والاستغراب.

يعترض مخالفو الشيعة من أنّ الشيعة تعتبر لزوم وجود الإمام لبيان أحكام الدين وحقائقه، وإرشاد الناس وهدايتهم، فإنّ غيبة الإمام تناقض هذا الغرض، لأنّ الإمام الذي قد غاب عن الأنظار ولا توجد أية وسيلة للوصول إليه، لا يترتب على وجوده أي نفع أو فائدة، وإذا كان الله سبحانه يريد إصلاح البشرية بواسطة شخص، فإنّه لقادر على خلقه عند اقتضاء الضرورة لذلك، ولا حاجة إلى خلقه قبل وقته وقبل الاحتياج إليه بألاف السنوات.

الجواب: إنّ مثل هؤلاء لم يدركوا حقيقة معنى الإمامة، [...] إنّ وظيفة الإمام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الإلهية بشكلها الصوري، ولم يقتصر على إرشاد الناس من الناحية الظاهرية، فالإمام فضلاً عن توليه إرشاد الناس الظاهري، يتصف بالولاية والإرشاد الباطني للأعمال أيضاً، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس، ويتقدّم بحقائق الأعمال إلى الله جلّ شأنه.

طول عمر الإمام المهدي

بديهياً أن حضور أو غيبة الإمام الجسماني في هذا المضمار ليس له أي تأثير. والإمام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها، وإن بعد عن الأنظار وخفي عن الأبصار، فإن وجوده لازم دائماً، وإن تأخر وقت ظهوره وإصلاحه للعالم^(١).

المبحث الثاني: تحليل دقيق لطول عمر الإمام المهدي

١ - كيف تأتي للمهدي هذا العمر الطويل؟

«هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومئة وأربعين سنة، أي حوالي (14) مرة بقدر عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمرّ بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي.

وأقصد بالإمكان العملي: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر^(٢).

وأقصد بالإمكان العلمي: أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدينة المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إن

(١) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمته الله)، الشبهة في الإسلام، ص 245 - 247.

(٢) ولم تكن مثل هذه الأمور بمتصورة سابقاً قبل وقوعها، ولو حدث بها أحد من الناس قبل تحققها فعلاً لعدّ الحديث مجرد تخيلات وأوهام.

أتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك؛ لأنَّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلا فارق درجة، ولا يمثِّل الصعود إلى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً^(١). وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً، بمعنى أنَّ العلم لا أمل له في وقوع ذلك، إذ لا يتصوَّر علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقية من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثِّل أتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقيَّ أو الفلسفيَّ: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبليَّة - أي سابقة على التجربة - ما يبرِّر رفض الشيء والحكم باستحالته. فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقيَّ؛ لأنَّ العقل يدرك - قبل أن يمارس أي تجربة - أنَّ الثلاثة عدد فرديّ وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي؛ لأنَّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أنَّ الحرارة لا تتسرَّب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة، وإنَّما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرَّب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أنَّ الإمكان المنطقيَّ أوسع دائرة من الإمكان العلميَّ، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العمليَّ.

(١) الكلام في وقته دقيق علمياً، فهو يقول: إنه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقَّق فعلاً. والواقع أنَّ كثيراً من الإنجازات في عالم الفضاء.. ونسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبح حقائق في أواخر القرن العشرين.

طول عمر الإمام المهدي 

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أيّ تناقض؛ لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش في ذلك. كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكانيّاً عملياً، على نحو الإمكانيات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأنّ العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا يستطيع أن يمدّد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أنّ أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانيات العلم، لا يتاح لهم من العمر إلاّ بقدر ما هو مألوف.

وأما الإمكان العلميّ فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية. وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفلسفيّ لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعيّ يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه - بعد أن تبلغ قمة نموّها - أن تتصلّب بالتدرّج وتصبح أقلّ كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطّل في لحظة معيّنة، حتّى لو عزلناها عن تأثير أيّ عامل خارجيّ؟ أو أنّ هذا التصلّب وهذا التناقض في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسميّة للقيام بأدوارها الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامل خارجيّة كالميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف، أو ما يقوم به من عمل مكثّف أو أيّ عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جادّ في الإجابة عنه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلميّ.

فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتّجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرميّ، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجيّة معيّنة، فهذا يعني أنّ بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات

المعيّنة، أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً. وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى، التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحيّة نفسها، بمعنى أنّها تحمل في أحشائها بذرة فئائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

أقول:

إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أيّ مرونة في هذا القانون الطبيعّي، بل هو - على افتراض وجوده - قانون مرّن: لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية: ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنيّة، قد تأتي مبكرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتّى أنّ الرجل قد يكون طاعناً في السنّ ولكنه يملك أعضاء ليّنة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء. بل إنّ العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعّي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرّات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية؛ وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أنّ تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معيّنة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معيّن كالإنسان، فليس ذلك إلا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى. وهذا يعني أنّ العلم من الناحية النظرية ويقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعّي للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخّص من ذلك: أنّ طول عمر الإنسان وبقائه قروناً متعدّدة أمر ممكن منطقيّاً وممكن علمياً، ولكنّه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أنّ اتجاه العلم سائر في طريق

طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب، ونلاحظ:

إنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه، قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان. وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام - الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر - حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

فالجواب: إنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم. أوليست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟⁽¹⁾

أولم تنادِ بشعارات طرحت خطأً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين؟

أولم تأتِ بتشريعات في غاية الحكمة، لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن؟

أولم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها؟

فإذا كنا نؤمن بهذا كله، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة - سبحانه وتعالى

(1) هذه التساؤلات التي يثيرها السيد الشهيد عليه السلام تهدف إلى ترسيخ حقيقة مهمة، هي أن الرسول الأعظم عليه السلام عندما بشر (بالمهدي)، وهو حالة غير اعتيادية في سياق البشرية، تميز في جملتها عن تسجيل سبق في الإمكانية العملية، بعد تأكيد الإمكانية العلمية، أي لبقاء الإنسان مدة أطول بكثير من المعتاد، فإن مثل هذا السبق في التنبيه على حقائق في هذا الوجود كان قد سجّله القرآن الكريم والحديث الشريف في موارد كثيرة جداً في مسائل الطبيعة والكون والحياة، راجع: القرآن والعلم الحديث، الدكتور عبد الرزاق نوفل.

- أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي⁽¹⁾ وأنا هنا لم أتكلم إلا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها.

ومثال ذلك أنها تخبرنا بأن النبي ﷺ قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا الإسراء⁽²⁾ إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية، فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يُنح للعلم أن يحققه⁽³⁾ إلا بعد مئات السنين، فتنفس الخبرة الربانية أتاحت للرسول ﷺ التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء.

ولكن!

أوليس الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس، وما مرّ بهم من تطورات التاريخ؟

أوليس قد أنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟

فلماذا نستغرب إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغربية والخارجة عن المألوف، كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإن غرابة هذه الظواهر

(1) إشارة إلى أن هذا من قبيل الإعجاز أيضاً، وهو إضافة ربانية خاصة، وهذا أمر لا يسع المسلم إنكاره، بعد أن أخبرت بأمثاله الكتب السماوية. وبالأخص القرآن، كالثدي ورد في شأن عمر النبي ﷺ، وكذا ما أخبر به القرآن من المغيبات الأخرى، على أن كثيراً من أهل السنة ومن المتصوفة وأهل العرفان يؤمنون بوقوع الكرامات وما يشبه المعجزات للأولياء، والصلحاء والمقربين من حضرة المولى تعالى. راجع: التصوف والكرامات، الشيخ محمد جواد مغنّية، راجع: الناجح الجامع للأسول 5: 228، كتاب الزهد والرفائق، الذين تكلموا في المهدي.

(2) إشارة إلى الآية المباركة: ﴿سَيُخَنِّذُنَا رَبِّيَ أَيُّسَّرَ لِي سَيُخَنِّذُنَا رَبِّيَ﴾، لَيْلًا مَرَّكَ السَّجْدَ الْكِرَامِ إِلَى السَّجْدِ الْأَقْصَا ﴿سورة الإسراء، الآية: 1.

(3) إشارة إلى تصميم المركبات الفضائية، وركوب الفضاء والنقل إلى مسافات بعيدة عن أرضنا، وقطعها في ساعات أو أيام معدودة، وقد أضحى هذه حقائق في حياتنا المعاصرة في أواخر القرن العشرين.

طول عمر الإمام المهدي

وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد⁽¹⁾ تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري!

هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منها عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما مارس دور في ماضي البشرية وهو النبيّ نوح، الذي نصّ القرآن الكريم⁽²⁾ على أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد.

والآخر يمارس دوراً في مستقبل البشرية وهو المهديّ الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام، وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد.

فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير ولا نقبل المهديّ⁽³⁾؟

(1) إشارة إلى ما أعد للإمام المهديّ المنتظر من دور ومهمة تعبيرية على مستوى الوجود الإنساني برمته كما يشير الحديث الصحيح: «بملا الأرض فسقطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»، وهذا الدور وهذه المهمة عليهما الإجماع بين علماء الإسلام. والاختلاف

حصل في أمور فرعية. ومن هنا كان التساؤل الذي أثاره السيد الشهيد (رض) له مبرر منطقي قوي.

(2) في الآية المباركة: «فَلْيَلِّفْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» سورة العنكبوت: الآية 14.

(3) السؤال موجه إلى المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، وقد روى علماء السنة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك، راجع تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج 1، ص 176، ولا يصح أن يشكّل أحد بأنّ ذلك أخير به القرآن فالتخصّص قطعاً الثبوت، وهو يتعلق بالنبيّ المرسل نوح ﷺ. أما هنا فليس لدينا نص قطعياً. ولا الأمر متعلق بنبيّ.

والجواب: أنّ المهمة أولاً واحدة، وهي تغيير الظلم والفساد، وأنّ الوظيفة كما أوكلت إلى النبيّ، فقد أوكلت هنا إلى من اختاره الله تعالى أيضاً. كما هو لسان الروايات الصحيحة. قال الرسول الأعظم ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوف الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»، التاج الجامع للأصول، ج 5، ص 343.

وأما من جهة قطعية النص، فأحدثت المهديّ بلغت حدّ التواتر، وهو موجب للقطع والعلم، فلا فرق في المقامين، راجع: التاج الجامع للأصول ج 5، ص 341 و360 فقد نقل التواتر عن الشوكاني، وإنهم المحققون من علماء الفريسيين إلى القول بأنّ من كثر بالمهديّ فقد كفر بالرسول محمد ﷺ، وليس ذلك إلا لبحاثة أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الدين، والمنكر لذلك كافر إجماعاً، وراجع: الإشاعة لأشراط الساعة، البرزنجي في بحثه حول المهديّ، وقد نقلنا حكاية التواتر في المقدمة أيضاً.

2 - المعجزة والعمر الطويل

وقد عرفنا حتى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهديّ - قرونًا متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمّدة من نصّ القرآن والسنة⁽¹⁾، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام، حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون. فقبل للنار حين ألقى فيها إبراهيم عليه السلام ﴿قُلْنَا إِنَّا نُكْفِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾⁽²⁾، فخرج منها كما دخل سليمان لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى⁽³⁾، وشبهه للرومان أنهم قبضوا على عيسى⁽⁴⁾ ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد ﷺ من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهاجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم⁽⁵⁾. كلّ هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية

(1) أي أنّ الأمر يصبح من قبيل المعجز. وهو ما نطق به الفران، وجاء في صحيح السنة المطهّرة، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء، وأدعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهية، وهو ما لا يبع المسلم إنكاره أو الشك فيه، بل إنّ غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 69.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِصَاحِكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الشعراء، الآية: 63.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ سورة النساء: الآية: 157.

(5) راجع: سيرة ابن هشام، ج. 2، ص. 127، فقد نقل هذه الحادثة وهي مجمّع عليها.

طول عمر الإمام المهدي

تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين. وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عامّ وهو أنه كلّما توقّف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعيّ، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمّته التي أعدّها لها، تدخّلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز مهمّته التي أعدّها لها، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمّته التي أعدّها لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادةً بمناسبة هذا المفهوم العامّ السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطّل القانون؟⁽¹⁾ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلاّ مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟

والجواب: أنّ العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعيّ، وتوضيح ذلك: إنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فعين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى يستدلّ بهذا الاطراد على قانون طبيعيّ، وهو أنّه كلّما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعيّ علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها؛ لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطلق العلم الحديث يؤكد أنّ القانون الطبيعيّ - كما يعرفه العلم - لا يتحدّث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين⁽²⁾، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعيّ لم يكن

(1) قد يقال: إنّ القانون بصفته قانوناً لا يتحدّث ولا يتصور التعليل والانخراط، وقد لا يحذ بعضهم أنّ الانخراط إنّما هو بقانون آخر، كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون العاذبية، الذي يستلزم جذب الأشياء إلى المركز، ومع ذلك فإنّ الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الأعلى بواسطة الشعيرات. وهذا بحسب قانون آخر هو (الخاصّة الشعريّة). راجع: القرآن محاولة لفهم عصري، الدكتور مصطفى محمود.

(2) وقد بسط الشهيد الصدر قضيّة القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجع، ص 295 و 299.

ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية.

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أنّ كلّ ظاهرتين أطرد اقتران إحداهما بالأخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحوّلت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التابع المطرد⁽¹⁾ بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الأطراد في الاقتران أو التابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدّي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء⁽²⁾، فتحنّ نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة، في أنّ الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكننا نرى أنّه يدلّ على وجود تفسير مشترك لا أطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحديث المعجزة.

3 - العلم وعمر الإمام الحجّة عليه السلام

يعالج العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهری رحمته الله مسألة طول عمر الإمام عليه السلام

(1) راجع: فلسفتنا ص 282 وما بعدها.

(2) راجع بسط وشرح النظرية في الأسس المنطقية للاستقراء، حيث توصل الإمام الشهيد الصدر رحمته الله إلى اكتشاف مهمّ وخطير

على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام.

طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

من حيث علاقة طول العمر بالقوانين العلمية التي تجري على البشر فيقول قَدْرَبْنَاهُ:
 «عندما يطرح موضوع الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام، فإن كثيراً من الناس
 يتساءلون: هل من الممكن أن يعمر الإنسان ألفاً ومائتي سنة؟ أليس ذلك مخالفاً
 لقانون الطبيعة؟

إن هؤلاء يتصوّرون أنّ كلّ الأمور التي تحدث في هذه الدنيا تنطبق مائة بالمائة
 مع قوانين الطبيعة الاعتيادية أي مع تلك القوانين التي توصل إليها علم البشر.. في
 حين أنّ جميع التطوّرات الكبرى التي حدثت في تاريخ حياة جميع الموجودات الحيّة -
 من نبات وحيوان - لم تكن تطوّرات عادية، فهل أنّ انعقاد أول نطفة للحياة على وجه
 الأرض يتطابق مع أصول علم الحياة؟ كلا، فلم يكن ذلك متطابقاً مع أي قانون طبيعي
 في الأرض.

واستناداً إلى النظريات العلمية المعتبرة اليوم فإنّ عمر أرضنا هذه يقدر بحوالي
 أربعين ملياراً من السنين، حيث كانت الأرض في بداية أمرها كتلة منصهرة ملتبهة
 يستحيل على أيّ كائن حيّ أن يعيش فيها. ثمّ مرّت مليارات عديدة من السنين حتّى
 بردت هذه الكتلة وظهر على سطحها أول موجود حيّ.

والعلم اليوم يقرّر بأنّ أيّ كائن حيّ لا بدّ أن يتولّد أو ينشأ من كائن حيّ آخر،
 ولا يمكن أن يوجد كائن حيّ من كائن غير حيّ أبداً، إلّا أنّه لم يستطع إلى الآن أن
 يفسّر كيف وجد أول كائن حيّ على وجه الأرض، وكيف انعقدت أول نطفة للحياة
 فيها.

وعندما يتجاوز العلم هذه النقطة، فإنّه يقع في الحيرة مرّة أخرى.. ذلك أنّ
 العلم يقرّر بأنّ أول خلية حيّة وجدت على وجه الأرض أخذت تنقسم وتتكاثر وتنقل
 من مرحلة إلى مرحلة في التكامل والتطوّر إلى أن جاء وقت تشعبت فيه إلى فرعين
 رئيسيين، ونشأت من ذلك المملكة النباتية والمملكة الحيوانية.. فكيف حصل هذا
 التطوّر الكبير الذي أدى إلى أن تنقسم الخلايا البدائية الأولى إلى فرع نباتي وفرع

حيواني يكمل واحد منهما الآخر خصوصاً من ناحية امتصاص وإطلاق الغازات الموجودة في الجو؟

وهكذا يواصل العلم حيرته في المراحل الأخرى - وخصوصاً في المرحلة التي وجد فيها الإنسان، ذلك المخلوق العجيب الذي يتمتع بالعقل والفكر والإرادة - ويبقى عاجزاً عن إعطاء تفسيرات مقنعة لكل هذه الأحداث.

ثم هل أن مسألة الوحي مثلاً أمر عادي لا يلفت النظر؟

هل أن مسألة وصول إنسان ما إلى درجة يكون مستعداً فيها لاستلام تعليمات آتية من عالم ما وراء الطبيعة، أقل شأناً من مسألة بقاء فرد من الأفراد حياً لمدة ألف ومائتي سنة أو أكثر من ذلك؟

كلاً، بل يمكننا القول بأن مسألة طول عمر الإنسان شيء طبيعي لا يخرج عن دائرة القوانين الطبيعية، بدليل أن العلم يسعى اليوم إلى ابتكار وسائل أو عقاقير تزيد في معدل عمر الإنسان. فقانون الطبيعة لم يحد رقماً معيناً لحياة الإنسان على وجه الأرض.. صحيح أن خلايا بدن الإنسان لها دورة حياتية محدودة، ولكن هذا لا يكون إلا في ظروف معينة، وإذا اكتشف العلم في المستقبل العلاقة العلمية بين الظروف المحيطة، ومدة دورة حياة خلايا الجسم الإنساني، فلا يستبعد أن يتمكن الإنسان أنثى أن يعيش خمسمائة سنة أو ألف سنة وربما أكثر!

أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد بين عبر الكثير من آياته الكونية بأن هناك أشياء تحدث في هذه الدنيا وفي بعض المراحل المعينة، ويكون ذلك أشبه شيء بيد تخرج من وراء الغيب فتحدث تطورات خارقة في الحياة لا تنطبق مع قانون الطبيعة أصلاً ولا يمكن التنبؤ بها مسبقاً..

فسواء درسنا المسألة من الناحية العلمية أم من الناحية الغيبية، فإن موضوع طول عمر صاحب الزمان ﷺ لا يحتاج إلى أي تشكيك أو ارتياب، خصوصاً بعد أن صرحت الأحاديث والروايات الدينية بذلك. إن إحدى وظائف الدين هي أن يفتح

طول عمر الإمام المهدي  

عقل الإنسان ويخرج تفكيره من الدائرة الضيقة للأحداث العادية المألوفة التي يراها في حياته اليومية⁽¹⁾.

4 - إثبات طول عمره من حيث كونه حجة

نسمعهم أحياناً يقولون: «لولا الإمام» أو «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها». وفي ذلك أقول: إذا صحَّ هذا الحديث فمعنى الحجة فيه كتاب الله. فلو لم تكن بين الناس مثل هذه الحجة الإلهية لانتهى وجود الخليفة لانتفاء الغاية من وجودها. فالغاية من وجود الناس هي الهداية والتكامل، فإذا انقطع سبيل الهداية بانتفاء وجود كتاب الله الذي هو حجة الله على الخلق، لانتفى الغرض من الوجود واختفت الخليفة. أما إذا كان المراد من الحجة في الحديث هو الإمام الغائب، فلا أدري ما هي الهداية المرجوة للناس مع اختفائه، حتى تسيخ الأرض بأهلها مع عدم وجوده وينهار الوجود؟.

الجواب: هذا الإشكال مشترك كسابقه، بحيث يرتدُّ بنفسه على الكاتب. فلو كان معنى الحديث أن «الحجة» تحفظ من يؤمن ويتمسك بها، فلن يكون ثمة فرق في أن تتجلى هذه «الحجة» بالإمام الغائب أو بالقرآن أو بأي كتاب سماوي. وهنا نصل إلى ما ذكره الكاتب في رسالته، حيث قال: لو كانت «الحجة» ماثلة في الحدث بالإمام الغائب، لكان هذا الإمام حرس أهل خراسان وقزوين من الزلزلة المدمرة التي أصابتهم وحفظهم من غائلتها خصوصاً وهو من مؤيديه والمؤمنين به!

في جوابه نقول تأسيساً على ما ذكرناه قبل لحظة: لو كان القرآن الكريم هو المقصود بالحجة في الحديث لوجب أن يحرس أهل الأرض، ويحفظ أهل خراسان وقزوين من بلاء الزلزلة، خصوصاً ونحن نعلم يقيناً أن في بيوت هؤلاء



٢٦

سلسلة
الدروس
التقافية

معز الأولياء^٣



مركز نون
للنايف والترجمة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٥/٣٢٧.٢٤/٥٣

الكتاب: معزُ الأبياء

إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة الأولى آب 2009م - 1430هـ

الدرس السابع

طول عمر الإمام

تمهيد

هناك العديد من الروايات التي ذكرناها سابقاً تحدّثت عن طول غيبة الإمام المهديّ عليه السلام، حتى يصل إلى مستوى يُشكك الكثير من الناس في أصل وجوده أو في بقائه حياً طوال هذه المدّة.

وبعملية حسابية بسيطة، إذا لاحظنا تاريخ ولادة الإمام المهديّ عليه السلام في عام ٢٥٥ هجري، نجد أنّه عاش حتّى الآن أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن أن يطول عمر إنسان إلى هذا الحدّ؟

طول العمر أمر ممكن

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(١) فما دمنا نتكلم عن أنّ الله تعالى أراد للإمام الحجّة عليه السلام أن يغيب هذه الفترة الطويلة كلّها فلا مجال للكلام عن عدم إمكانية ذلك أو استحالته، بل الله قادر على ما يريد. وعنه عليه السلام: «وَأَمَّا ظَهْوَرُ الضَّرْحِ فَإِنَّهُ إِلَى اللَّهِ» ^(٢).

(١) ين: ٨٢

(٢) الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٩١

نماذج من التاريخ

إنَّ التساؤل عن إمكانية أن يطول عمر الإنسان إلى هذا الحدِّ، والتشكيك بذلك، يمكن أن يشعر الإنسان أنَّ طول عمر الإمام هو نموذج أوحده لا مثيل له في التاريخ، وحيث أنه لا مثيل له يمكن أن يحدث نوعاً من الصدمة أو التشكيك عند ضعاف النفوس، ولكن من المستغرب أنَّ التشكيك يحصل رغم وجود الكثير من النماذج الأكيدة لأشخاص كانت أعمارهم طويلة جداً، وردت في نصوص قرآنية أو في روايات مسلمة، وسنذكر فيما يلي نماذجين:

نوح عليه السلام

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١)، فهذه السنين الطويلة من عمر نبي الله نوح عليه السلام «ألف سنة إلا خمسين عاماً»، هي جزء من عمره قضاها بعد أن أرسله الله تعالى لقومه إلى أن حصل الطوفان، وليس تمام عمره. فإذا كان نبي الله نوح تستوجب ظروفه أن يحيا هذا العمر كله، أفلا يستحق تحقيق الوعد الإلهي بالنصر النهائي، وتحقيق العدالة على الأرض، وغلبة جند الله، ورفع دينه... كل ذلك ألا يستوجب المد في عمر صاحب الزمان ليحقق هذا المشروع العظيم على يديه؟!

الخضر عليه السلام

من المعروف أنَّ الخضر عليه السلام من المعمرين، وأنَّ عمره تطاول لآلاف السنين، وفي رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «إنَّ الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتَّى ينفخ في الصور، وإنَّه ليأتينا فيسَلِّمُ علينا، فيسَمَعُ صوته ولا يرى شخصه، وإنَّه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم

(١) العنكبوت: ١٤

فليُسلَّم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة، فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة، فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته،^(١).

فالخضر عليه السلام لا زال حياً حتى الآن وبالتالي فعمره حتى الآن أضعاف عمر الإمام المهدي عليه السلام. وسيبقى حياً حتى ينفخ في الصور. وتنقل لنا النصوص الشرعية أحداثاً حصلت مع الخضر عليه السلام خلال هذه السنين المتطاولة، كالقصة التي نقلها القرآن الكريم عند لقائه لنبي الله موسى عليه السلام، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ آتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٢) وكذلك ورد في الرواية عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله جَاءَ الْخَضِرُ عليه السلام فَوَقَفَ عَلَيَّ بَابَ الْبَيْتِ وَفِيهِ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ سُجِّيَ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)، إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودركاً من كل فائت، فتوكلوا عليه، وثقوا به، وأستغفر الله لي ولكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا أخي الخضر عليه السلام جاء يعزيكم بنبيكم صلى الله عليه وآله»^(٤).

وتشير الروايات إلى وجود الارتباط الوثيق بين طول عمر الخضر عليه السلام وعمر الإمام المهدي عليه السلام، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «وأما العبد الصالح الخضر، فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوة قدرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشرعية ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى، إن الله تبارك وتعالى لمّا كان

(١) الميرزا محمّد تقي الأصفهاني . مكيبال المكارم، ج ١ . ص ١٧١

(٢) الكهف: ٦٥-٦٦

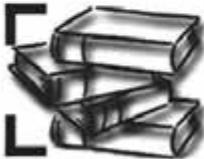
(٣) آل عمران: ١٨٥

(٤) الشيخ الصدوق . كمال الدين وتمام النعمة . ص ٢٩١

في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم ما يقدر من عمر الخضر وما قدر في أيام غيبته ما قدر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح من غير سبب يوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم ﷺ، وليقطع بذلك حجة المعاندين ثلثاً يكون للناس على الله حجة^(١).

النتيجة

إنّ الإيمان بمقام الإمامة وكون الإمام مسدداً من قبل الله تعالى يؤدي دوره الاستثنائي الذي أراه الله تعالى له، الإيمان بذلك لا يجتمع مع التشكيك به بسبب طول العمر أو غيرها من الأمور التي تعتبر عادية بالنسبة للقدر الإلهية، والسنن التاريخية. والتشكيك ينطلق من الاختلاف في موضوع الإمامة وعدم إيمان شريحة من الناس به. وأمّا من يتبع منهج الإمامة فإنه سيجد نفسه في قضية الإمام المهديّ وطول عمره منسجماً تماماً مع عقيدته وطموحاته وآماله والوعود القرآنية التي ينتظر تحققها...



خلاصة الدرس

إذا لاحظنا تاريخ ولادة الإمام المهديّ ﷺ في عام ٢٥٥ هجري، نجد أنّه عاش حتى الآن أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن أن يطول عمر إنسان إلى هذا الحدّ؟

يقول تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٢) فمع إرادة الله تعالى

(١) الميرزا محمد تقی الأصفهاني، مكيا المكارم، ج ١، ص ١٧١

(٢) يس: ٨٢

لا مجال للكلام عن عدم إمكانية ذلك أو استحالتة، بل الله قادر على ما يريد. وهناك نماذج عديدة في التاريخ لأشخاص عمّروا عمراً طويلاً منهم نبي الله نوح عليه السلام الذي أخبر القرآن الكريم عن مكثه «ألف سنة إلا خمسين عاماً»، وهذا ج من عمره وليس تمام عمره.

ومن المعمرين الخضر عليه السلام فإنَّ عمره تطاول لآلاف السنين، وسيبقى حياً إلى أن يُنفخ في الصور، وتشير الروايات إلى وجود الارتباط الوثيق بين طول عمر الخضر عليه السلام وعمر الإمام المهدي عليه السلام، وأنَّ طول عمر الخضر عليه السلام لم يكن لسبب يوجب ذلك إلا لعلَّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام ومن يتبع منهج الإمامة سيجد نفسه في قضية الإمام المهدي وطول عمره منسجماً تماماً مع عقيدته وطموحاته وآماله والوعود القرآنية التي ينتظر تحققها...



عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «وأما العبد الصالح الخضر، فإنَّ الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى، إنَّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم ما يقدر من عمر الخضر وما قدر في أيام غيبته ما قدر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب يوجب ذلك إلا لعلَّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام، وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة».



الجنة العالمية لأهل البيت

في رَحَابِ أَهْلِ الْبَيْتِ

الْمَهْدِ وَبَيْتِهَا

عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ

الجنة البحريَّة والدراريَّة - من المجلد الثامن



في رحاب أهل البيت عليهم السلام

المهدوية عند أهل البيت عليهم السلام

٢٣

- تأليف: لجنة «البحوث واجوبة الشبهات»، الشيخ عبدالكريم البهبهاني
- اشراف: الشيخ أبو الفضل الإسلامي (علي)
- مراجعة: الشيخ محمد هادي اليوسفي، صائب عبدالحميد
- كلام
- الموضوع:
- الطبعة:
- الأولى
- التاريخ:
- ١٤٢٢ هـ

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم

ISBN: 964-5688-96-5

الخصوصية الثالثة:

الغيبة المستلزمة لعمر مفتوح مع انفتاح الزمن

من مقتضيات وخصائص المفهوم المهدوي عند أهل البيت عليهم السلام، هو الاعتقاد بغيبة الإمام عليه السلام عن الأنظار، واستمراره على ذلك إلى حين يأذن الله سبحانه وتعالى له بالظهور، وإثبات هذه الخصوصية ننجزه في مرحلتين: -

الأولى: مرحلة إثبات إمكانية العمر الطويل إلى آخر الزمان

إن المشكلة الأساسية التي تواجه المفهوم المهدوي عند أهل البيت عليهم السلام، تتمثل في ما يستلزمه هذا المفهوم من عمر مفتوح، مع انفتاح الزمن وممتد بامتداده، وقد عولجت هذه المشكلة بإجابات كثيرة نورد هنا إجابة السيد الشهيد الصدر عليها، فقد كتب يقول:

«هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي (١٤) مرة بقدر عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمر بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العملي،

والإمكان العلمي ، والإمكان المنطقي أو الفلسفي .
وأقصد بالإمكان العملي : أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح
لي أو لك ، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه ، فالسفر عبر المحيط ،
والوصول إلى قاع البحر ، والصعود إلى القمر ، أشياء أصبح لها
إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل
وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي : أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان
عملياً لي أو لك ، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة ، ولكن
لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض
إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة ،
فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض
وقوعه ، بل إن اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك ، وإن لم
يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك ؛ لأن الفارق بين الصعود إلى
الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلا فارق درجة ، ولا يمثل الصعود
إلى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون
المسافة أبعد ، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً
عملياً فعلاً^(١) . وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس

(١) الكلام في وقته دقيق علمياً، فهو يقول: إنه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقق فعلاً،

في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً، بمعنى أن العلم لا أمل له في وقوع ذلك، إذ لا يتصور علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثل أتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية - أي سابقة على التجربة - ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي؛ لأن العقل يدرك - قبل أن يمارس أي تجربة - أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي؛ لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً، ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تسرب من الجسم الأكثر حرارةً إلى الجسم الأقل حرارةً، وإنما هو

→ والواقع أن كثيراً من الإنجازات في عالم الفضاء، وتسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبحت حقائق في أواخر القرن العشرين.

مخالف للتجربة التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة .

وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي ، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي . ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية ، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض ؛ لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ، ولا نقاش في ذلك .

كما لا شك أيضاً ولا نقاش في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكانياً عملياً، على نحو الإمكانيات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر ، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا يستطيع أن يمدد عمر الإنسان مئات السنين ، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانيات العلم ، لا يتاح لهم من العمر إلا بقدر ما هو مألوف .

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفضه من

الناحية النظرية^(١). وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير
الفلسفي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبر هذه
الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان
وخلياه - بعد أن تبلغ قمة نموها - أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل
كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطل في لحظة معينة، حتى لو
عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي؟ أو أن هذا التصلب وهذا
التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها
الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو
التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء
مكثف أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جاد في الإجابة
عنه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي.
فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة
والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات
خارجية معينة، فهذا يعني أن بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة

(١) نعم، لا يوجد مبرر علمي واحد يرفض هذه النظرية، بل إن علماء الطب منشغلون فعلاً
بمحاولات حثيثة لإطالة عمر الإنسان، وأن هناك عشرات التجارب التي تتم في هذا
المجال، وذلك وحده ينهض دليلاً قوياً على الإمكان النظري أو العلمي.

التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة، أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً. وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

أقول: إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو - على افتراض وجوده - قانون مرن؛ لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية؛ ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لازمنية، قد تأتي مبكرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى أن الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الأطباء^(١). بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض

(١) يؤكد الأطباء والدراسات الطبية على هذه الملاحظة، وأن لديهم مشاهدات كثيرة في هذا المجال، ولعل هذا هو الذي دفعهم إلى إجراء محاولات وتجارب لإطالة العمر الطبيعي للإنسان، وكالمعتاد كان مسرح التجربة في البداية هي الحيوانات لميسورية ذلك، وعدم وجود محاذير أخرى تمنع إجراء مثل تلك التجارب على الإنسان.

الحيوانات مئآت المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية ؛ وذلك
بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة .

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل
معينة أمر ممكن علمياً ، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا
التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معين كالإنسان ، فليس ذلك إلا
لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان ،
وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى. وهذا يعني أن العلم من الناحية
النظرية ويقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما
يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان ، سواءً فسرنا الشيخوخة بوصفها
نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي
للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء .

ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقائه قروناً متعددة
أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ، ولكنه لا يزال غير ممكن
عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر
طريق طويل .

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه السلام وما أحيط به من
استفهام أو استغراب ، ونلاحظ:

إنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت

أن العلم سائر في طريق تحويل الامكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً ، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه ، فيتحول الامكان النظري الى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل ، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان .

وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام - الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر - حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟
فالجواب: إنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم .

أولست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟^(١)

أولم تناد بشعارات طرحت خطأً للتطبيق لم ينضج الإنسان

(١) هذه التساؤلات التي يثيرها السيد الشهيد عليه السلام تهدف إلى ترسيخ حقيقة مهمة ، هي أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله عندما بشر (بالمهدي) ، وهو حالة غير اعتيادية في سياق البشرية ، تنبئ في جملتها عن تسجيل سبق في الامكانية العملية ، بعد تأكيد الامكانية العلمية ، أي لبقاء الإنسان مدة أطول بكثير من المعتاد ، فإن مثل هذا السبق في التنبه على حقائق في هذا الوجود كان قد سجله القرآن والحديث الشريف في موارد كثيرة جداً في مسائل الطبيعة والكون والحياة . راجع : القرآن والعلم الحديث ، الدكتور عبد الرزاق نوفل .

للتوصل إليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين ؟
 أو لم تأت بتشريعات في غاية الحكمة ، لم يستطع الإنسان أن
 يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟
 أو لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر
 على بال إنسان ، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟
 فإذا كنا نؤمن بهذا كله ، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة -
 سبحانه وتعالى - أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟^(١) وأنا
 هنا لم أتكلم إلا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسها نحن
 بصورة مباشرة ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي
 تحدثنا بها رسالة السماء نفسها .

ومثال ذلك: أنها تخبرنا بأن النبي صلى الله عليه وآله قد أسري به ليلاً من
 المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا الإسراء^(٢) إذا أردنا أن

(١) إشارة إلى أن هذا من قبيل الإعجاز أيضاً ، وهو افاضة ربانية خاصة ، وهذا أمر لا يسع
 المسلم إنكاره ، بعد أن أخبرت بأمثاله الكتب السماوية ، وبالأخص القرآن ، كالذي ورد
 في شأن عمر النبي نوح عليه السلام ، وكذا ما أخبر به القرآن من المغيبات الأخرى ، على أن كثيراً
 من أهل السنة ومن المتصوفة وأهل العرفان يؤمنون بوقوع الكرامات وما يشبه المعجزات
 لأولياء الصالحاء والمقربين من حضرة المولى تعالى . راجع : التصوف والكرامات ،
 الشيخ محمد جواد مغنية . وراجع التاج الجامع للأصول : ٥ / ٢٢٨ ، كتاب الزهد والرفائق .
 (٢) إشارة إلى الآية المباركة: ﴿ سبحانه الذي اسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى
 المسجد الاقصى ... ﴾ الإسراء : ١ .

نفهمه في إطار القوانين الطبيعية ، فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه^(١) إلا بعد مئات السنين ، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول صلى الله عليه وآله التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك ، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد ، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك .

نعم ، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس ، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء .

ولكن أو ليس الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس ، وما مرت بهم من تطورات التاريخ ؟

أو ليس قد أُنيط به تغيير العالم ، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل ؟

فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ

(١) إشارة إلى تصميم المركبات الفضائية ، وركوب الفضاء والتوغل إلى مسافات بعيدة عن أرضنا ، وقطعها في ساعات أو أيام معدودة ، وقد أضحت هذه حقائق في حياتنا المعاصرة في أواخر القرن العشرين .

المنتظر؟ فإن غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المؤلف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعد إنجازها. فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد^(١) تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟ ولا أدري! هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما: مارس دوره في ماضي البشرية وهو النبي نوح، الذي نص القرآن الكريم^(٢) على أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد. والآخر: يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي

(١) إشارة إلى ما أعد للإمام المهدي المنتظر من دور ومهمة تغييرية على مستوى الوجود الإنساني برمته كما يشير الحديث «الصحیح»: «يملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً». وهذا الدور وهذه المهمة عليها الإجماع بين علماء الإسلام، والاختلاف حصل في أمور فرعية. ومن هنا كان التساؤل الذي أشاره السيد الشهيد عليه السلام له مبرر منطقي قوي.

(٢) في الآية المباركة: «فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً» العنكبوت: ١٤.

مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد .

فلماذا تقبل نوح الذي ناهز الف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟ (١)

وقد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممكن علمياً ، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً ، وأن قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم ، ولا على خطها الطويل أن تتغلب

(١) السؤال موجه إلى المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وقد روى علماء السنة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك . راجع تهذيب الاسماء واللغات، النووي: ١٧٦/١ ، ولا يصح أن يشكل أحد بأن ذلك أخبر به القرآن فالنص قطعي الثبوت، وهو يتعلق بالنبي المرسل نوح عليه السلام ، أما هنا فليس لدينا نص قطعي ، ولا الأمر متعلق بنبي . والجواب: إن المهمة أولاً واحدة ، وهي تغيير الظلم والفساد ، وأن الوظيفة كما أوكلت إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فقد أوكلت هنا إلى من اختاره الله تعالى أيضاً كما هو لسان الروايات الصحيحة . قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً... » التاج الجامع للأصول: ٣٤٣ / ٥ .

وأما من جهة قطعية النص ، فأحاديث المهدي بلغت حد التواتر ، وهو موجب للقطع والعلم ، فلا فرق في المقامين . راجع: التاج الجامع للأصول: ٣٤١ / ٥ و ٣٦٠ فقد نقل التواتر عن الشوكاني ، وانتهى المحققون من علماء الفريقين إلى القول بأن من كفر بالمهدي فقد كفر بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وليس ذلك إلا بلحاظ أنه ثبت بالتواتر ، وأن من ضرورات الدين ، والمنكر لذلك كافر اجماعاً . راجع: الإشاعة لاشراط الساعة، البرزنجي في بحثه حول المهدي . وقد نقلنا حكاية التواتر في المقدمة أيضاً .

عليه ، وتغير من ظروفه وشروطه ، فماذا يعني ذلك ؟ إنه يعني أن إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهدي - قروناً متعددة ، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة ، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء ، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها ، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة^(١) ، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا ، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون . فليل للنار حين ألقى فيها إبراهيم عليه السلام ﴿ قلنا يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾^(٢) فخرج منها كما دخل سليمان لم يصبه أذى ، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض ،

(١) أي أن الأمر يصبح من قبيل المعجز ، وهو ما نطق به القرآن ، وجاء في صحيح السنة المطهرة ، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء ، وادعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهية ، وهو ما لا يسع المسلم إنكاره أو الشك فيه ، بل إن غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات.

(٢) الأنبياء: ٦٩ .

ففلق البحر لموسى عليه السلام (١) ، وشبهه للرومان أنهم قبضوا على عيسى (٢) ولم يكونوا قد قبضوا عليه ، وخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم (٣). كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص ، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته ، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين .

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو أنه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي ، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لانجاز مهمته التي أعد لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لانجاز ذلك ، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعد لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية .

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ الشعراء: ٦٣ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم...﴾ النساء: ١٥٧ .

(٣) راجع: سيرة ابن هشام: ٢ / ٤٨٣ ، فقد نقل هذه الحادثة وهي مجمع عليها .

يمكن أن يتعطل القانون^(١)؟ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟!!

والجواب: أن العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي، وتوضيح ذلك: أن القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى يستدل بهذا الاطراد على قانون طبيعي، وهو أنه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أن العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها؛ لأن الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها، ولهذا فإن منطق العلم الحديث يؤكد أن القانون

(١) قد يقال: إن القانون بصفته قانوناً لا بد أن يطرد، ولا يتصور التعطيل والانخرام، وقد لاحظ بعضهم أن الانخرام إنما هو بقانون آخر، كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون الجاذبية، الذي يستلزم جذب الأشياء إلى المركز، ومع ذلك فإن الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الأعلى بواسطة الشعيرات، وهذا بحسب قانون آخر هو (الخاصية الشعرية). راجع: القرآن محاولة لفهم عصري / الدكتور مصطفى محمود.

الطبيعي - كما يعرفه العلم - لا يتحدث عن علاقة ضرورية ، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين^(١) ، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين .

والحقيقة أن المعجزة بمفهومها الديني ، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية .

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أن كل ظاهرتين اطرّد اقتران إحداهما بالأخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة ، والضرورة تعني أن من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى ، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث إلى قسانون الاقتران أو التابع المطرد^(٢) بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية .

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة .
وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء^(٣) فنحن نتفق مع

(١) وقد بسط الشهيد الصدر القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجع: ٢٩٥ و ٢٩٦ .

(٢) راجع فلسفتنا: ٢٨٢ وما بعدها .

(٣) راجع بسط وشرح النظرية في «الاسس المنطقية للاستقراء» حيث توصل الإمام الشهيد الصدر عليه السلام إلى اكتشاف مهم وخطير على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام .

وجهة النظر العلمية الحديثة ، في أن الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ، ولكننا نرى أنه يدل على وجود تفسير مشترك لأطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية ، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أخرى باستمرار ، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة^(١) . وهكذا يتضح بنحو علمي منطقي مبرهن أن العمر الطويل أمر ممكن، ولا يلزم منه محذور علمي ولا فلسفي. وبهذا تنتهي المرحلة الأولى من البحث في خصوصية الغيبة.

الثانية - مرحلة إثبات تحقق ذلك فعلاً في الإمام المهدي عليه السلام

والبحث في هذه المرحلة يتم بطريقتين: ١ - عقائدي.

٢ - تاريخي:

١ - الطريق العقائدي

ويمكن تقريره بثلاثة بيانات:

أ - إن هذه الخصوصية من اللوازم الذاتية للمفهوم المهدوي عند

(١) بحث مستفاد من كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد الصدر عليه السلام : ٦٥ - ٨٠ بتحقيق

وتعليق الدكتور عبد الجبار شرارة.

أهل البيت عليهم السلام، فثبوت هذا المفهوم - بالنحو الذي مرّ آنفاً - ثبوتاً برهانياً قاطعاً، واتضح بطلان ما سواه، يقودنا بنحو طبيعي إلى الاعتقاد بغيبية الإمام الثاني عشر عليه السلام. فما دام الأئمة اثني عشر فقط، وأنهم معينين من قبل الله سبحانه وتعالى، وليس للناس دور في اختيارهم، فليس بإمكاننا إلا أن نتصور استمرار حياة الإمام الثاني عشر، ومواكبته للمسيرة البشرية وظهوره بعد ذلك في الشوط الأخير منها، ومن الطبيعي أن لا يتاح لإنسان يُقدّر له مثل هذا الهدف، وتقدر له مثل هذه الحياة الطويلة، أن يعيشها بصورة ظاهرة، ولا بد له من أن يمارسها بنحو خفي غائب عن الأنظار، إلا أن يفترض وفاة الإمام المهدي عليه السلام في الزمان الطبيعي لأمثاله، ثم عودته للحياة في زمن الظهور، ولكن هذا الافتراض يلزم منه انقطاع الحجّة في الفترة الفاصلة من وفاته إلى ظهوره، وهو مخالف لحديث الثقلين الذي يدل على تلازم الكتاب والعترة، وعدم افتراقهما في زمن من الأزمان حتى قيام الساعة والورود على الحوض، كما يلزم منه الاعتقاد برجعة الإمام المهدي إلى الحياة بعد وفاته، وهو مما لا قائل به بين المسلمين.

ب - الروايات الدالة على اتصاف الإمام المهدي بالغيبة، وقد ذكرتها بعض مصادر أهل السنّة مثل: ينابيع المودّة، وقرائد السمطين.

ففي ينابيع المودة: عن كتاب فرائد السمطين عن الباقر عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي تكون له غيبة إذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وفيه عنه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله ﷺ: «أن علياً وصيي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً أن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر» فقام إليه جابر بن عبدالله، فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «أي وربي ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين - ثم قال: - يا جابر إن هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله فإياك والشك فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر».

وفيه في الصفحة المذكورة عنه عن الحسن بن خالد، قال: قال علي بن موسى الرضا - رضي الله عنهما - : «إن الرابع من ولدي ابن سيده الإمام يطهر الله به الأرض من كل جور وظلم وهو الذي يشك الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة فإذا خرج أشرق الأرض بنور ربها»^(٢).

وفيه: عنه عن أحمد بن زياد عن دعبل بن علي الخزاعي في حديث وروده على الرضا وانشاده قصيدته التائية: إلى أن قال: «إن

(١) ينابيع المودة: ٢٩٦/٣، الباب الثامن والسبعون.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٧/٣، الباب الثامن والسبعون.

الإمام بعدي ابني محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر في غيبته والمطاع في ظهوره ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى يقوم؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي عن آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة»^(١).

وفيه: عن غاية المرام عن فرائد السمطين عن جابر بن عبد الله رفعه: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبهه الناس بي خلقاً وخلقاً تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وفيه: عنه عن فرائد السمطين في الصفحة المذكورة عن الباقر عن آباءه عن علي بن أبي طالب - سلام الله عليهم - رفعه: «المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم - إلى أن قال - ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وفيه: عن المناقب عن أبي جعفر محمد الباقر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتهم به في غيبته قبل قيامه ويتولى أوليائه ويعادي أعداءه ذلك من رفقائي وذوي مودتي وأكرم أمتي علي يوم القيامة».

(١) يتايغ المودة: ٣/٣١٠، الباب الثمانون.

(٢) المصدر السابق: ٣/٣٨٦، الباب الرابع والتسعون.

وفيه: عنه عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وهو أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة في الأمم حتى يضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الناقب فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». وفيه: عنه مثل ذلك، غير أنه قال: «فعند ذلك يقبل كالشهاب الناقب يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام» ... الحديث (١).

وفيه: (ص ٤٩٤) عنه عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يشبث على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان».

ج - إن المهدي الموعود إن لم يكن إماماً معصوماً، وكان رجلاً

عادياً من عاقبة المسلمين، سوف لن يكون هناك تناسب بينه وبين ظهور المسيح عليه السلام معه، وهو نبي من أولي العزم، ليؤيد المهدي ويدعو المسيحيين الى الإذعان بنبوّة النبي عليه السلام، فلا بد وأن يكون المهدي الموعود إماماً معصوماً، وحيث إن الإمامة المعصومة ليست أمراً قابلاً للادّعاء بل تحتاج الى تعيين سماوي ونص نبوي يكشف عنها، ولم يجز ذلك في غير الأئمة الإثني عشر عليهم السلام حتى على مستوى الادّعاء فضلاً عن الدليل والبرهان، وقد ثبتت وفاة الأئمة المتقدمين ودفنت أجسادهم في أماكن معلومة، وبقي الإمام الثاني عشر لم تُعلم له وفاة حتى الآن. فلا بد من الاعتقاد باستمرار حياة هذا الإمام من حين ولادته الى حين ظهوره في آخر الزمان، ليكون مؤهلاً لتأييد المسيح عليه السلام له . يقول السيد سامي البدري في ذلك:

«فإن ظهور عيسى سوف يكون بحاجة إلى استيعاب علمي وقيادي من قبل المهدي الموعود ، باعتباره يقوم شاهداً له وللرسالة التي يرفع شعارها وكتابها وتابعاً له. والمهدي على التصور السّني لن يكون قادراً على استيعاب المسيح، بل هو غير قادر على استيعاب طوائف المسلمين.

لن يكون قادراً على استيعاب المسيح ، لأن المسيح نبي ورسول معصوم ومؤيد إلهياً بالمعجزات، ومثله لا يمكن أن

يستوعبه إنسان غير مؤيد بالمعجزات والعصمة والعلم التام.
ولن يكون قادراً على استيعاب الأمة المسلمة بلا تأييد إلهي
بالمعجزة والعصمة والعلم التام^(١)

٢- الطريق التاريخي

ويمكن تقريره بثلاثة بيانات:

أ- إن التاريخ - وكما مر - قد شهد بولادة الإمام المهدي عليه السلام ولم
يشهد بوفاته، مما يدل على استمرار حياته، وحيث لا نتحسس
وجوده، ولا نشخص أحداً من الناس بعنوان أنه المهدي ابن الإمام
الحسن العسكري، فلا بد وأن تكون له حياة خفية غير ظاهرة
للناس.

ب- إن التاريخ قد شهد بحصول مشاهدات عينية متكررة للإمام
المهدي عليه السلام في زمان غيبته، وقد ألفت في ذلك كتب مثل كتاب
(تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي) للسيد هاشم البحراني،
وذكر الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي في كتابه^(٢) ٢٦٦ شخصاً
ممن رأى الإمام المهدي في غيبته الصغرى مع ذكر قصص
أكثرهم، وخصص فصلاً لمن رأى الإمام في غيبته الكبرى، وذكر

(١) شبهات وردود، الحلقة الرابعة: ٣٢.

(٢) من هو المهدي: ٤٦٠.

عشرين كتاباً أورد أصحابها فيها القصص والأخبار التاريخية في ذلك، وها نحن نذكر قصة أوردها السيد صدر الدين الصدر في كتابه «المهدي» نقلاً عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «طبقات العرفاء» في أحوال الشيخ حسن العراقي:

قال: «ترددت إليه مع سيدي أبي العباس الحريشي فقال: أتأذن لي أن أحكي لك حكايتي من مبتدأ أمري إلى وقتي هذا كأنك كنت رفيقي من الصغر؟ فقلت له: نعم، فقال: كنت شاباً من دمشق، وكنت صانعاً، وكنا نجتمع يوماً في الجمعة على اللهو واللعب والخمر، فجاءني التنبيه من الله تعالى يوماً لهذا خلقت؟! فتركت ما هم فيه وهربت منهم فتبعوا ورائي فلم يدركوني، فدخلت جامع بني أمية فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام فاشتقت إلى لقائه، فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن يجمعني معه، فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أصلي صلاة السنة وإذا بشخص جلس خلفي ومسح على كتفي، وقال لي: قد استجاب الله تعالى دعائك يا ولدي! مالك أنا المهدي. فقلت: تذهب معي إلى الدار، فقال: نعم، فذهب معي وقال: اخل لي مكاناً انفرده به فأخليت مكاناً فأقام عندي سبعة أيام بلياليها»^(١).

(١) المهدي: ١٤٩ صدر الدين الصدر.

وقال الشيخ علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمة: «إن الناس ينقلون قصصاً وأخباراً في خوارق العادات للإمام المهدي عليه السلام يطول شرحها، وأنا أذكر من ذلك قصتين قريب عهد بزماني وحدثني بها جماعة من ثقة اخواني.

الأولى: إنه كان في بلد الحلة بين الفرات ودجلة رجل اسمه إسماعيل بن الحسن، قال: اخواني حكى لنا إسماعيل، أنه خرج علي فخذي الأيسر توتة^(١) مقدار قبضة الإنسان فعجزت الأطباء عن علاجها فجاء بغداد ورآه أطباء الأفرنج، فقالوا: لا علاج لها، فتوجه إلى سامراء وزار الإمامين علي الهادي والحسن العسكري - رضي الله عنهما - ونزل السرداب ودعا الله تعالى تضرعاً، واستغاث بالإمام المهدي عليه السلام ثم مضى إلى دجلة فاغتسل ثم لبس ثوبه، فرأى أربعة فرسان خارجين من باب سور البلد وواحد شيخ بيده رمح وشاب آخر عليه فرجية ملونة، فصاحب الرمح يمين الطريق والشابان يسار الطريق والشاب صاحب الفرجية على الطريق، فقال له صاحب الفرجية: أنت تروح غداً إلى أهلك، فقال له: نعم، فقال صاحب الفرجية له: تقدم التي حتى أبصر ما يوجعك، فقدم إليه ومد يده إليه فعصر التوتة بيده فأوجعه ثم

(١) التوتة: برة متفرحة.

استوى على سرجه، فقال الشيخ صاحب الرمح: أفلحت يا إسماعيل، هذا الإمام، ثم ذهبوا وهو يمشي معهم، فقال الإمام: ارجع فقال: لا أفارقك أبداً، فقال الإمام: المصلحة في رجوعك، فقال: لا أفارقك أبداً، فقال الشيخ: يا إسماعيل ما تستحي! يقول لك الإمام ارجع مرتين فتخالفه! فوقف وتقدم الإمام خطوات، ثم التفت إليه وقال: يا إسماعيل إذا وصلت إلى بغداد فلا بد أن يطلبك أبو جعفر، يعني الخليفة المستنصر بالله، فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضا ليكتب لك إلى علي بن عوض فإنني أوصيه يعطيك الذي تريد، ثم سار مع أصحابه فلم يزل قائماً يبصرهم حتى غابوا، ثم قعد على الأرض ساعة متأسفاً محزوناً وباكياً عن مفارقتهم، ثم جاء إلى سامراء فاجتمع القوم حوله، وقالوا: نرى وجهك متغيراً فما أصابك؟ فقال: هل عرفتم الفرسان الذين خرجوا من البلد وساروا ساحل الشط، قالوا: هم الشرفاء أرباب الغنم، فقال لهم: بل هم الإمام وأصحابه، الشاب وصاحب الفرجية هو الإمام مس بيده المباركة مرضي، فقالوا: أرنيه، فكشف فحذه فلم يروا له أثراً فمزقوا ثيابه وأدخلوه في خزانة ومنعوا الناس عنه لكيلا يزدحموا عليه، ثم إن الناظر من طرف الخليفة جاء الخزانة وسأله عن هذا الخبر وعن اسمه ونسبه ووطنه وعن خروجه من بغداد أول هذا الأسبوع ثم ذهب عنه. فبات إسماعيل

في الخزانة وصلى الصبح وخرج مع الناس إلى أن بعد من سامراء فرجع القوم ووادعوا ، فسار منفرداً حتى وصل الى موضع، فرأى الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون عمن ورد عليهم عن اسمه ونسبه وموضع مجيئه، فلما لاقوه عرفوه بالعلامات المذكورة فمزقوا ثيابه وأخذوها تبركاً وكان الناظر كتب إلى بغداد وعرفهم الحال ، وكان الوزير طلب السعيد رضي الدين ليعرفه صحة الخبر فخرج رضي الدين الذي هو كان من أصدقاء إسماعيل وكان ضيفه قبل خروجه إلى سامراء ، فلما رآه رضي الدين وجماعة معه فنزلوا عن دابتهم وأراهم فخذهم فلم يروا شيئاً فغشي على رضي الدين ساعة، ثم أخذه بيده وأدخله على الوزير وهو يبكي ويقول: هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي، فسأله الوزير عن القصة فحكها له فأحضر الأطباء الذين رأوا مرضه، وسألهم متى رأيتموه قالوا منذ عشرة أيام فكشف الوزير فخذ إسماعيل فليس فيها أثر، قالوا: هذا عمل المسيح عليه السلام فقال الوزير: نحن نعرف من عملها ثم أحضره الوزير عند الخليفة فسأله عن القصة، فحكى له ما جرى فأعطى له الف دينار، فقال: ما أجسر أن آخذ منه ذرة فقال الخليفة مسمن تخاف؟ فقال: من الذي فعل بي هذا، قال لي: لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً. فبكى الخليفة، ثم قال علي بن عيسى: كنت احكي هذه القصة لجماعة عندي وكان شمس الدين ولده حاضراً عندي لا أعرفه،

قال: أنا ابنه من صلبه فقلت: هل رأيت فخذ أهلك وهي مجروحة؟ قال: إني كنت صبياً في وقت جراحة فخذ، ولكن سمعت القصة من أبي وأمي وأقربائي وجيرانني ورأيت فخذ بعد ما صلحت ولا أثر فيها ونبت في موضعها شعر. وقال أيضاً: سألت السيد صفي الدين محمد بن محمد ونجم الدين حيدر ابن الأيسر، أخبراني بصحة هذه القصة وإنهما رأيا إسماعيل في مرضه وصحته، وحكى لي ولده أن أباه ذهب إلى سامراء بعد صحته أربعين مرة، طمعاً أن يعود له الوقت الذي رآه.

الثانية: حكى لي السيد باقي بن عطوة العلوي الحسن بن أبيه عطوة لا يعترف بوجود الإمام محمد المهدي عليه السلام ويقول: إذا جاء الإمام فيبرثني من هذا المرض اصدق قولهم؟ ويكرر هذا القول فبينما نحن مجتمعون وقت العشاء الأخيرة، صاح أبونا فأتيناه سراعاً فقال: إلحقوا الإمام في هذه الساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحداً، فجئنا إليه وقال: انه دخل إلي شخص وقال: يا عطوة فقلت: لبيك، قال: أنا المهدي قد جئت إليك أن اشفي مرضك، ثم مد يده المباركة وعصر وركي وراح فصار مثل الغزال، قال علي بن عيسى: سألت هذه القصة من غير ابنه فأقر بها^(١).

(١) يتابع المودة: ٣/٣١٥-٣١٧.

ومن هنا فقد آمن بعض الأعلام من أهل السنة بحياته وبقائه أو هو لازم كلامهم. وقد ذكر السيد صدر الدين الصدر بعضهم فقال: «منهم: الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات على رواية الشيخ عبدالوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) الذي تقدم عيناً نقله عن كتاب (اسعاف الراغبين)، فإن كون المهدي بن الحسن العسكري بلا فصل كما هو صريح كلامه مع وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة مائتين وستين لازمه حياة المهدي وبقاؤه حتى يظهر أو أنه يموت ثم يحييه الله تعالى بقدرته. ولا أظن أن الشيخ محيي الدين يرضى بأن ينسب إليه الاحتمال الأخير.

ومنهم: الشيخ عبدالوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) على ما في اسعاف الراغبين حيث قال: المهدي بن الإمام الحسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي عن الإمام المهدي حين اجتمع به وواقفه على ذلك سيدي علي الخواص»^(١).

ومنهم: الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) على ما نقله اسعاف

(١) اسعاف الراغبين: ١٥٧.

الراغبين ، قال: ومن الأدلة على أن المهدي حي باق بعد غيبته إلى الآن، وأنه لا امتناع في بقاءه: بقاء عيسى بن مريم، والخضر، وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدجال وابليس اللعين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة^(١).

ومنهم: الشيخ العارف الفاضل الخواجه محمد بارسا في كتابه (فصل الخطاب) على ما في ينابيع المودة بعد أن ذكر ولادة المهدي المنتظر ، وأن الله تعالى آتاه الحكمة وفصل الخطاب في سن الطفولة ، كما من على يحيى وعيسى بذلك، قال: وطول الله تبارك وتعالى عمره كما طول عمر الخضر عليه السلام^(٢).

ومنهم: الشيخ صدر الدين القونوي في بعض وصاياه لتلامذته عند موته على ما في ينابيع المودة، حيث قال: إن الكتب التي كانت لي من كتب الطب وكتب الحكماء وكتب الفلاسفة فبيعوها وتصدقوا بثمنها للفقراء، وأما كتب التفسير والأحاديث والتصوف فاحفظوها في دار الكتب، واقرأوا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة في الليلة، وبلغوا مني سلاماً إلى المهدي عليه السلام^(٣).

(١) اسعاف الراغبين: ٢٢٧ .

(٢) ينابيع المودة: ٣٠٤/٣، الباب التاسع والسبعون.

(٣) المصدر السابق: ٣٤٠/٣، الباب الرابع والثمانون.

أقول: يمكن أن يقال أن قوله ذلك لا يدل على وجود المهدي وحياته، إذ ربما قال ذلك، برجاه أن يدركوا ظهوره، ولكن الأول أظهر.

ومنهم: الشيخ سعد الدين الحموي على ما في ينابيع المودة، نقلًا عن كتاب الشيخ عزيز بن محمد النسفي، عند كلامه في ترتيب الأولياء، وأن الله تعالى اختار في هذه الأمة اثني عشر ولياً من أهل البيت فجعلهم خلفاء نبيه المعظم عليه السلام، إلى أن قال: وأما آخر الأولياء، الذي هو آخر خلفاء النبي والولي والنائب الثاني عشر وخاتم الأولياء، فهو المهدي صاحب الزمان^(١).

ومنهم: الشيخ شهاب الدين الهندي المعروف بملك العلماء في كتابه (هداية السعداء على ما في الدرر الموسوية)، قال عند ذكره الأئمة الاثني عشر: التاسع يعني من ولد الحسين الإمام حجة الله القائم المهدي، وهو غائب، وله عمر طويل كما في المؤمنين عيسى وإلياس والخضر وفي الكافرين الدجال والسامري.

ومنهم الشيخ الكامل الشيخ محمد المعروف بخواجه بارسا في حاشية له على كتاب (فصل الخطاب) مضافاً إلى ما تقدم عنه على ما في (الدرر الموسوية)، حيث قال: وبه (يعني بالمهدي) ختمت

(١) ينابيع المودة: ٣٥٢/٣، الباب السابع والثمانون.

الخلافة والإمامة، وهو إمام منذ وفاة أبيه إلى يوم القيامة، وعيسى يصلي خلفه ويصدقه ويدعو الناس إلى ملته وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله.
 ... ومنهم: غير واحد من الفضلاء والعرفاء فإن الذي يظهر من أشعارهم العربية والفارسية المذكورة في ينابيع المودة وغيره من بعض كتب المناقب، أنهم يرون حياة المهدي المنتظر، وأنه حي يرزق لو صفهم له بالولاية والإمامة والخلافة والنيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وأنه الواسطة في الفيوضات الإلهية»^(١).

ج - ونعتمد في تقرير البيان الثالث على ما كتبه السيد الشهيد محمد باقر الصدر عليه السلام حيث كتب يقول:

«إن الغيبة تجربة عاشتها أمة من الناس فترة امتدت سبعين سنة تقريباً، وهي فترة الغيبة الصغرى، ولتوضيح ذلك نمهد بإعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى»^(٢).

إن الغيبة الصغرى تُعتبر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه الصلاة والسلام، فقد قُدِّر لهذا الإمام منذ تسلّمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظلّ بعيداً باسمه عن الأحداث، وإن كان قريباً منها بقلبه وعقله، وقد لوحظ أن هذه الغيبة، إذا جاءت مفاجئة حققت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأمة الإسلامية؛ لأن هذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالإمام

(١) المهدي: ١٤٦ - ١٤٨.

(٢) راجع: الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، فقد توسّع في بحثها.

في كل عصر، والتفاعل معه والرجوع إليه في حلّ المشاكل المتنوعة، فإذا غاب الإمام عن شيعة فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية، سببت هذه الغيبة^(١) المفاجئة الاحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتت شمله، فكان لابد من تمهيد لهذه الغيبة؛ لكي تألفها هذه القواعد بالتدرّج، وتكيّف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها، وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهدي عن المسرح العام، غير أنه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقات من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الإمامي^(٢). وقد شغّل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كما يلي:

- ١ - عثمان بن سعيد العمري .
- ٢ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري .
- ٣ - أبو القاسم الحسين بن روح .
- ٤ - أبو الحسن علي بن محمد السمرى .

(١) إشارة إلى الغيبة الكبرى.

(٢) راجع: تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي، السيد هاشم البحراني، دفاع عن الكافي،

السيد ثامر العميدي: ١/ ٥٦٨ وما بعدها.

تاريخ وفاة السفير الأول حدوداً ٢٨٠ هـ، والثاني ٣٠٥ هـ، والثالث ٣٢٦ هـ، والرابع ٣٢٨ هـ.

وقد مارس هؤلاء الأربعة^(١) مهام النيابة بالترتيب المذكور، وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الإمام المهدي عليه السلام.

وكان النائب يتصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه، ويحمل إليهم أجوبته شفوية أحياناً وتحريرية^(٢) في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة. ولاحظت أن كل التوقيعات والرسائل كانت ترد على الإمام المهدي عليه السلام بخط واحد وسليقة واحدة^(٣) طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً، وكان السمري هو آخر النواب، فقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنواب معينين، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها أشخاص معينون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد

(١) راجع ترجمة هؤلاء الأربعة في كتاب الغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر، الفصل الثالث: ٣٩٥ وما بعدها، نشر دار المعارف للطبوعات - بيروت ١٩٨٠.

(٢) وهذه تعرف بالتوقيعات، وهي الأجوبة التحريرية والشفوية التي نقلت عن الإمام المهدي عليه السلام. راجع: الاحتجاج، الطبرسي: ٥٢٣ / ٢ وما بعدها.

(٣) مما استقر في الأوساط الأدبية وعند نقاد الأدب قديماً وحديثاً أن الأسلوب هو الرجل، وهذه المقولة صحيحة. ومن هنا رأينا وسمعنا أن كثيراً من الأدباء وقارني الأدب يميزون بمجرد قراءة النص شعرياً كان أم نثرياً أنه لفلان أو لفلان، وما ذلك إلا لأن الأسلوب هو الرجل، وأن لكل كاتب سمةً وطابعاً خاصاً في كتابته يمكن تمييزه عن غيره. هذا فضلاً على تمييز خطه الشريف من غيره من المخطوط.

عبر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها؛ لأنها حصنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكتيف وضع الشيعة على أساس الغيبة، وتعدهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الإمام، وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوبين^(١) إلى خط عام^(٢)، وهو خط المجتهد العادل البصير بأمر الدنيا والدين، تبعاً لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى.

والآن بإمكانك أن تقدّر المواقف في ضوء ما تقدم، لكي تدرك بوضوح أن المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس، وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحد، كل هذه المدة تلاعب في الكلام، أو تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل. فهل تتصور - بربك - أن بإمكان أكلوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها، ويظنون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم، دون أن يبدر منهم أي شيء يشير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم

(١) إشارة إلى النواب الأربعة المذكورين.

(٢) وهو ما اصطلح عليه (بالمرجعية الدينية)، ويلاحظ هنا الصفات التي يرى الإمام الشهيد لزوم توفرها في المرجعية.

من واقعية ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعية القضية التي يدعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟!!

لقد قيل قديماً: إنَّ حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل، وكل هذه المدة، وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولها.

وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات مالها من واقع موضوعي، والتسليم بالإمام القائد، بولادته وحياته وغيبته^(١)، وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد^(٢)،^(٣).

(١) إن اتصال الإمام القائد المهدي بقواعده الشيعية عن طريق نوابه ووكلائه، أو بأساليب أخرى متنوعة واقع تاريخي موضوعي ليس من سبيل إلى إنكاره، كما في السفارة، فضلاً عن الدلائل الأخرى الكثيرة المستندة إلى إخبار من يجب تصديقه، ثم هو مقتضى الأحاديث المتواترة، كحديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وغير ذلك. إن كل ذلك جمعاً - وهو محل اتفاق أكثر طوائف الملة الإسلامية - يدحض وبشكل قاطع ما يثيره المتشككون حول وجود الإمام واستمرار حياته المباركة الشريفة، راجع: الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر: ٥٦٦.

(٢) ورد التوقيع الشريف عن الإمام القائد المهدي عليه السلام بعدم إمكان رؤيته بشكل صريح بعد وقوع الغيبة الكبرى، وهذا محل اتفاق علماء الإمامية. وراجع مناقشة المسألة في: الغيبة الصغرى / السيد محمد الصدر: ٦٣٩ وما بعدها.

(٣) بحث حول المهدي: ١٠٨ - ١١١ بتحقيق وتعليق الدكتور عبد الجبار شرارة.

رؤى، أهدى سبل الإنسانية

شذرات فكرية في القضية المهدوية



مجتبى الساده

محمفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ

القطيف - المملكة العربية السعودية



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +

القطيف - شارع القدس

ص ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

الثالث: التشكيك في طول عمره:

من الشبهات التي تثار وتطرح حول الأطروحة الإمامية بخصوص الإمام المهدي عليه السلام طول عمره في فترة غيبته: كيف يكون الإمام حياً يُرزق حالياً، وقد ولد في عام ٢٥٥هـ، فهل يمكن في منطق العلم والعقل أن يعيش إنسان هذا العمر الطويل؟.. كيف عاش الإمام هذه المدة الطويلة التي تزيد على ألف ومائة وثمانين عاماً، ولا

يخضع لأعراض الشيخوخة، وتتعطل قوانين الطبيعة التي تقضي بهرم الإنسان وفنائه؟.

إن امتداد عمر الإنسان مئات السنين وقرون عديدة وفوق الحد الطبيعي أضعافاً مضاعفة، هو أمر ليس مشاهداً ومألوفاً ويبدو غريباً في حياة الناس، ولكنه أيضاً ليس ضمن دائرة المستحيل.. لا بد لنا أن نناقش الموضوع بمنطق العقل والعلم وقبل ذلك الدين، ونرى ماهو الرأي الصائب والسديد في هذه المسألة:

أولاً: إن إطالة عمر الإنسان أمر ممكن عقلاً وليس مستحيلاً، فبقاء الإنسان قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً (لا يتعارض مع العقل)، وممكن علمياً (من وجهة النظر العلمية، ومن الناحية النظرية)، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان.

ثانياً: الأعمار من حيث الطول والقصر مسألة بيد الخالق سبحانه وتعالى، وكذلك فإن عناية الله تعالى قد تتدخل لتجميد قوانين الطبيعة، فقد جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ، وخلق البحر لموسى ﷺ، وستر النبي ﷺ عن عيون قريش، وهكذا تكون قوانين الشيخوخة من هذا القبيل مع ولي الله المهدي ﷺ.. فما المانع أن يمنحه الله تعالى حياة طويلة ويبقيه شاباً مصوناً عن عوارض الشيب، خصوصاً أنه القائد المنتظر المُعد لليوم الموعود، والدور المطلوب منه استثنائي وفريد، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة ربانية عطلت قانوناً طبيعياً.

طول عمر الإمام المهدي ﷺ من الحقائق التي لا مجال لإنكارها أو التشكيك فيها، فهو أمر لا يشير إشكالاً إلا حين ينظر إليه بالقياسات الطبيعية العادية لا في إطار المشيئة والقدرة الإلهية التي لا تحكمها قوانين الطبيعة، ولا ثبات هذه الحقيقة لنستقرئ بعض الأدلة والشواهد والبراهين، ونقتطف شذرات من هنا وهناك، ونستضي بهدي الإسلام ومصادره الرئيسية:

١. القرآن الكريم: قد ثبت في كتاب الله أن تمتع بعض الأفراد بأعمار طويلة مثل:

- شيخ الأنبياء نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).
- نبي الله يونس عليه السلام: ﴿لَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢).
- نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).
- أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾^(٤).
- ابليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٥).

أليس الله بقادر على حفظ وابقاء وليه المهدي عليه السلام، الذي وعد أن يحقق على يديه: ظهور الإسلام على الدين كله، ويمكن له في الأرض، ويجعله من الوارثين.

٢. السنة الشريفة: مضافاً للأحاديث الخاصة بطول عمره المبارك، والمروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه:

- لا شك في أبدية الدين الإسلامي إلى يوم القيامة، وباعتبار أن الأئمة الأحد عشر آباء الإمام المهدي قد مضوا واستشهدوا، فلا بد من بقاء وإطالة عمره المبارك، مصداقاً لحديث الخلفاء الإثني عشر.
- إن الإمام حياً يرزق ولا بد من بقائه لأن هذا الدين باق، ولأن هذا القرآن باق، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله إنهما يردان عليّ الحوض يوم القيامة (القرآن والعترة)،

(١) سورة العنكبوت: آية ١٤.

(٢) سورة الصافات: آية ١٤٤.

(٣) سورة النساء: آية ١٥٨.

(٤) سورة الكهف: آية ٢٥.

(٥) سورة الحجر: آية ٣٦-٣٨.

فما دام هذا في الوجود فذاك معه لا يفارقه، مصداقاً لحديث الثقلين.

■ إن عدم وجوده وعدم إطالة عمره الشريف، يلزم عدم وجود إمام رباني بين المسلمين، فتكون ميّتهم جاهلية، ولزم عدم الحجّة من الله على الخلق، ولا شك في بطلان هذه الافتراضات، مصداقاً لحديث إمام الزمان.

فيثبت شرعاً كون الإمام المهدي ﷺ باقياً وعمره طويلاً، حفظه الله ورعاه.

٣. برهان من التاريخ: إن التاريخ البشري يزخر بنماذج من المعمرين^(١) مثل:

■ النبي آدم عاش ٩٣٠ سنة.

■ النبي شيث بن آدم عاش ٩١٢ سنة.

■ النبي نوح عاش ٢٥٠٠ سنة.

■ ذو القرنين عاش ٣٠٠٠ سنة.

■ لقمان بن عاد ذو النور عاش ٣٥٠٠ سنة.

■ الخضر اطول بني آدم عمراً.

مما يثبت كون طول عمر الإمام المهدي ليس ممكناً فقط بل طبيعياً أيضاً، قياساً مع مسيرة المعمرين في تاريخ البشرية، مما يسقط دعوى المنكرين كون عمر القائد المنتظر شيء غير مألوف أو لا مثيل له.

٤. شواهد من الوجدان: لقد التقى ورأى وشاهد كثير من المؤمنين الإمام

المهدي ﷺ مراراً وتكراراً سواء في حياة أبيه ﷺ أو في زمن الغيبة الصغرى

أو في زمن الغيبة الكبرى، فالذين تشرفوا وفازوا بلقائه ﷺ كثيرون جداً^(٢)

ولا يمكن إحصاؤهم، وقد كتب علماؤنا مصنفات عديدة في هذا الموضوع،

(١) كتاب المعمرّون لأبي حاتم السجستاني، وكتاب مروج الذهب للمسعودي ذكر عدداً من المعمرين.. وقد ذكر العشرات من المعمرين في كتب التاريخ.

(٢) قصص عديدة ذكرت في: بحار الانوار ج ٥٢ للمجلسي، وجنة الماوى للشيخ النوري، وبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي للبحراني.

فرؤيته ﷺ حقيقة ثابتة على طول صفحات التاريخ وتشكل مقداراً من التواتر.. فيتحصل أن طول عمر الإمام المنتظر حقيقة لا جدال فيها، فالعيان يغني عن البرهان، ووجوده يُحس بالوجدان.

وبناءً على هذا تندفع شبهة استحالة أو استبعاد طول عمره ﷺ على ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم تواتر الرؤية وشواهد التاريخ، وقبل ذلك لا ننسى أنها قدرة الخالق عز وجل كمعجزة وكرامة للإمام المهدي ﷺ.. وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بإعادة برمجة الحياة البشرية وتفرغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد، أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو النبي نوح، والآخر يمارس دوراً في مستقبل البشرية وهو المهدي.. فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟!..



١٤١

المهدى المنتظر



هدية : « القائمة الإسلامية الحرة »

جامعة الكويت
انتخابات الهيئة الادارية للاتحاد
الوطني لطلبة الكويت - فرع الجامعة
- عام ١٩٨٣ .

منهج البحث

ان منهجة البحث حول موضوع وجود الامام المنتظر (ع) ، وحول محاولة الاجابة على السؤال التالي :

كيف يعيش الامام المنتظر (ع) هذه المدة الطويلة من السنين ؟ !
تتطلب منا — عادة — البحث أولاً عن امكان مسألة بقاء الانسان حياً مدة طويلة من السنين تتجاوز الحدود الاعتيادية لعمر الانسان ... فالبحث ثانياً عن وقوع المسألة ، وبقاء الامام المنتظر (ع) حيا هذه المدة الطويلة من السنين :

١ — حول الامكان :

ان مسألة اثبات امكان بقاء الانسان حيا عمرا طويلا من السنين تقتضيها الحديث عنها على الصعيدين الفلسفي والعلمي تمثيا مع مناهج البحث حول المسألة قديما وحديثا : —

١ — على الصعيد الفلسفي :

من المعلوم ان الاستحالة مالم ترجع الى البداهة لا تعد استحالة .
وتعبير فلسفي : ان الاستحالة اذا لم ترجع بالنهاية الى اجتماع النقيضين لا تعد استحالة .

وهنا في مسألتنا : من البداهة بمكان ان بقاء انسان ما ، حيا آلاف السنين يتمتع بعمر فوق الاعتيادي ، وكون اناس آخرين لا يتمتعون بعمر فوق الاعتيادي ، لا يلزم منه اجتماع النقيضين ، وذلك لاختلاف موضوع كل من القضيتين ..

فمثلاً : اعتبار خالد في هذا الآن غير موجود ، واعتبار محمد في الآن نفسه موجوداً ، لا يلزم منه اجتماع الوجود وعدمه في انسان واحد ، وذلك لاختلاف ومغايرة موضوع القضية الأولى وهو خالد لموضوع القضية الثانية وهو محمد .. ومن المعلوم بالضرورة ان من اوليات شروط التناقض وحدة موضوع كل من القضيتين .

ب - على الصعيد العلمي :

ومن المعلوم ايضاً ان العلم يستند - عادة - في اعطاء نتائجه حول قضية ما الى التجربة .

والتجربة حينما تجرى على موضوع معين في ظروف وملايسات معينة ، لا يصح تعميم نتائجها الى نفس الموضوع ، حينما يكون في ظروف وملايسات اخرى غير تلكم الظروف والملايسات التي اكتشفته حين التجربة .. وهو - اعني عدم صحة التعميم في امثال هذه القضايا - من الاصول المسلمة والشروط البديهية لدى العلماء .

فمثلاً : حينما تجرى التجربة على (خالد) - بصفته انساناً - وهو في ظروفه الاعتيادية لمعرفة مدى بقاءه حياً ، ومدى مقاومته لعوادي الطبيعة التي من شأنها القضاء عليه ، فتنهينا التجربة الى انه ليس باستطاعة مثل هذا الانسان ان يعيش اكثر من (١٢٠) سنة ، لا يصح ان تعمم نتيجة هذه التجربة ، لكل انسان حتى من يكون في غير الظروف الاعتيادية التي احاطته حالة التجربة إذ من الجائز ان يبقى انسان اخر ، او خالد نفسه ، حياً اطول بكثير من المدة المذكورة ، اذا كان في ظروفه الاعتيادية ، كما سنرى ذلك واضحاً في نتائج تجارب الدكتور كارل فيما يأتي .

فالنتيجة - على ضوء ما تقدم - هي :

ان مسألة بقاء الانسان حيا مدة طويلة من السنين ليست مستحيلة ،
لا فلسفيا ولا علميا ، وانما هي من المسائل الممكنة .

٢ - حول الوقوع :

وبعد ان انتهينا الى ان مسألة بقاء الانسان حيا طويلا من السنين امر
ممكن ... لنتنقل الى الاجابة على السؤال المتقدم ، عارضين اهم الادلة الناهضة
باثبات ذلك وهي :

٢ - الدليل التاريخي :

ويتلخص في ان التاريخ يثبت وجود نظائر للإمام المنتظر (ع) في طول
العمر ، امثال : النبي نوح (ع) الذي عاش الف سنة إلا خمسين عاما يدعو
قومه ، «ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما
فأخذهم الطوفان وهم ظالمون»^(١) كما يؤرخ القران الكريم لهذه الفترة من
حياته (٢) .

٣ - الدليل العقائدي :

وخلاصته : ان ارادة الله تعالى وقدرته ، التي اعدته ليومه الموعود ، هي التي
تعطيه البقاء وتمنحه العمر الطويل .

٤ - الدليل التشريعي :

من اوليات خصائص الدعوة الاسلامية انها دعوة عالمية .
ومن اوليات التشريع الاسلامي وجوب حمل رسالة الاسلام الى العالم كله على

(١) آية ١٤ من سورة العنكبوت .

(٢) للاستزادة ، يقرأ : محمد امين زين الدين ، ص ٦٨ وما بعدها .

رئيس الدولة المعصوم عن طريق الجهاد او غيره ، .. لان الاسلام نظام اجتماعي ثوري ، جاء لإذابة واستئصال جميع النظم الاجتماعية القائمة .
ومن الواضح بمكان ان عملية الهدم والبناء في عالم الثورة ، تتطلب فترة طويلة من الزمن ، ينطلق فيها الثوار مندفعين بكل امكانياتهم الى اقتلاع رواسب النظم الاجتماعية المطاح بها ، من نفسيات ابناء الجيل الذي عاشها متجاوبا معها ، والى انشاء جيل جديد ، خال من رواسب الماضي ، ومنصهر كل الانصهار بفكرة النظام الجديد .

ومن الواضح بمكان : ان من اهم ما يشترط في القائمين على تطبيق النظام الجديد ، خلوصهم من أية راسية تعاكس مفاهيم واحكام النظام الجديد ، وانصهارهم بالنظام الجديد انصهارا من اقرب معطياته صياغة شخصياتهم في جميع خصائصها ، ومختلف جوانبها وفق النظام الجديد .

ونحن نعلم ان الوعد الألهي يقتضي بأن تخضع البشرية جمعاء لهذا الدين في نهاية الأمر ، ويصبح الاسلام هو الدين المسيطر على وجه الأرض . ونعلم أيضا أن النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تمتد به الأيام إلى تحقيق ذلك الوعد الألهي ، فلم يتعد الاسلام حدود جزيرة العرب عند وفاته (ص) .

إذا علمنا كل ذلك ، فإنه يتضح لنا أنه لا بد وان تجري هذه الثورة الاسلامية العالمية المباركة على يدي الامام المهدي المنتظر (عليه السلام) ، فيحقق ما أخبر به القرآن الكريم بقوله : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (١) » . — وربما إليه كان يشير مفسرو الآية الكريمة

(١) الآية ٢٢ من سورة التوبة ، و ٢٨ من سورة الفتح ، و ٩ من سورة الصف .

بالامام المنتظر (ع) — وهو شيء يتطلب استمرار حياته (ع) لهذه الغاية النبيلة .

٥ — الدليل العلمي :

وموجزه : ان جماعة من العلماء المحدثين امثال : الدكتور الكس كارل ، والدكتور جاك لوب ، والدكتور ورن لويس وزوجته ، وغيرهم ، قاموا باجراء عدة تجارب في معهد (روكفلر) بنيويورك على اجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والانسان .

وكان من بين تلكم التجارب ما اجريت على قطع من أعصاب الانسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليته .. فرؤى : ان هذه الأجزاء « تبقى حية نامية مادام الغذاء اللازم موفورا لها ومادامت لم يعرض لها عارض خارجي ، وان خلاياها تنمو وتتكاثر وفق ما يقدم لها من غذاء .

واليك نتائج تجارب الدكتور كارل التي شرع فيها بكانون الثاني سنة ١٩١٢ م :
١ — « ان هذه الاجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتهها اما من قلة الغذاء او من دخول بعض المكروبات .

٢ — انها لا تكتفي بالبقاء حية ، بل تنمو خلاياها ، وتتكاثر ، كما لو كانت باقية في جسم الحيوان .

٣ — انه يمكن قياس نموها وتكاثرها ، ومعرفة ارتباطهما بالغذاء الذي يقدم لها .

٤ — انه لا تأثير للزمن .. اي أنها لا تشيخ ولا تضعف بمرور الزمن ، بل لا يبدو عليها اقل اثر للشيوخوخة ، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة ، كما لو كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين .

وتدل الظواهر كلها على انها ستبقى حية نامية ، مادام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها « (١) .

ويقول الاستاذ ديمند وبرل من أساتذة جامعة جونز هبكنس ، تعليقا على نتائج الدكتور كارل : « ان كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الانسان ، قد ثبت اما أن خلودها بالقوة صار امراً مثبتاً بالامتحان ، أو مرجحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن » (٢) .

و« أكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوجرافية : ان الانسان يستطيع ان يعيش (١٤٠٠) سنة ، اذا ما خدر مثل بعض الحيوانات لينام طيلة فصل الشتاء .

ويقول التقرير آلاف الذكر . ان التخدير أثناء فصل الشتاء يطيل حياة الحيوان الذي يتعرض للتخدير عشرين ضعفا بالنسبة لحياة الحيوانات المماثلة التي تبقى ناشطة طيلة فصول السنة » (٣) .

ولعل من الواضح : ان امثال هذه التجارب العلمية ، التي يحاول العلماء عن طريقها معرفة ما يمد في عمر الانسان الى اكثر من العمر الاعتيادي ، تنهينا الى النتيجة التالية :

وهي : ليس هناك تحديد يقرر — في نظر العلم — حداً طبيعياً لعمر الانسان ، .. وما التحديدات التقريبية التي يفيدها الانسان من مشاهداته وملاحظاته الا تحديدات للعمر الاعتيادي .

(١) . (٢) . (٣) : مجلة المنتظف « هل يخلد الانسان في الدنيا » ج ٥٩ ص ٣ ص ٢٣٨ — ٢٤٠ . والسيد

صدر الدين الصدر ، ص ١٣٤ .

(٢) جريدة الثورة البغدادية ، العدد ٧٨٥ .

ولعل امتداد عمر الانسان الى ما فوق سني الأعمار الاعتيادية له — كالذي مررنا به في الدليل التاريخي من أمثال عمر النبي نوح (ع) — يدعم ما انتهى اليه من عدم وجود حد طبيعي لعمر الانسان .

وبخاصة وان العلم — اليوم — قطع مراحل هامه في اعطائه نتائج كبرى حول المسألة .. من اهمها : ان الأخذ بالتعاليم الصحية والالتزام بها يوفر للانسان جوا ملائما للمحافظة على حياته ، ولاستمرار عوامل بقائها .

وما قلة انتشار الامراض السارية — الآن — ، وانخفاض نسبة الوفيات ، في كثير من المجتمعات المتعدنة ، والأخذة في طريقها الى التحضر ، الا اوضح شاهد على ذلك .

ومتى اضفنا الى هذه النتيجة نتيجة اخرى هي : ان عامل الموت هو (الاجل) ، وليس الامراض او الطوارئ الاخرى — كما هو رأي بعض علماء الشريعة — ترتبط مسألة امتداد العمر ارتباطا وثيقا ، بتوفر الجو الصحي الملائم وتأخر الأجل . وتوفر الجو الصحي الملائم يعود الى الانسان نفسه ، ومن أرعى من الامام (ع) لذلك وهو يعلم انه معد لمهمته الالهية الكبرى ..

وتأخر الاجل يعود الى الله تعالى ، ومتى اقتضت ارادته ذلك — كما تقدم في الدليل العقائدي — توفرت شرائط البقاء والعمر الطويل .

١ - الدليل النقلي :

واعني به النصوص الواردة في الموضوع ، وهي على طوائف اهمها ما يأتي :
 ١ - ما يدور منها حول عدم خلو الارض من حجة ، امثال : « لا تخلو الارض من قائم بحجة الله ، اما ظاهر مشهور ، واما خائف مغمور ، لكلا تبطل حجج الله وبيئاته » .

ب - ما يدور منها حول حصر الإمامة في اثني عشر إماما كلهم من قریش ، أمثال : «ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيه اثنا عشر خليفة كلهم من قریش » .

ج - ما يدور منها حول تعيين الامام المنتظر باسمه وصفاته ، امثال : «المهدي من ولدي ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، اشبه الناس بي خلقا ، وخلقاً ، تكون له غيبة وحيرة ، تفضل الامم ، ثم يقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأها عدلا وقسطا ، كما ملكت ظلما وجورا » .

د - ما يدور منها حول قيام الساعة حتى ينهض الامام المنتظر (ع) ، امثال : « لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ، ثم يخرج من اهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا ، كما ملكت ظلما وعدوانا » .

هـ - ما يدور منها حول وجود امام في كل زمان ، امثال : «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .

على ان مسألة حياة الامام المنتظر (ع) ، بعد اثبات امكانها ، نستطيع ان ندرجها ضمن قائمة المسائل الغيبية في الشريعة الاسلامية ، التي لا تقتضينا في مجال الاعتقاد بها اكثر من اثبات امكانها عن طريق العقل ، واثبات وقوعها عن طريق النقل ، كمسألة (المعاد) ونظائرها .

ولا اخال ان هذه الوفرة من النقول الواردة عن النبي (ص) بمختلف طرقها واسانيدها شيعية وسنية غير كافية ، .. او ان هناك من لا يراها كافية ، وبخاصة حينما يثبت تواترها . وسنعرض طائفة من حفاظ اهل السنة الذين رووا احاديث المهدي بالاضافة الى عرض مختصر لمجموعة من احاديث المهدي المروية في كتبهم .

الفهرس

- المهدي المنتظر ﷺ : القسم الثاني - حسين الشاكري ٣
- الفصل الخامس: الشبهات المثارة حول عقيدة المهدي عليه السلام / أولاً ٥
- جواب العلامة الطبرسي ٩
- جواب السيد الشهيد الصدر الأول رحمه الله ١٤
- المعجزة والعمر الطويل ٢١
- لماذا هذا الحرص على إطالة عمره ٢٤
- حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم - الشيخ باقر شريف القرشي ٢٩
- ٢ - امتداد عمر الإمام المهدي عليه السلام ٣١
- ٣ - لماذا هذا العمر المديد ٣٣
- الحقيقة المهديوية دراسة وتحليل - السيد منير الخباز ٣٥
- المحور الثالث: فلسفة طول عمر الإمام المهدي ٣٧
- الوجه الأول: الشهادة الحسية ٣٨
- الأمر الأول: الفرق بين الشهادة الحسية والعلمية ٣٨
- الأمر الثاني: وجود شاهد حسي لأهل كل زمان ٣٩
- الوجه الثاني التكامل اليقيني في المقام الروحي ٤٠
- الأمر الأول: الابتلاء طريق التكامل ٤١
- الأمر الثاني: التكامل ليس دخيلاً في الإمامة ٤٤
- الوجه الثالث: حفظ الشريعة ٤٦

| | |
|-----|---|
| ٥٢٠ |الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢ |
| ٤٩ | مهدي الأمم - الشيخ عبد الله حسن آل درويش |
| ٥١ | الثاني: طول عمر الإمام المهدي عليه السلام |
| | وكلاء الإمام المهدي في زمن الغيبة الصغرى من غير السفراء - حسن الشيخ عبد |
| ٥٧ | الأمير الظالمي |
| ٥٩ | البحث الرابع: إشكالية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام |
| ٦٥ | أولاً: الدليل الديني من القرآن والسنة |
| ٧١ | ثانياً: الدليل العقلي |
| ٧٣ | ثالثاً: الدليل العلمي |
| ٧٦ | رابعاً: دليل المعجزة |
| ٧٩ | الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة - السيد عادل العلوي |
| ٨١ | البرهان على طول عمر إمام الزمان |
| ٨٢ | الدليل الأول: قدرة الله |
| ٨٣ | الدليل الثاني: الإعجاز |
| ٨٤ | الدليل الثالث: التأسي بالأنبياء |
| ٨٦ | الدليل الرابع: العلم الحديث |
| ١٠٠ | الدليل الخامس: الإيذان بالغائبين |
| ١٠٠ | الدليل السادس: النظرة الجديدة |
| ١٠٩ | زبدة الكلام |
| ١١١ | في ذكرى آخر الخلفاء والحجج الإلهية - الشيخ وحيد الخراساني |
| ١١٣ | طول عمر الإمام المهدي عليه السلام |

- الإمام المهدي المنتظر وشبهات المرجفين - السيد أمير محمد كاظم القزويني ... ١١٧
- طول عمر الإمام المهدي ﷺ ١١٩
- أحاديث وكلمات حول الإمام المنتظر - عبد الله الغريفي ١٢٥
- كم هو عمر الإمام المنتظر الآن ١٢٧
- الإجابة على هذا الإشكال: ١٢٨
- الدليل الأول ١٢٨
- لفتة علمية قرآنية ١٣١
- الدليل الثاني ١٣٣
- الدليل الثالث ١٣٤
- الدليل الرابع ١٣٦
- الإمام المنتظر ﷺ قراءة في الإشكاليات: الجزء الخامس - السيد عبد الله الغريفي ١٣٩
- الإشكالية الثالث: إشكالية العمر الطويل ١٤١
- إشكالية العمر الطويل: ١٤٣
- الإشكال الأول: الإشكال الديني ١٤٣
- الإشكال الثاني: الإشكال العقلي ١٤٣
- الإشكال الثالث: الإشكال العلمي ١٤٣
- الإشكال الرابع: الإشكال العقيدي ١٤٣
- الإشكال الخامس: الإشكال التاريخي ١٤٣
- الإشكال السادس: الإشكال العملي ١٤٣

- التأريخ لإشكالية العمر الطويل ١٤٥
- المرحلة الأولى: التهيئة لاستيعاب (ظاهرة الغيبة وطول العمر) ١٤٥
- المرحلة الثانية: تدوين روايات الغيبة وطول العمر ١٤٧
- المرحلة الثالثة: إشكالية العمر الطويل: الطرح والمناقشة ١٤٨
- الإشكالية الثالثة - الإشكال الأول ١٥٣
- الإشكال الديني: «فرضية العمر الطويل لا تمتلك سنداً دينياً» ١٥٣
- «النصوص الدينية تنفي هذه الفرضية» ١٥٣
- نقد الإشكال الأول ١٥٧
- السند الديني من القرآن ١٥٩
- أولاً: نصوص قرآنية أكدت ظاهرة العمر الطويل ١٥٩
- النص الأول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾ ... ١٥٩
- النص الثاني: ﴿...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا...﴾ ١٦٠
- النص الثالث: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١٦٨
- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ ١٦٨
- ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ١٦٨
- النص الرابع: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ...﴾ ١٦٩
- ثانياً: آيات قرآنية فسّرت من خلال بعض تطبيقاتها وتأويلاتها بالإمام المهدي .. ١٧١
- ١ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ١٧١

- ٢ - قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ ١٧٢
- ٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾ ١٧٣
- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...﴾ ١٧٣
- ﴿...وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً...﴾ ١٧٣
- ٤ - قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ...﴾ ١٧٥
- السند الديني من السنة ١٧٧
- المنظومة الأولى: الأحاديث العامة ١٧٧
- المنظومة الثانية: الأحاديث الخاصة التي أخبرت عن غيبة الإمام المهدي وامتداد عمره ١٧٧
- المنظومة الأولى: الأحاديث العامة ١٧٨
- العنوان الأول: «الأئمة اثنا عشر آخرهم المهدي» ١٧٩
- أولاً: الصيغ الإجمالية المبهمة: «اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» ١٧٩
- «اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» ١٧٩
- «اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل» ١٨٠
- «اثنا عشر قيماً كلهم من قريش» ١٨٠
- قراءة هذه الصيغ المجملة ١٨١
- الأولى: القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين السنة ١٨١
- الثانية: القراءة المعتمدة عند علماء المسلمين الشيعة الاثني عشرية ١٨١

- ثانياً: أحاديث فسّرت الإجمال في الصيغ السابقة ١٨١
- المجموعة الأولى: أحاديث نصّت على عدد الأئمة من أهل البيت ١٨١
- المجموعة الثانية: أحاديث صرّحت بأسماء بعض الأئمة ١٨٧
- المجموعة الثالثة: أحاديث صرّحت بأسماء الأئمة الاثني عشر ١٩٢
- المجموعة الرابعة: الإمام المهدي خاتمة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ... ٢٠١
- خلاصة العنوان الأول - المنظومة الأولى ٢٠٧
- النتيجة الأولى: الأئمة الاثنا عشر بعد النبي هم أهل البيت عليهم السلام ٢٠٧
- النتيجة الثانية: الإمام المهدي هو خاتم الأئمة عليهم السلام ٢٠٧
- النتيجة الثالثة: الإمام المهدي هو المؤهل لإصلاح العالم في آخر الزمان ... ٢٠٨
- النتيجة الرابعة: إثبات النتائج الثلاث يثبت امتداد عمر الإمام المهدي إلى الظهور ٢٠٨
- العنوان الثاني: «الأرض لا تخلو من حجة لله» ٢٠٩
- الصيغة الاستدلالية: عدم خلو الأرض من حجة يدل بالالتزام على بقاء الإمام حياً ما دامت الأرض باقية ٢١١
- العنوان الثالث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ٢١٢
- الصيغة الاستدلالية ٢١٤
- أولاً: الحديث يفترض وجود إمام في كل عصر ٢١٤
- ثانياً: قد تقدّم أن آخر الأئمة هو الإمام المهدي ٢١٤
- ثالثاً: يتعين على ذلك أن الإمام المهدي هو إمام العصر ٢١٤
- رابعاً: الإمام المهدي حيٌّ يرزق ويمتدّ به العمر حتى يأذن الله بالظهور ٢١٥

- العنوان الرابع: «حديث الثقلين» ٢١٦
- نماذج من صيغ حديث الثقلين ٢١٧
- دلالات حديث الثقلين ٢٢٣
- الدلالة الأولى: دلالاته على عصمة أهل البيت ٢٢٣
- الدلالة الثانية: لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما منعاً من الضلالة... ٢٢٤
- الدلالة الثالثة: بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة ٢٢٤
- الدلالة الرابعة: تميّزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره ٢٢٤
- أيهم أوثق: سنتي أم عترتي؟ ٢٢٥
- الملاحظة الأولى: مصادر (عترتي) بلغت التواتر، بينما مصادر سنتي لا تكاد تبلغ أصابع اليد الواحدة ٢٢٥
- الملاحظة الثانية: كيف تكون السنة مرجعاً وهي غير مجموعة على عهده؟... ٢٢٦
- الملاحظة الثالثة: لا تعارض فكل ما عند أهل البيت من السنّة ٢٢٦
- المنظومة الثانية: الأحاديث الخاصة ٢٢٧
- (روايات أخبرت عن الغيبة وطول العمر) ٢٢٧
- الرواية الأولى: «إن بلغكم عن صاحبكم [يعني الإمام المهدي] غيبة فلا تنكروها» ٢٢٨
- الرواية الثانية: «للقائم غيبتان، إحداهما قصيرة والأخرى طويلة» ٢٢٩
- الرواية الثالثة: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيته...» ٢٢٩
- الرواية الرابعة: «أما والله ليغيبنّ عنكم مهديكم حتى يقول...» ٢٣٢
- الرواية الخامسة: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم...» ٢٣٣

- الرواية السادسة: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين...» ٢٣٤
- الرواية السابعة: «والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبنَّ القائم من ولدي...» ... ٢٣٥
- الرواية الثامنة: «إنَّ للقائم غيبة قبل ظهوره...» ٢٣٦
- الرواية التاسعة: «إنَّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه...» ٢٣٨
- الرواية العاشرة: «أما إنَّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس...» ٢٤٠
- الرواية الحادية عشرة: «المهدي من ولدي، تكون له غيبة وحيرة...» ٢٤١
- الرواية الثانية عشر: «التاسع من ولدي ابني الحسين الذي يظهر...» ٢٤١
- الرواية الثالثة عشرة: «إنَّ الإمام وحجّة الله من بعدي ابني...» ٢٤٢
- الرواية الرابعة عشرة: «ثم الحجّة بن الحسن الذي تنتهي إليه الخلافة...» ... ٢٤٣
- الرواية الخامسة عشرة: «وهو الذي يغيب مدة طويلة، ثم يظهر...» ٢٤٤
- الرواية السادسة عشرة: «يا كابلي إنَّ أولي الأمر الذين جعلهم...» ٢٤٤
- الرواية السابعة عشرة: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى...» ... ٢٤٦
- الرواية الثامنة عشرة: «هو ابني وخليفتي من بعدي، وهو الذي...» ٢٤٦
- الرواية التاسعة عشرة: «أنا القائم بالحق، لكنَّ القائم الذي يُطهر...» ٢٤٧
- الرواية العشرون: «يا أحمد بن إسحاق إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلِ الأرض...» ... ٢٤٩
- الرواية الواحدة والعشرون: «الخلف من بعدي ابني الحسن [الإمام العسكري] وكيف للناس بالخلف من بعده...» ٢٥٠
- الرواية الثانية والعشرون: «إنَّما نحن كنجوم السماء، كلما غاب نجم...» ... ٢٥١
- الرواية الثالثة والعشرون: «إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم...» ٢٥٢
- الرواية الرابعة والعشرون: «كأنِّي بالشيعة عند فقدهم الثالث...» ٢٥٤

- ٢٥٥ الرواية الخامسة والعشرون: «في صاحب هذا الأمر أربعة سنن...»
- ٢٥٦ بعده
- ٢٥٧ الرواية السابعة والعشرون: «إنَّ للقائم غيبتين، يقال له في إحداهما...»
- ٢٥٧ الرواية الثامنة والعشرون: «للقائم غيبتان يشهد في إحداهما...»
- ٢٥٨ الرواية التاسعة والعشرون: «وسيؤنس الله به وحشة قائمنا...»
- ٢٥٩ الرواية الثلاثون: «اللهم إنَّه لا بد لأرضك من حجة لك على خلقك...»
- ٢٦٠ الرواية الواحدة والثلاثون: «أنا صاحب هذا الأمر، ولكني لست...»
- ٢٦١ الرواية الثانية والثلاثون: «النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة...»
- ٢٦٢ الرواية الثالثة والثلاثون: «لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا...»
- ٢٦٥ الإشكالية الثالثة - الإشكال الثاني
- ٢٦٥ الإشكال العقلي: «استحالة بقاء الإنسان هذا العمر الطويل»
- ٢٦٧ نقد الإشكال العقلي
- ٢٦٩ دعوى أن هذه الفرضية تستند إلى التناقض
- ٢٦٩ ما مدى صحة هذه الدعوى منطقياً؟
- ٢٦٩ تعريف التناقض في الاصطلاح المنطقي
- ٢٦٩ طرح قضيتين متناقضتين: الإنسان مخلوق / الإنسان غير مخلوق
- ٢٧٠ أولاً: بيان مواطن اتحاد القضيتين المتناقضتين
- ٢٧٠ ثانياً: بيان مواطن اختلاف القضيتين المتناقضتين
- ٢٧٠ تعريف التناقض على هذا الأساس

- ٢٧١ بيان الخلل في هذه الدعوى وتوضيح الردّ عليها
- ٢٧٢ عدم تفريق هذه الدعوى بين الإمكانات الثلاث
- ٢٧٣ إخضاع مسألة امتداد العمر إلى الإمكانات الثلاث
- ٢٧٣ أولاً: الإمكان المنطقي أو الفلسفي
- ٢٧٣ ثانياً: الإمكان العملي
- ٢٧٣ ثالثاً: الإمكان العلمي
- النتيجة من هذا الطرح: عدم تقبل امتداد عمر المهدي هو نتيجة الخلط بين
- ٢٧٤ الإمكان العلمي والعملي
- ٢٧٧ لماذا هذه الكثافة من الروايات؟
- ٢٧٨ لعل في الروايات ما يشير إلى مواجهة حالات الإنكار المحتملة
- ٢٨١ الإشكالية الثالثة - الإشكال الثالث
- ٢٨١ الإشكال العلمي: «افتراض هذا العمر الطويل افتراض غير علمي»
- ٢٨٣ نقد الإشكال العلمي (من خلال مجموعة ملاحظات)
- ٢٨٥ الملاحظة الأولى: لا توجد مقولة علمية تدّعي استحالة طول العمر
- ٢٨٥ بعض المحاولات العلمية تتجّه إلى إثبات إمكانية طول العمر
- ٢٨٧ الملاحظة الثانية: التفسير الفلسفي لظاهرة الشيخوخة لدى الإنسان
- ٢٩٠ الملاحظة الثالثة: ممّا تقدّم علّم أنّ طول العمر أمر ممكن علمياً ومنطقياً
- ٢٩١ الإشكالية الثالثة - الإشكال الرابع
- ٢٩١ الإشكال العقيدي: «افتراض العمر الطويل يتنافى مع الثابت العقيدي»
- الثوابت العقيدية التي يتنافى معها افتراض العمر الطويل: حتمية الموت

- والأجل / نفي الخلود ٢٩٣
- نقد الإشكال العقيدي (من خلال مجموعة ملاحظة) ٢٩٥
- الملاحظة الأولى: العمر الطويل لا يعني العمر اللامحدود ٢٩٧
- الملاحظة الثانية: الأجل خاضع لشروط موضوعية ٢٩٧
- الملاحظة الثالثة: عجز المخلوق عن تغيير قانون الشيخوخة لا يعني عجز الخالق ٣٠٠
- أمثلة على تعطيل الله سبحانه وتعالى الكثير من القوانين الطبيعية ٣٠١
- المثال الأول: نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ٣٠١
- المثال الثاني: نبي الله موسى الكليم عليه السلام ٣٠٢
- المثال الثالث: قصة أصحاب الكهف ٣٠٣
- المثال الرابع: قصة خروج النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله من داره ليلة الهجرة ... ٣٠٥
- تسمية تعطيل هذه القوانين الطبيعية بـ(المعجزة) ٣٠٦
- إشكال يواجه هذا التفسير للمعجزة: تعطيل القانون الطبيعي يستدعي تجميد الضرورات العلمية التي أقرتها العلوم التجريبية ٣٠٦
- معالجة هذا الإشكال: وجهة النظر [الكلاسيكية] القديمة ٣٠٦
- وجهة النظر [العلمية] الحديثة ٣٠٧
- الإشكالية الثالثة - الإشكال الخامس ٣٠٩
- الإشكال التاريخي: «لم يُحدِّث التاريخ عن بقاء الإنسان هذا العمر الطويل» ... ٣٠٩
- نقد الإشكال التاريخي (من خلال مجموعة ملاحظات) ٣١١
- الملاحظة الأولى: المصنِّفات دوّنت أسماء أعداد كبيرة من المعمّرين ٣١٣

- الملاحظة الثانية: بعض الشواهد على صدق ظاهرة التعمير ٣١٤
- الملاحظة الثالثة: مخالفة المؤلف ليس مبرراً علمياً للرفض ٣٢٠
- إشكال روائي: مصادر حديثة تؤكد أن المولودين في زمن الرسالة لا تتجاوز أعمارهم المائة سنة ٣٢١
- طائفة من الروايات تؤكد أن أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين ... ٣٢١
- نقد الإشكال ٣٢٣
- أولاً: غاية ما تدل عليه الأحاديث أن الجيل المعاصر للنبوّة لا يبقى أكثر من مائة سنة ٣٢٣
- ثانياً: عدم وجود دراسة تاريخية دقيقة لأعمار الصحابة ٣٢٣
- ثالثاً: تأكيد الروايات لا ينفي الحالات الاستثنائية ٣٢٤
- رابعاً: بقاء الإمام المهدي ﷺ محكوم بإرادة إلهية ٣٢٤
- مصادفة غريبة ٣٢٤
- الإشكالية الثالثة - الإشكال السادس ٣٢٥
- الإشكال العملي: «ما هي الحكمة من غيبة الإمام المهدي وطول عمره؟» ... ٣٢٥
- نقد الإشكال العملي (من خلال مجموعة نقاط) ٣٢٧
- النقطة الأولى: تساؤلات نقضية ٣٢٩
- ما الحكمة من بقاء عيسى والخضر والدجال ٣٢٩
- ما الحكمة في غيبات الأنبياء؟ ٣٢٩
- النقطة الثانية: خفاء الحكمة لا يشكّل مبرراً علمياً للشك والرفض ٣٣٥
- النقطة الثالثة: فهم المهمة الكبرى تصلح مفسراً لظاهرة العمر الطويل ... ٣٣٦
- تفسيرات تناولت: «الغيبة وطول العمر» ٣٣٧

- التفسير الأول: التفسير الاجتماعي ٣٣٧
- التفسير الثاني: التفسير التاريخي السياسي ٣٣٩
- ملاحظات وتعقيبات ٣٤٠
- النقطة الأولى: ظهور المهدي عليه السلام ظاهرة ترصدها الكيانات السياسية المتسلطة... ٣٤٠
- النقطة الثانية: القراءة التاريخية للواقع السياسي المعاصر للعسكريين عليهم السلام يوقر المعطيات التالية ٣٤١
- ١ - تولي السلطة السياسية في هذه المرحلة من الحكام العباسيين ٣٤٢
- ٢ - الصفات الواضحة لأنظمة الحكم في هذه المرحلة ٣٤٢
- ٣ - تصفية عدد كبير من الشخصيات البارزة من آل الرسول صلى الله عليه وآله ٣٤٢
- ٤ - السياسة المتشددة ضد الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام ٣٤٦
- النقطة الثالثة: الجو السياسي المشحون ضد الواقع الشيعي يكشف عن عدم بساطة الصورة ٣٤٨
- أسباب الغيبة من خلال الروايات ٣٤٩
- السبب الأول: لكي لا تقع في عنق الإمام المهدي بيعة لأنظمة الحكم الظالمة ... ٣٤٩
- السبب الثاني: لكي لا يتعرض للقتل والتصفية ٣٥٥
- النقطة الرابعة: الواقع الإسلامي غير مهياً لقيام دولة الحق المرتقبة ٣٦١
- الإمام المهدي من المهدي إلى الظهور - السيد محمد كاظم القزويني ٣٦٣
- الفصل الثالث عشر / كيف عاش إلى هذا اليوم؟ ٣٦٥
- طول العمر على ضوء القرآن الكريم ٣٦٧
- طول العمر من الناحية العقائدية ٣٦٩
- طول العمر على ضوء العلم الحديث ٣٧١

| | |
|-----|---|
| ٥٣٢ |الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات/ ج ٢ |
| ٣٧٧ |المعمّرون |
| ٣٧٩ |البراهين الاثنا عشر على وجود الإمام الثاني عشر - السيد طيّب الجزائري |
| ٣٨١ |الاعتراض الرابع: إنّ طول عمره خلاف الطبيعة |
| ٣٨٢ |طول الحياة ممكن عقلاً |
| ٣٨٢ |طول الحياة ثابت عقيدةً |
| ٣٨٧ |الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة - الشيخ عبد اللطيف البغدادي |
| ٣٨٩ |الفصل السادس: الإمام المهدي ﷺ وغيبته وظهوره |
| ٣٨٩ |إمامة المهدي ﷺ في صباه، وطول عمره في غيبته |
| ٣٩١ |طول عمر نوح الخضر وعيسى بن مريم ﷺ |
| ٤٠٣ |المصلح من النظرية إلى التطبيق - السيد نذير الحسني |
| ٤٠٥ |الشبهة الرابعة: طول العمر |
| ٤٠٩ |المهدي - السيد صدر الدين الصدر |
| ٤١١ |المهدي وطول عمره |
| ٤١٣ |طول عمر الإنسان |
| | أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل ويليهِ كتاب البيان في أخبار صاحب |
| ٤١٧ |الزمان ﷺ - إعداد: السيد محمد جواد الحسيني الجلاي |
| ٤١٩ |البيان في أخبار صاحب الزمان / أبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي |
| | الباب الخامس والعشرون: في الدلالة على جواز بقاء المهدي ﷺ حياً باقياً منذ |
| ٤٢١ |غيبته إلى الآن |
| | أمل الإنسان: الإمام المهدي ﷺ في الفكر الإسلامي الأصيل - إعداد مركز نون |
| ٤٣٥ |للتأليف والترجمة |
| ٤٣٧ |الفصل الرابع: طول عمر الإمام المهدي |

- ٤٣٩ تمهيد
- ٤٣٩ المبحث الأول: الحاجة إلى الإمام سبب من أسباب طول عمره
- ٤٤١ المبحث الثاني: تحليل دقيق لطول عمر الإمام المهدي
- ٤٤١ ١ - كيف تأتي للمهدي هذا العمر الطويل؟
- ٤٤٨ ٢ - المعجزة والعمر الطويل
- ٤٥٠ ٣ - العلم وعمر الإمام الحجة
- ٤٥٣ ٤ - إثبات طول عمره من حيث كونه حجة
- ٤٥٥ معزّ الأولياء - إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة
- ٤٥٧ الدرس السابع: طول عمر الإمام ﷺ
- ٤٥٧ تمهيد
- ٤٥٧ طول العمر أمر ممكن
- ٤٥٨ نماذج من التاريخ
- ٤٥٨ نوح عليه السلام
- ٤٥٨ الخضر عليه السلام
- ٤٦٠ النتيجة
- ٤٦٠ خلاصة الدرس
- ٤٦١ للحفظ
- ٤٦٣ في رحاب أهل البيت: المهديّة عند أهل البيت - الشيخ عبد الكريم البهبهاني ...
- ٤٦٥ الخصوصية الثالثة: الغيبة المستلزمة لعمر مفتوح مع انفتاح الزمن
- ٤٦٥ الأولى: مرحلة إثبات إمكانية العمر الطويل إلى آخر الزمان
- ٤٨١ الثانية: مرحلة إثبات تحقق ذلك فعلاً في الإمام المهدي

٥٣٤ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات / ج ٢

٤٨١ ١ - الطريق العقائدي

٤٨٧ ٢ - الطريق التاريخي

٥٠١ رؤى مهدوية / شذرات فكرية في القضية المهدوية - مجتبي السادة

٥٠٣ الثالث: التشكيك في طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

٥٠٥ ١ - القرآن الكريم / ٢ - السنة الشريفة

٥٠٦ ٣ - برهان من التاريخ / ٤ - شواهد من الوجدان

٥٠٩ المهدي المنتظر - القائمة الإسلامية الحرة

٥١١ منهج البحث

٥١١ حول الإمكان:

٥١١ على الصعيد الفلسفي

٥١٢ على الصعيد العلمي

٥١٣ حول الوقوع

٥١٣ الدليل التاريخي

٥١٣ الدليل العقائدي

٥١٣ الدليل التشريعي

٥١٥ الدليل العلمي

٥١٧ الدليل النقلي

٥١٩ الفهرس